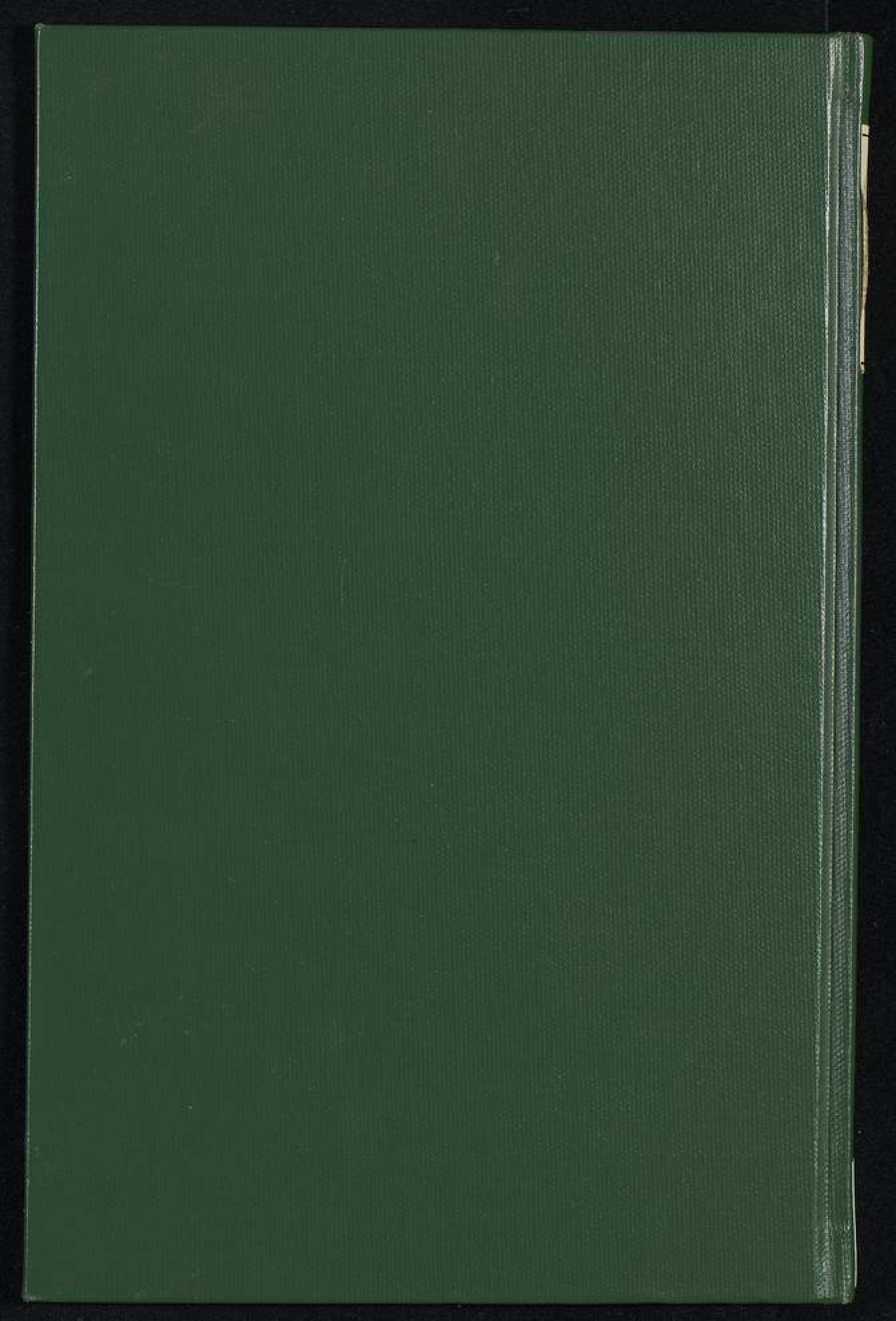
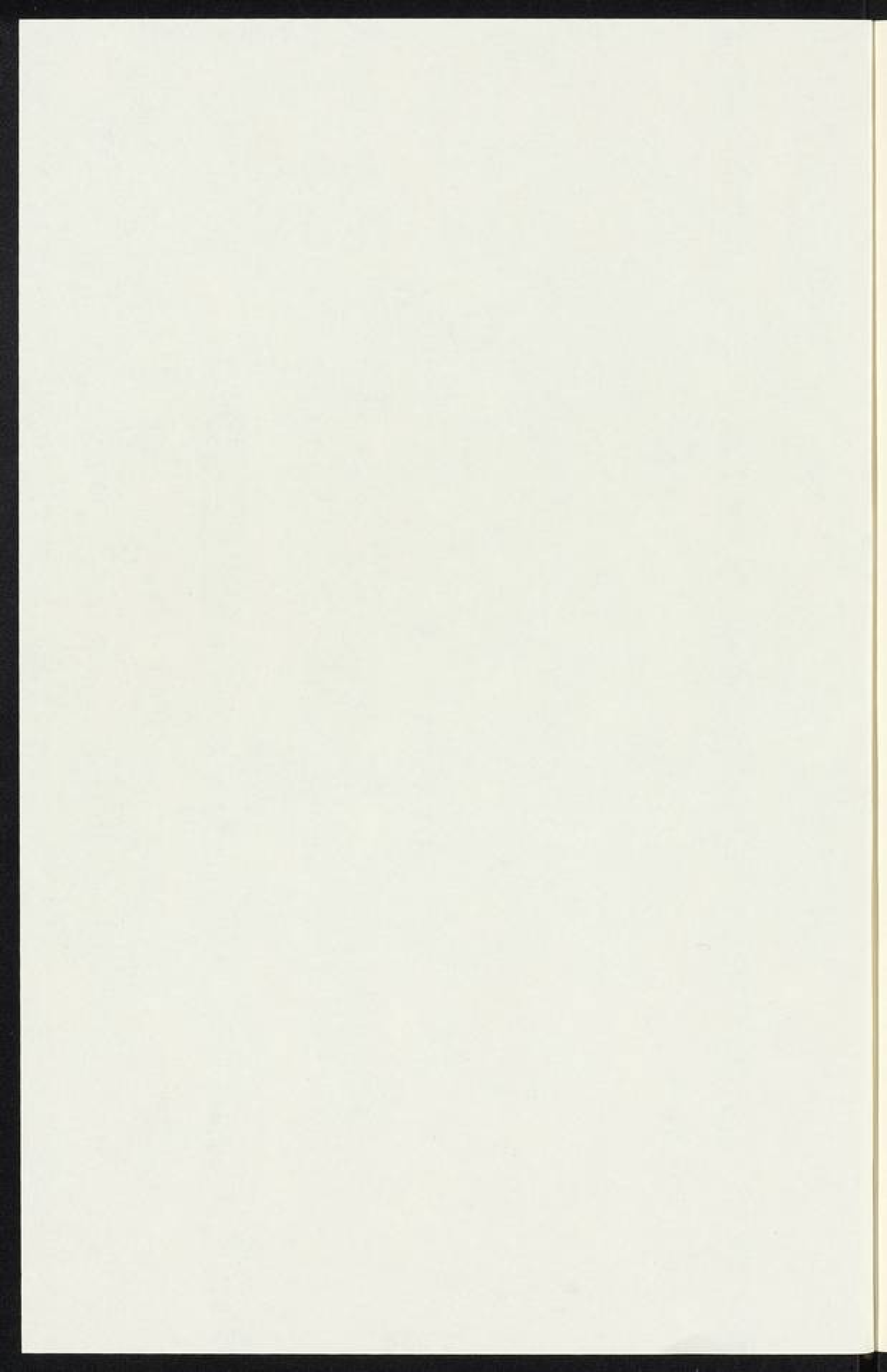
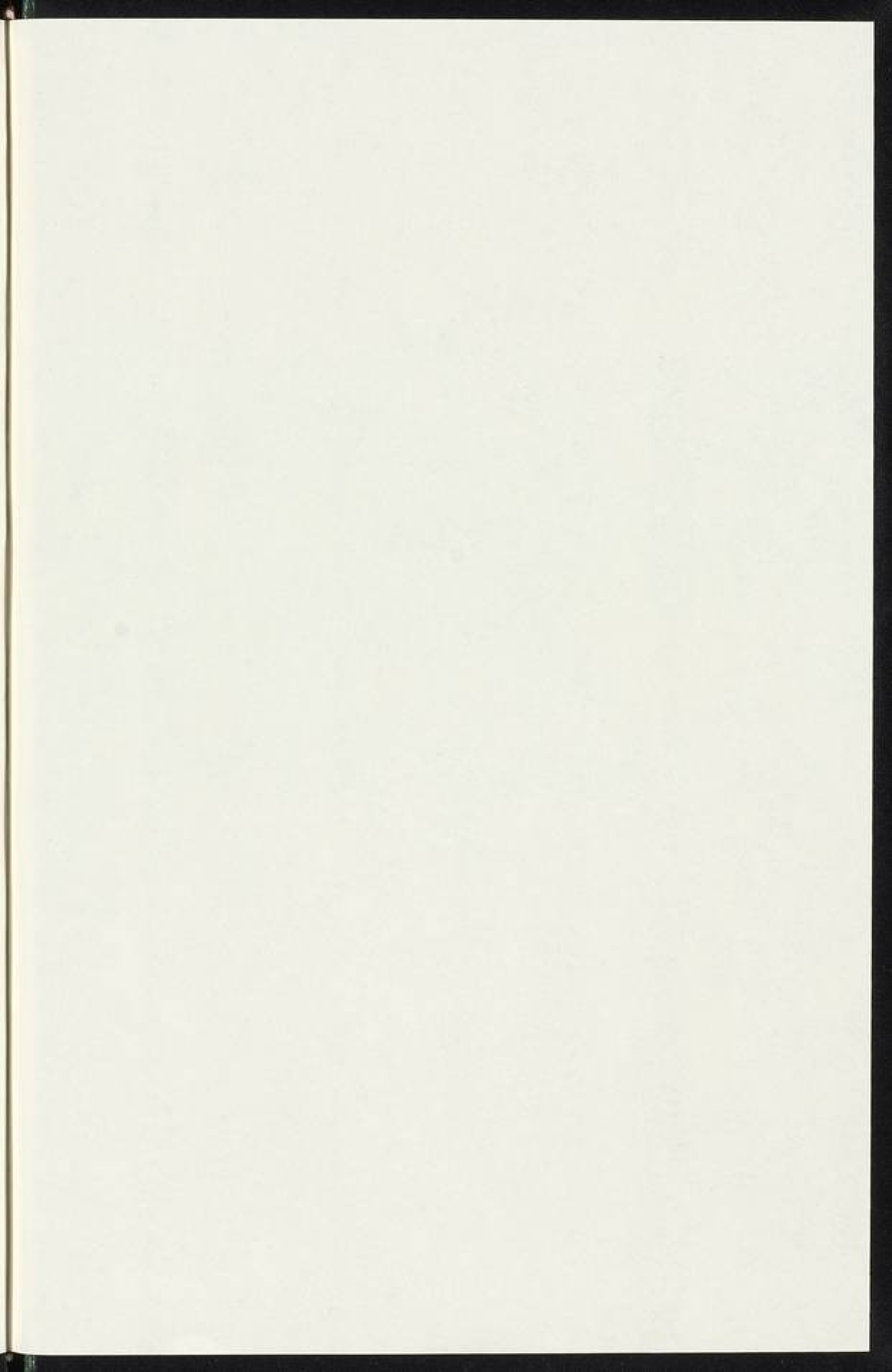
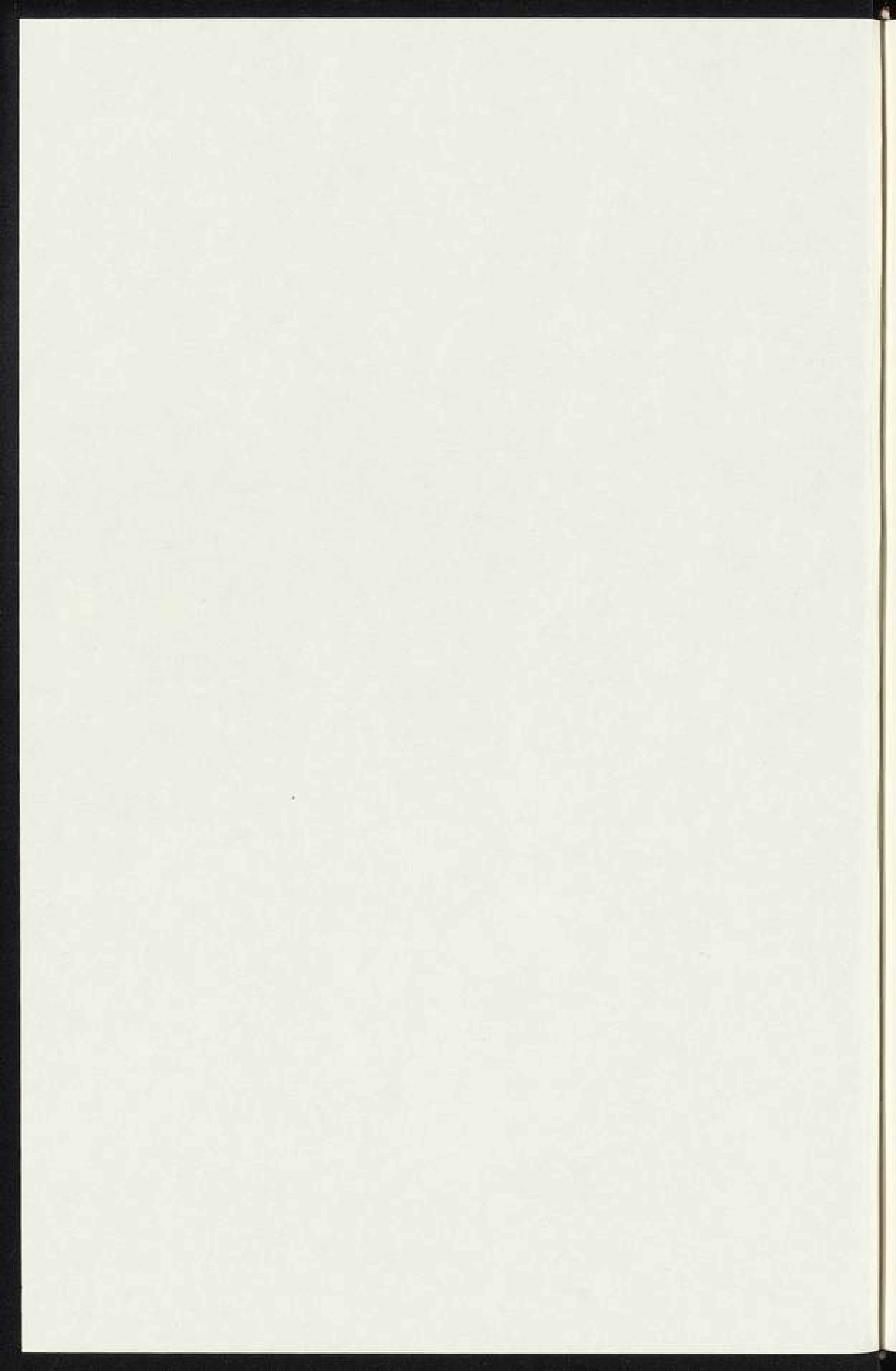


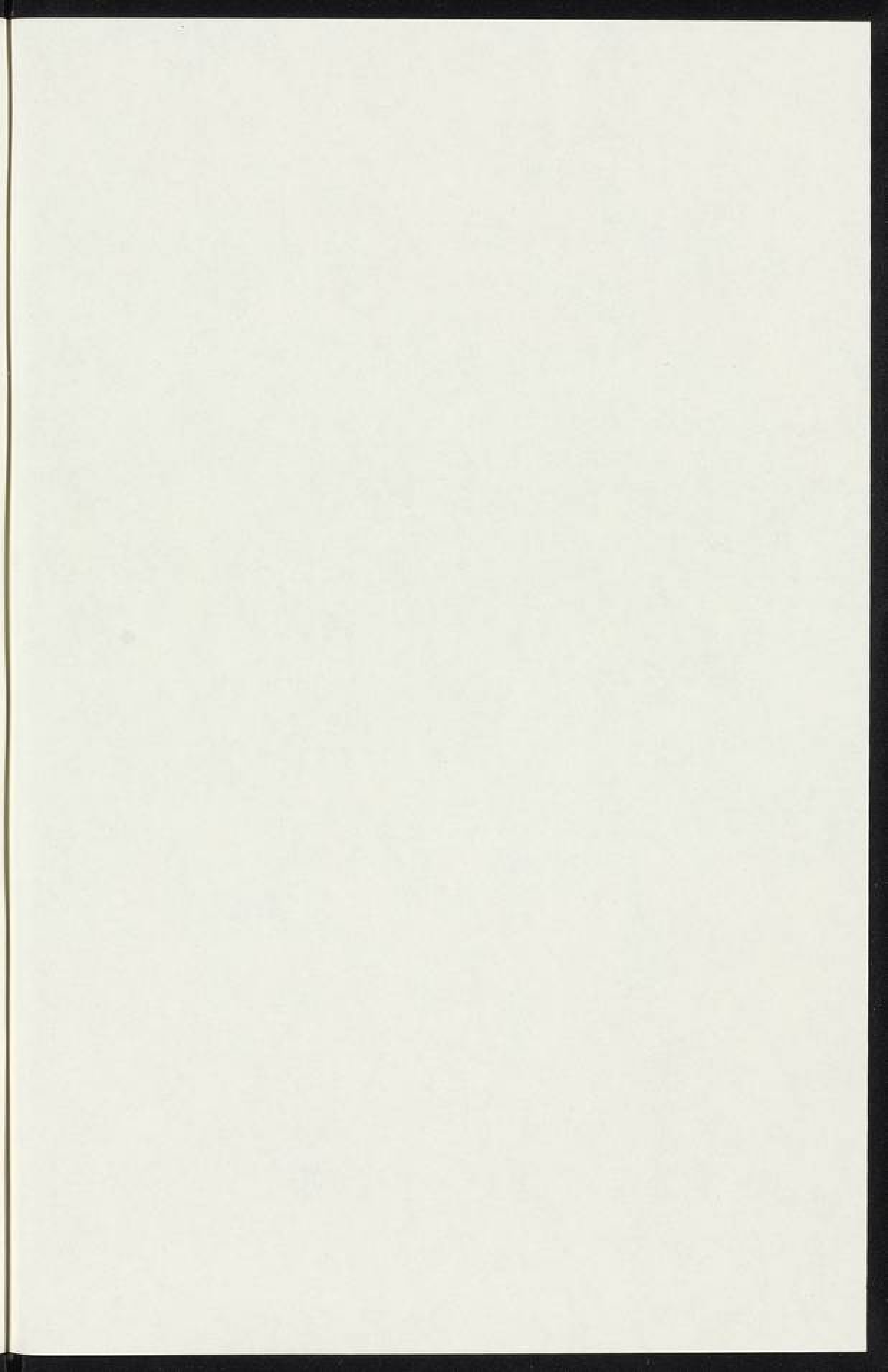


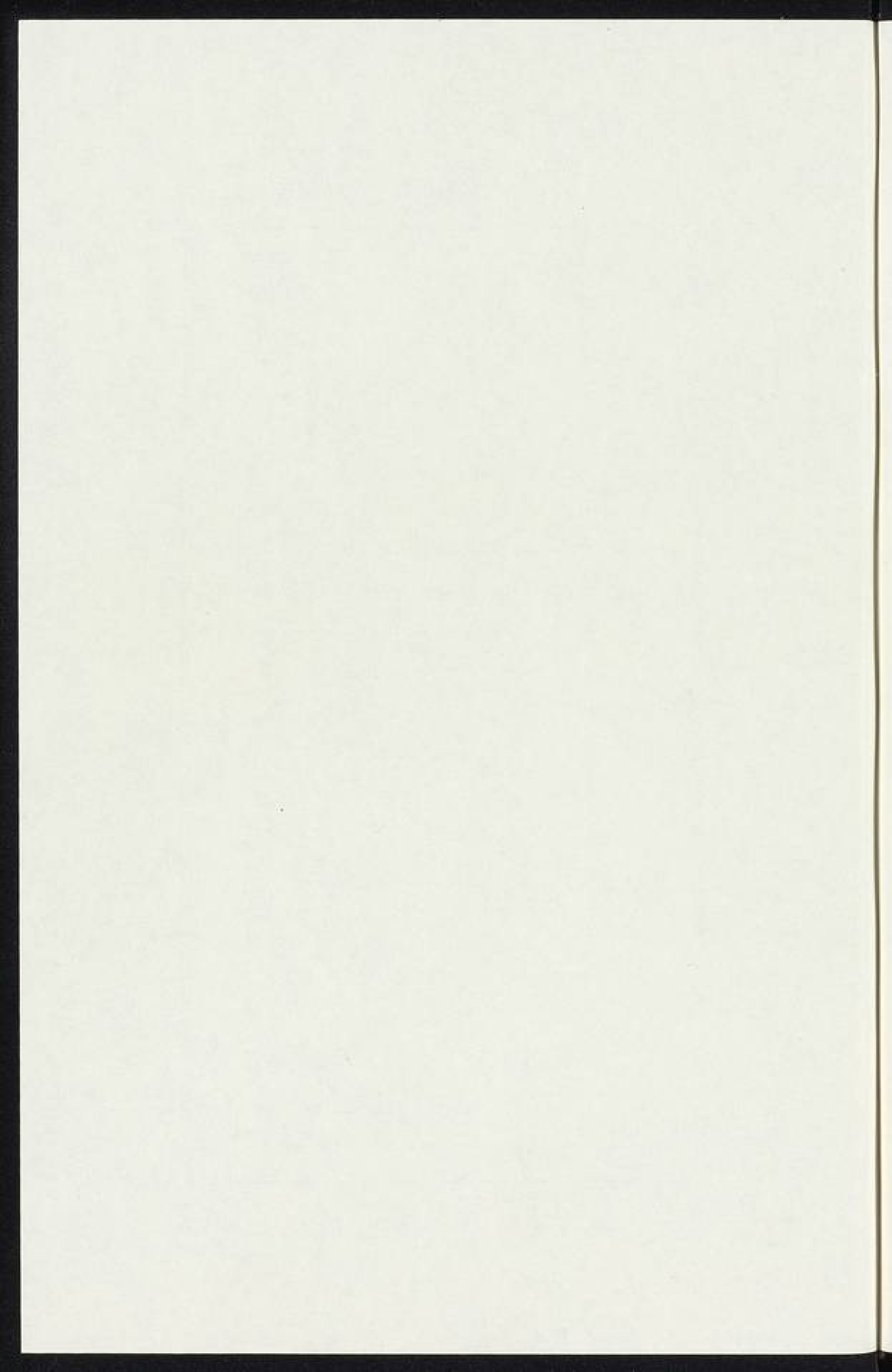












فهرس الكتاب

وجه

الفاتحة

٠٣ المقدمة

٠٩ الجزء الاول فى الرحلة الاولى

٠٠ الباب الاول في ذهابنا الى مصر وتحصيل العلوم فيها

٠٠ الفصل الاول في سفرنا الى القاهرة ودخولنا في المدرسة الطبية

١٠ الفصل الثاني فى تحصيل العلوم المطلوبة

١٢ صورة الشهادة المعطاة لنا

١٤ الفصل الثالث في الاخبار المصرية وفيه نبذ عديدة

١٤ النبذة الاولى فى الكلام على مدينة مصر

٢٣ النبذة الثانية في ولاية محمد علي باشا على الديار المصرية

٢٤ النبذة الثالثة في دخول الفرنساوية الى مصر

٣٦ النبذة الرابعة فى صفات محمد علي باشا واولاده

٠٠ فصل في صفات محمد على باشا واخلاقه

٣٨ فصل في ابراهيم باشا

٣٩ فصل في باقى اولاد محمد على باشا

٤٠ الفصل الرابع في ذهابنا الى القسطنطينية

٤٣ فى دخولنا المدرسة الملوكية وكيفية الفحص

٤٥ صورة الشهادة المعطاة لنا

٤٨ الفصل الخامس في الكلام على القسطنطينية

٦٠ نبذة فى اهالى القسطنطينية ورتب رجال الدولة

٦٦ فى القاب الكتابة الى اصحاب الرتب

(فهرس الكتاب)

وجه

٧٠ في عدد النفوس في ممالك الدولة العلية

٧١ ايراد الدولة في السنة

٧٢ مصروف الدولة

٧٣ في كيفية القرعة العسكرية

٧٩ الفصل السادس في اصل تاسيس الدولة العثمانية وذكر ملوكها

٨١ السلطان عثمان خان الغازى ابن ارطغرل بن سليمان شاه

٨٥ السلطان اورخان بن عثمان

٨٨ السلطان مراد الاول ابن اورخان

٩٤ السلطان يلديرم بايزيد بن مراد ووقايعه مع تيمورلنك

١٠٥ السلطان چلبي محمد الاول ابن بايزيد

١٠٨ السلطان مراد الثاني ابن چلبي محمد

١١٢ السلطان محمد الثاني الفاتح ابن مراد الثاني

١١٨ السلطان بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح

١٢٣ السلطان سليم ياوز الاول ابن بايزيد الثاني

١٢٩ السلطان سليمان الاول ابن سليم الاول

١٤٢ السلطان سليم الثاني ابن سليمان الاول

١٤٥ السلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني

١٤٦ السلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث

١٤٨ السلطان احمد الاول ابن محمد الثالث

١٥١ السلطان مصطفى الاول ابن محمد الثالث

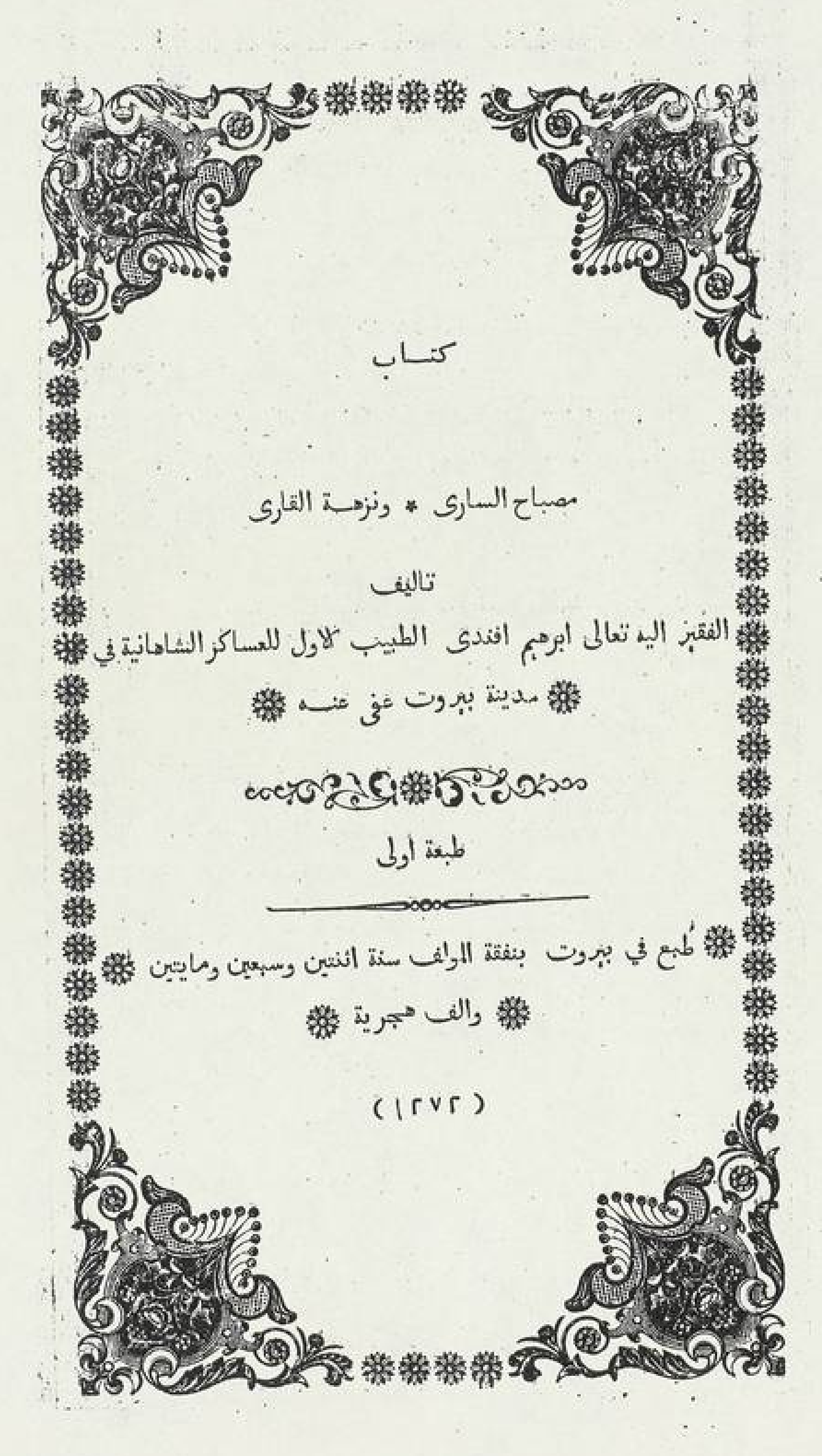
١٥٢ السلطان عثمان الثاني ابن محمد الثالث

١٦٦ السلطان مراد الرابع ابن احمد الاول

(فهرس الكتاب)

١٧٩ السلطان ابراهيم ابن احمد الاول
١٨٣ السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم
٢٠١ السلطان سليمان الثانى ابن ابراهيم
٢٠٤ السلطان احمد الثانى ابن ابراهيم
٢٠٦ السلطان مصطفى الثانى ابن محمد الرابع
٢٠٩ السلطان احمد الثالث ابن محمد الرابع
٢١٦ السلطان محمود الاول ابن مصطفى الثاني
٢٢٥ السلطان عثمان الثالث ابن مصطفى الثانى
٢٢٦ السلطان مصطفى الثالث ابن احمد الثالث
٢٣١ السلطان عبد الحميد ابن احمد الثالث
٢٣٤ السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث
٢٤٩ السلطان مصطفى الرابع ابن عبد الحميد
٢٥٧ السلطان محمود الثانى ابن عبد الحميد
٢٨٠ حضرت السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان
٢٨٢ صورة الخط الهمايونى الذى تلى فى الكلخانة

/ Kitab misbah al-sari /



كتاب

مصباح السارى * ونزهة القارى

تاليف

الفقير اليه تعالى ابرهيم افندى الطبيب الاول للعساكر الشاهانية في مدينة بيروت عفي عنه

طبعة اولى

طُبع في بيروت بنفقة المولف سنة اثنتين وسبعين ومايتين والف هجرية

(١٢٧٢)

* بسم الله الرحمن الرحيم *

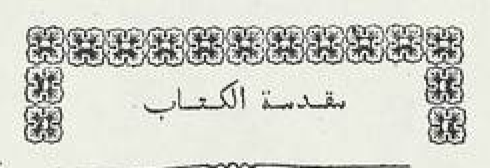
الحمد لله العلى الكبير الذى بيده الملك وهو على كل شى قدير احمده حمد معترف بالعجز والتقصير واساله العون فى كل مهمة فانه السميع البصير.

اما بعد فانني لما تشرفت بخدمة صحة العساكر الشاهانية الموقرة والليوث المنصورة المظفرة . حماة الوطن والملة والدين وجيوش الفتح لامير المومنين . قامع اثار الغى بالرشاد مستنا صل شافة اهل البغى والفساد مصدر راحة العباد . سلطان الانام وخليفة الملك السلام . ناشر لوا الحلم في الافاق وارث سرير السلطنة بالا ستحقاق . السلطان ابن السلطان السلطان * عبد المجيد * خان الغازى ابن السلطان محمود خان الغازى ادام الله سرير سلطنته ووفور شوكته وحكمته مدى الزمان وكر الدوران

انه قد استنهضنى البعض من اصحابي لان اكتب لهم ما شاهدته في مدة غيابي من حوادث هذا الزمان وعن اخبار سلاطين ال عثمان مع انى لست من فرسان هذا الميدان ولا من جهابذة هذا العصر والاوان . فنهضت لذلك وابتدرت لمرغوبهم بما هنالك * راجيا من اولى الالباب ان يغضوا الطرف عما يجدونه من الزلل والخطا في هذا الكتاب ولمائم تاليفه وتهذيبه سميته مصباح السارى ونزهة القارى . وقد قسمته الى جزين . الاول يشتمل على سياحتى الى الديار المصرية والاخبار عما شاهدته وسمعته فيها حديثا * وعن ذهابي الى القسطنطينية والاخبار عنها وعن جميع سلاطين آل عثمان العظام . وعن الحوادث والوقايع التى جرت بينهم وبين الدول الافرنجية وغيرهم الى يومنا هذا * والثاني يشتمل على اخبار مصر قديما وعلى سياحتى الى بلاد اوروپا و يليه خاتمة فى ذكر اخبار بر الشام . وما فيها من الاثار القديمة . نساله تعالى

ان يمن علينا بانعام التوفيق للاتمام وان يختم

اعمالنا بحسن الختام



مقدمة الكتاب

اننا اذا وجّهنا افكارنا متاملين فى هذا الكون العجيب نرى انّ الباري سبحانهُ عند ماشاء ابراز هذه الكاينات الي الوجود خلق الحيوانات تحت طوايف واقسام تعرف بالسلسلة الحيوانية آخذاً من اصغر حيوان كالبعوض والدبيب الى اكبر حيوان كالفيل والبعير والحيتان العظمية التي يبلغ طول الواحد منها الي ثلاثين ذراعًا . وجعل هذه السلسلة مختلفة الانواع والاشكال . غير انها ما خلا الانسان فى طبقة متقاربة من التعقل والادراك لايتفضل فيها الكبير منها على الصغير لا بالنظر الى الجثة ولا باعتبار السن . بل ربما نرى الصغير منها كالنمل اشدّ اداركاً من الكبير كالفيل . فان النمل يسعى فى فصل الصيف فيجمع ما امكنهُ من الحب ذخيرةً لفصل الشتاء . وعند ما يدخل الشتآ يجتمع الي سرب له فى الارض ويجتهد في قرض ذلك الحب لكيلا ينبت من رطوبة الارض فيفوت الانتفاع به وهذا مما لايدركهُ الفيل ونحوه * واذ كانت هذه الحيوانات مخلوقة تحت طوايف معلومة كانت كل طايفة منها تنضم الى بعضها منفردة بنفسها كما نرى في النمل ايضًا . فانه ينقسم الي اصناف كثيرة من الاحمر والاسود والذر والطيّار وغير ذلك * وكل طايفة تجتمع الي بعضها ولا تسمح للطايفة الاخرى ان تدخل بينها * ولكل قبيلة كبيرٌ منها تنقاد اليه وتعتمدهُ اماماً لها كما نرى في النحلة التي يقال لها ملك النحل والصل الذى يقال له ملك الحيات وغير ذلك

ولا ريب ان النوع البشرى لايتميز عن غيره من الحيوانات الا الا بالحواس العقلية التي خصّه الله بها لان تركيب جسمه كتركيب اجسام بقية الحيوانات من مواد سايلة وجاسئة ومن انسجة واوعية دموية واعصاب وغير ذلك * ولا يتفضل عليه الا بقوة العقل والنطق التي لاتوجد في غيره علي الحالة التي توجد فيه * غير ان بقية الحيوانات يولد معها الادراك الذي وهبها اياه الخالق لحفظ حياتها وتدبير معاشها فتكون حينئذ اشد ادراكا من امثالها من الانسان لانها لاتاكل ما يضرها ولا تلقي انفسها من مكان شاهق وتفرمما يوذيها بخلاف الطفل فانه لايدرك شيا سوى التقاط ثدى امه . ثم تنمو قواه العقلية متتابعة في ازمنة مختلفة . فان البعض منها يظهر في سن الصبوة كالقوة الحافظة . والبعض في سن الشبوبية كالشجاعة والنخوة . والبعض في سن الكهولة كالقوة الحاكمة . والبعض في سن الشيخوخة كالقوة الذاكرة لان الشيخ يتذكر جميع الاشياء التي حدثت من عهد طفوليته مع انه في ايام شبابه او كهولته لم تكن له استطاعة علي ذلك . كما ان الصبي يحفظ في يوم واحد ما لا يحفظهُ الشيخ في ايام طويلة

غير ان هذه الموهبة الطبيعية التي افاضها الله علي الانسان لاتزال قاصرة بنفسها حتي تعضدها العلوم الصناعية التي هدى الله الناس اليها لكي يطلّعوا بها علي اسرار حكمته ويعتقدوا بوجوده الواجب ويسبحوا اسمهُ القدوس . لان من عرف حركات الافلاك والكواكب وترتيب الابراج والمنازل وادرك اسرار الخلايق الارضية من الحيوان والنبات وغيره ونظر حق النظر الي هذا الترتيب والنظام العجيب الذى لايختل يوما فيوما وسنةً فسنةً ودهرًا فدهرًا فانه يعلم قطعًا بان هذه المصنوعات لابد لها من صانع قادر حكيم يستحق التعظيم والعبادة

اما العلوم التي توصلنا الي هذه الدرجة السامية فالاول منها علم

التاريخ الطبيعي الذى يبحث فيه عن المواليد الثلثة وهي الحيوانات والنباتات والمعدنيات. لان معرفة حقايق هذه الموضوعات وما وضع فيها من الاسرار والدقايق الغريبة وما يطرا عليها من الكون والفساد يظهرلنا عظم قدرة هذا الخالق وسمو حكمته الباهرة

الثاني علم الطبيعيات الذى يبحث فيه عن حقايق هذه الموجودات وما يتعلق بها على سطح الارض او في باطنها او في الجو كما يبحث مثلاً عن كيفية وصول انوار الكواكب الينا وعن القوة الدافعة والجاذبة فيها . وعن الابخرة والغيوم والنداء والمطر والبرق والرعد والصواعق والزوابع واتجاه حركات الرياح وغير ذلك من الامور الفلكية وكذلك عن خواص الاجسام الارضية كالكهربايية والمغناطيسية والسيلان والجمود . وكيفية مسير الصوت وحدوث الزلازل وما اشبه ذلك . ومن هذا العلم تستنبط الاختراعات الغريبة كمركب النار وطريق الحديد والبوسطة البرقية وغير ذلك من الصنايع الباهرة

الثالث علم الكيميا الذى يبحث فيه عن معرفة تركيب الاجسام وحلها لا عمل الذهب والفضة كما يزعم بعض اصحاب الخرافات . وهذا العلم اساس متين لجميع العلوم والصنايع والمهن حتى لا يدعى عالمٌ عالماً ولا صانعٌ صانعًا سالم يكن عنده معرفة به ولاسيما الطبيب فانه احوج العلما اليه

الرابع علم الجغرافية الذى يفيدنا معرفة اوضاع البلاد وبعدها وعدد اهلها وطبيعة ارضها وانواع محصولاتها وما ينبغي ان يتاجر به منها او اليها

الخامس علم الفلك الذى يبحث فيه عن الاجرام العلوية من الكواكب والنجوم الثابتة والسيارة وعن ابعادها عن بعضها ومقادير اجرامها ونحو ذلك

ولا ريب ان هذه العلوم مما يزيدنا تعجبًا من حسن صنعة هذا الخالق العظيم وتنير عقولنا لقبول المعارف الدنيوية والدينية وتنزع من افكارنا الخرافات الوهمية والاباطيل الكاذبة التي تبلّد عقولنا واحيانًا كثيرة نعثر لاجلها في اعمالنا وافكارنا واقوالنا فيفسد اكثر تصرفاتنا بسببها * ولذلك نرى جميع الامم المتمدنين يضعون اولادهم في مدارس مخصوصة تسمى عندهم بالمدارس التجهيزية يتعلمون فيها العلوم المذكورة، وبعد خروجهم منها يكونون مستعدين ليتعلموا اى علم شاءوا حتي ان اصحاب الصنايع العملية كالصايغ والحداد ونحوهما لا بد ان يتعلموا هذه العلوم ليستعينوا بها على حسن التصرف واختراع الاساليب البديعة

ومن العلوم التي توسّع دايرة الفكر ايضًا وتكون له كالمرآة في حوادث الزمان وتقلباته علم التاريخ الذى ينبينا عن حوادث الدول الماضية والشعوب القديمة ويخبرنا عن الوقايع السالفة التي بعضها يكون لنا نزهة وبعضها عبرة وبعضها قدوة وما احسن ما قيل

لبس بانسانٍ ولا عاقلٍ * من لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى اخبار من قبلهُ * اضاف اعمارًا الى عمره

قال شيشرون الفيلسوف ان التاريخ شاهد الزمان ونور الحق وصاحب الحيوة وساعي القدسية لكونه يخبرنا عن الامور الماضية ويخلّد اولئك الناس المعتبرين الذين سموا افعالهم جعلهم متميزين في عصرهم * والذين يفتقرون بالاكثر الى معرفة التاريخ هم اصحاب الولايات وارباب الوظايف لانهم بواسطته يحصلون علي المعرفة التي تلزمهم في تصرفهم بتلك السياسة المتعلقة بهم * ولذلك كان الملك باسيليوس الفيلسوف دايمًا يوصي ولدهُ وخليفتهُ لاون الفيلسوف بقوله يا بنيّ لا تغفل عن قراءة الكتب ولاسيما التواريخ القديمة لانك تطلع

فيها بكل سهولة على ما كتبه غيرك بكل تعب . واعلم ان سياسة الشعب كثيرة الاتعاب والمشقات والتصرف بها عسر المسلك . وهذا كله يظهرلك من التواريخ باوضح بيان ويكون مرشدًا لك الى الاقتدآء بالصفات المحمودة والابتعاد عن الخصال الذميمة * انتهى

ولاريب ان مطالعة التواريخ الملوك تجعلهم يكرهون القبايح التي يشاهدون ذمها ويحبون الفضايل التي يشاهدون مدحها . ويعلمون ان ذلك الذكر سخلد فيها الي اخر الدهر وشايع بين جميع النـاس ولذلك كان الملك طيباريوس يرجع احيانًا عن شهواته الخبيثة التي كان منهمكاً بها خوفـًا مما يقـال عنه في التواريخ ومن ثم فرهارباً الي جزيرة كابريا لكي يستتر فيها ويخفي جرايمه عن اعين المورخين . ومن فوايد مطالعة التواريخ ما ذكر عن اسكندر الملك انه كان يتشجع عند مطالعته ما كتبه اوميروس الشاعر عن اكيلا من الافعال القاهـرة التى جعلته يتغلب علي اكثر المسكونة . ولذلك اتخذ هذا الكتاب سميرًا لـه حتى انهُ كان لايهجـع في رقاده حتى يطالع شيًا منه . وكذلك تاريخ لويس الحادى عشر الذى كتبه فيلبُّس كومينوس كان انموذجًا في الحكمة للملك كارلوس الخامس الذى بمجرد اقتدآيه به صـار احد ملوك اوروبا الاكثر عظمةً وجلالاً . وهكذا السلطان سليم العثمانى فانه ارتقى الي ذلك المجد الذى فاق بهِ من تقدَّمه من الخلفآء والسلاطيـن بواسطـة رغبته في مطالعة التواريخ القيصرية التى ترجمهـا الي اللغة التركيـة واقتدى بالافعال المذكورة بها حتى انه في برهة قليلـة استـولي علـى جانب عظيم من بلاد اسيا وافريقا وفاقت اعماله اعمـال القياصرة ولعمري ان العلوم باسرها هي قوام الانسانية وعمودها كما قيل

احرص على العلم واجمع ما ظفرت بهِ * فالمرْء بالعلم لا بالمال انسانُ

وسيل بعض الفلاسفة ما الفرق بين العلمآء والجهال فـقال كمـا بـين

الاحياء والاموات . وان العلوم هى زينة في العز وملجا في الشك ومن احسن تربية الاطفال فهواولي بهم من ابايهم * وحكى ان اقراطيس الفيلسوف باع املاكه واودع ثمنها عند احد الصيارفة وقال له ان رايت عقول اولادى لاتصلح للفلسفة فادفعها اليهم . وان رايتها تصلح ففرقها علي اهالي طيوا لان الفلاسفة لاحاجة لهم بالمال . وكان هذا الفيلسوف يقول ان الاغنياء بالمال مثل الشجر الذى ينبت علي رووس الجبال المستوعرة التي لايمكن ان يصل الى اثمارها الا الغراب والرخم

ولعمرى انه عارٌ شديدٌ علي الاكابر والاغنيا في هذه البلاد الذين يجتهدون في تحصيل الاموال ويكابدون لاجلها المشقّات التي لاطاقة لهم بها ولا يلتفتون الي طلب العلوم التي يمكنهم ادراكها بكل سهولة. وما احسن قول الشاعر

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا * كنقص القادرين علي التمام

ومن العجب ان بعضهم يدّعون تارةً بما لايعرفون اسمهُ فضلاً عن مسمّاهُ وتارةً بما لاتحوم افكار العلماء حوله فضلاً عن الجهلاء . وهم الذين في مثلهم يقول الشاعر

ومن عجب الايام انك لاتدرى * وانك لاتدرى بانك لاتدرى

وعلى هذا يكونون قد اغلقوا ابواب النجاح من انفسهم اولاً ثم عن غيرهم من اهل البلاد الذين يخبطون في ظلمة الجهل. وذلك لان اكتساب العلوم وشهرتها لاتتم الا بالتفات اكابر الناس اليها ورغبتهم في اقتناءيها لانفسهم واولادهم فان ذلك مما يدعو عامّة الناس الي اكتساب العلوم والاجتهاد في تحصيلها لانهم حينئذ يتوسلون انهم يجتنون ثمرة اتعابهم بواسطة استخدام الاكابر لهم واكرامهم اياهم لانهم يكونون قد استناروا بضياء العلوم وصاروا يعرفون قيمة العلماء . وعلى هذا تكون الفايدة قد شملت الاكابر والاصاغر وحصل الامل في عمار

البلاد الذى تنتفع منه الاكابر اكثر من عامة الناس كما جرى فى البلاد الافرنجية التى لا نظن ان عقول اهلها بحسب الطبيعة قابلة لتحصيل العلوم اكثر من عقول اهل المشرق لان هذه البلاد كانت منبع العلوم والحكمة . وكان فيها كثيرا من المدارس نشا منها علما تشهد لهم التواريخ وهم قد اشحنوا الارض من مولفاتهم وكتبهم النفيسة فى جميع العلوم المعقولة ولكن من الجيل الثامن عشر للهجرة اخذت تلك العلوم تتقهقر شيا فشيا حتى دثرت * وان شا الله تعالى بهمة وعناية مولانا السلطان عبد المجيد خان الذى جعل نصب عينه عمار البلاد ونجاح العباد يرجع اليها شرفها الاول وتعود تلك العلوم مجللة بثوب التصحيح والتنقيح لانه على كل شى قدير وهو السميع المجيب *

الجز الاول

فى الرحلة الاولى

الباب الاول

فى ذهابنا الى مصر وتحصيل العلوم فيها

الفصل الاول

فى سفرنا الى القاهرة ودخولنا فى المدرسة الطبية

انني فى سنة الف ومايتين وثلث وخمسين للهجرة حين كنت فى سن الخمس عشرة سنة كانت نفسى تتوق الى طلب العلوم ولا سيما العلوم الطبية التى يرجى بواسطتها صلاح الابدان وسلامة الانسان وحفظ الصحة التى بها تقوم الاجسام وعليها مدار جميع الاعمال الجسدية والروحية . ولكن لم اجد حينيذ سبيلا الى نوال هذه البغية السعيدة حتى انعم الله بحضور الدكتور كلوط بك امير اللوا وريس اطبا العساكر

المصرية الذى فاق اهل زمانه في العلوم الطبية والجراحية وتشرف بالفخر الباشين من اعظم ملوك البلاد الافرنجية فلما راى افتقار هذه البلاد الى العلوم الطبية التمس من محمد على باشا والى الديار المصرية في تلك الايام بقبول بعض شبان من البلاد الشامية ليتعلموا تلك العلوم وينشروها فى بلادهم فرحلت الى تلك الديار ودخلت المدرسة * وكان حينئذ قد دخل شهر رمضان وتعطلت المدرسة فاقمت انتظر هلال شوال

* الفصل الثانى *
فى تحصيل العلوم المطلوبة

ولما انتهى شهر رمضان حضرت التلاميذ الى المدرسة وشرع المعلمون فى اعطا الدروس * وحينئذ جردت نفسى لهذه المهمة ونزلت فى ساحة ذلك الميدان مؤملا ان اكتسب شيامن فضلات العلما والجهابذة الذين كانوا يتلالاون بمعارفهم فى تلك المدرسة * فلبثت ادرس فيها الى ما شاء الله وكانت من احسن المدارس الطبية مبنية على شاطى نهر النيل غربي القاهرة تبعد عنها نحو نصف ميل * و بالقرب منها روضة المنيل وهى البستان الذى انشاه ابراهيم باشا ابن محمد على باشا الذى كان يتولى الديار المصرية فى عهد المرحوم السلطان محمود خان الثانى فجعله نزهة للناس * وجمع في البستان من جميع الاشجار و النباتات واحسن ترتيبه ونظامه حتى صار روضة من احسن الرياض * يحيط بها نهر النيل فكانه جنة تجرى من حولها الانهار يفصل بينه و بين المدرسة نهر النيل المذكور

والذى اسس هذه المدرسة محمد على وهى منقسمة الى قسمين الاول فيه محل

اقامة التلاميذ واماكن التعلم وابيات التشريح والالات ومحل تصبير الطيور والحيوانات من جميع الانواع وبيت الادوية * والثانى وهو الشرقى فيه مارستان لمعالجة المرضى من العساكر مقسوما الى اماكن عديدة * وكان حينيذ فى هذه المدرسة نحو خمسماية تلميذ اكثرهم من ارياف الديار المصرية وقليل جدا من اهل المدينة وكلهم قد انتظموا فى سلك العسكرية لانهم لا يقبلون من يريد ان يتعلم لنفسه * واما كيفية الدرس الذى درستم هناك * ففى السنة الاولى درست علم الكيميا الطبية وعلم التفريح وعلم الطبيعيات * وفى السنة الثانية علم تركيب الادوية المسمى بالاقراباذين * وعلم التشريح الخاص * وعلم النباتات * وعلم الجراحة الصغرى * وفى السنة الثالثة علم الباثولوجيا (للمعلم روش وصنصون) وهو الفن الذى يبحث فيه عن جميع الامراض الباطنة ومعالجتها بالتفصيل وعلم المادة الطبية وهو فن يبحث فيه عن شرح الادوية ومنافعها . وفى السنة الرابعة علم الاربطة ومراجعة الباثولوجيا وقانون الصحة والعمليات الجراحية وكانت هذه الدروس كلها باللغة العربية * وكنت اذهب مع المعلمين لزيارة المرضى على مضاجعهم غير اننى كنت فى اول الامر انفر من مشاهدة تشريح الموتى ولكننى اكرهت نفسى على قبول تلك المشاهدات لاننى علمت يقينا ان الطبيب بدون معارف تشريحية لا يدعى طبيبا لانه لا يمكنه ان يعرف وضع العضو وتركيبه ومجاورته ومنافعه وغير ذلك فان المريض اذا اشتكى مثلا من الم فى المراق الايمن او القسم الخلفى فاذا كان الطبيب لا يعرف حقيقة التشريح لا يمكنه ان يدرك المرض فى اى عضو هو لان فى كل قسم من هذه الاقسام يوجد جملة اعضا * واذا فرضنا انه عرف

المرض فمن اين يعرف التغيير الذى حصل فى حالة المرض وهو لايعرف ما كان عليه فى حالة الصحة * وكيف يمكن الطبيب ايضا ان يحترز من اصابة الاعصاب والعروق والاوعية الدموية الغليظة عند ما يريد ان يعمل عملية جراحية في بعض جهات الجسم *

واذ كان ذلك كذلك شمرت عن ساعد الجد والاجتهاد وانعكفت على ملازمة المعلمين ومواظبة الدرس نهارا وليلا حتى تمكنت فى المسايل والاجوبة وحصلت على امتياز بين بقية التلاميذ ولا سيما عند امير اللوا كلوط بك فانني كنت عنده بمنزلة ولد له * وكان الوقت المفروض لهذه العلوم الطبية اربع سنوات ولكل سنة مباحث تخصها ما عدا علم التشريح فانه يراجع في كل سنة حرصا على ثباته في الاذهان لانه هو الاساس الذى تبني عليه جميع المعارف الطبية * والفقير بعد ما مكثت المدة المذكورة وجرى على الفحص اخذت الشهادة بهذه الصورة *

* شورى الطب العمومى بمصر *

مدرسة الطب البشرى

نحن الواضعين اسمانا ادناه قد اطلعنا على شهادة معلمى مدرسة الطب وناظرها بمصر * ونحن نشهد بان ابرهيم خليل افندى الديرانى اللبنانى قد مكث فى المدرسة اربع سنوات ودرس بغاية الانتباه والنجاح العلوم الاتي ذكرها وهي اولا العلوم الطبيعية * ثانيا العلوم الكيماوية * ثالثا علم النباتات * رابعا علم التشريح * خامسا علم الفلسفة الطبية * سادسا علم البانولوجيا

سابعًا علم الجراحة . ثامنًا علم قانون الصحة والطب البشرى .
فتصديقًا واثباتًا لذلك قد اعطيناه هذه الشهادة لتكون له سندًا
عند الحاجة تحريرًا فى ٤ جونيو سنة ١٨٤٢ مسيحية الموافقة ٢٤ را
هلالية سنة ١٢٥٨ هجرية

(ارباب مشورة الطب) امير اللوآء

فيهقام	قيهقام	قيهقام	كلوط ريس شورى
شدفو	فجرى	دفينو	الطب

وبعد ما اخذت هذه الشهادة طلبت الاذن بالرجوع الى البلاد فكان الجواب من الديوان انه يجب ان اكون في خدمة العساكر المصرية هناك لانهم ارتفعوا من بلاد سوريا . فراجعت وكان الجواب كذلك . فمكثت فى تلك المدرسة مدة من الزمان الى ان اشار عليّ بعض اصدقاءى من ارباب الكلام فى مجلس الشورى ان اطلب الاذن موجلاً الي مدة معلومة واذا انصرفت يكون الخيار لي في الرجوع . ففعلت كذلك وصدر الاذن بموجب تذكرة بهذه الصورة

ان رافع هذه التذكرة ابرهيم افندى الطبيب احد الاطباء فى مدرسة الطب البشرى بقصر العينى كان قد حضر من بر الشام لتحصيل علوم الطب والان بموجب التماسه قد اعطى رخصة فى التوجه الي بلاده بمدة ثلثة اشهر باذن من ديوان المدارس حرر فى ٥ را سنة ١٢٥٨ (عدد ١٩٩) بناء علي افادة من ديوان الشورى مورخة فى غرة را سنة ١٢٥٨ وبموجب امر عالٍ من جناب الداورى تاريخه ١٧ را وبموجبه اعطى له الاذن بالتوجه الي بلاده الخ

وحينئذ عولت علي الخروج من الديار المصرية . ولكنني قبل ذلك اريد ان اذكر ما تيسر لى الوقوف عليه من اخبارها

وحديث عزيزها الشهير محمد علي باشا وما ينوط به فاقول

الفصل الثالث

في الاخبار المصرية وفيه نبذ عديدة

نبذة اولي

في الكلام علي مدينة مصر

اعلم ان مدينة مصر الاصلية قديمة جدًا وقد ذكر عنها في التواريخ القديمة. غير انها قد خربت ودثرت حتي لم يبق منها الا اثر . واما المدينة الموجودة الان المعروفة بهذا الاسم ويقال لها القاهرة ايضًا والفسطاط والكنانة فهذه وضع اساسها جوهر قايد جيش المعز لدين الله احد الخلفاء الفاطميين الذي فتح مصر القدية وفيه يقول الشاعر

يقول بنو العبّاس قد فُتحت مصرُ * فقُل لبني العبّاس قد قُضيَ الامرُ
وقد جاوز الاسكندريّة جوهرٌ * تُطالعُه البُشرى و يقدمُه النصرُ

ومن ذلك قوله فيه يذكر بناه لمدينة مصر الجديدة

فلا عسكرٌ من قبل عسكر جوهرٍ * تخبُّ المطايا فيه عشرًا وتوضعُ
تسير الجبال الجامدات بسيره * وتسجد من ادني الحضيض وتركعُ
اذا حلّ في ارضٍ بناها مداينًا * وان سار عن ارض تُغدُ وهي بلقعُ

وكان ذلك سنة ستماية وستين للمسيح . وموقع هذه المدينة في ٣٠ درجة من العرض الشمالي وفي ٢٨ درجة من الطول الغربي. وهي في سهل مومل شرقي نهر النيل بين بولاق ومصر القديمة تبعد عن النيل من بولاق نحو نصف ساعة ومن مصر القديمة نحو ربع ساعة وبازآيها الجبل المقطم. وقد زاد في بنائها الملك صلاح

الدين الكبير وهي الآن اكبر مدن الدولة العثمانية بعد القسطنطينية لان دايرتها تبلغ نحو اربعة الاف ذراع . وكانت قبل هذه الايام محاطة بتلال من التراب تنسفها رياح الي داخل المدينة فلما تولي محمد علي باشا مهّدها وجعل مكانها بساتين وغياضاً قد غرس فيها كثيرا من شجر الزيتون والليمون والتوت والسنط والنبق وغير ذلك وفتح فيها طرقاً واسعة مظللة بالاشجار من جميع الجهات

وهذه المدينة تشتمل على نحو ثلثة آلاف بيت . واكثر بيوتها مبنية بنوع من الطوب الغير المشوي . ومنهم من يطليها بالكلس من الخارج وعلى كل حال اكثرها شنيع المنظر خارجًا وداخلًا وتكثر فيها الاوخام والرطوبات . واكثر حاراتها ملتصقة ببعضها . وبعضها يفصل بينها منافذ ضيقة متعرجة مظلمة . وابوابها وشبابيكها ضيقة قصيرة . ويكثر في بيوتها البق والبراغيث والذباب والبعوض والعقارب والحيات والفار وغير ذلك . واهلها يبلغون نحو ثلثماية الف نفس اكثرهم اسلام وقبط وقليل من ساير طوايف النصارى . وتنقسم هذه المدينة الي نحو خمسين محلة فاشهرها من جهة الشمال الي القبلة حارة الشرقية . وحارة اليزبكية . وحارة النصارى يسكنها القبط والارمن والسريان . وحارة الروم وفيها طايفة الاروام والروم . وحارة اليهود وهي اقذر مكان في المدينة . وحارة الافرنج . وحارة زويلة . وحارة باب القدر . وحارة الازهر . وحارة المؤيد وحارة باب الخرق . وحارة الحنفي . وحارة بركة الفيل . وحارة المغاربة . وحارة طولون وهي اقدم حارة في مصر . وحارة الرميلة وقرا ميدان . وحارة القلعة . واكثر الحارات الاخيرة للمسلمين ولا يوجد فيها احد من بقية

الطوايف . ويفصل هذه الحارات عن بعضها جملة طرق اكثرها غير نافذة وهي ملتوية وضيقة وقذرة . وارض هذه المدينة من تراب لزج اذا اصابها المآء تصير وحلاً يمنع الناس عن المشي لكثرة الزلق . واشهر طريق فى هذه المدينة الطريق الممتدة من باب السيدة الي باب الحسينية طولها نحو سبعماية ذراع . وطريق اخرى من قناطر السباع الي باب الشعرية . وطريق الزبكية وهي تمتد من قرب بركة الزبكية الى سوق الغورية نافذة امام سوق الخليلى . وهذه فتحها محمد علي باشا واخرب كل ما كان يعترضها من المخازن والبيوت لاجل توسيعها . وهي احسن طريق فى مصر وعلي جانبها المخازن والحوانيت الجميلة

واشهر اسواق هذه المدينة سوق الغورية . وهناك تجار اهل المدينة واكثرهم من المسلمين . وسوق الاشرفية . وسوق الخليلى وهناك تباع البضايع الاسلامبولية من الجوهر والكهربا والنحاس والملابس الثمينة . وسوق النحاسين وسوق الحمزاوى وهناك يباع الجوخ والانسجة الافرنجية والشامية والحلبية وتجاره نصارى من حلب ودمشق . وسوق السروجية . وسوق السلاح . وسوق الجميلة وهناك يباع البن والدخان الجبلى

وفى هذه المدينة نحو ثلثماية وكالة اوخان لماوى الغربآء . وهي بمقابلة اللوكندات في البلاد الافرنجية تشبهها بالاسم فقط لان اللوكندات في تلك البلاد هى فى غاية ما يكون من النظافة والترتيب في البنا والمفروشات والماكولات ونحو ذلك . واما هذه الوكالات فهى عبارة عن بناءين جملة بيوت صغيرة مظلمة لا يوجد فيها سوى حيطان وسقف عفنة الهوآ تكثر فيها البراغيث

وفي هذه المدينة كثير من الاثار القديمة الباقية من ايام
الخلفا العباسيين والفاطميين والماليك كالجوامع والمدارس والحماميم
والسبل والقبور وبعض الابنية * واشهرها جامع الازهر وهو اول جامع
كبير في القاهرة انشاه القايد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين
الله لما اختط القاهرة وابتدا ببنايه يوم السبت لست بقين من جمادي
الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثماية وكمل بناوه لسبع خلون من رمضان
سنة احدى وستين وقيل انه كان به طلسم يمنع ساير الطيور ان تسكن
فيه ثم جدده الحاكم بامر الله ووقف له اوقافا وجعل فيه تنورين فضة
وسبعة وعشرين قنديلا فضة وكان في محرابه منطقة فضة قد رفعت في
زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجاوزنها خمسة الاف درهم
ثم ان المستنصر جدده ايضا وانشا فيه قصورا لطيفة بجوار الباب
الغربي ثم جدد في ايام الظاهر بيبرس وهو الان اكبر الجوامع في مصر
وله دار وسيعة ورواق كبير قايم على ثلاثماية وثمانين عمودا من
الرخام والحجر السماقي * وفيه جملة اماكن تسكن فيها طلبة العلم
الذين ياتون من كل الجهات لاكتساب العلوم العربية والفقه والسنة
واول من وضع هذه المدرسة في هذا الجامع العزيز بالله وكان ذلك
تحت تدبير وزيره ابي الفرج يعقوب وذلك سنة ٣٧٨ ﻫ

وعدا ذلك ياوي اليه كثير من الفقرا والدراويش ولكل فريق
قسم يسكنون فيه ولكل قسم ناظر ولهم فريضة من الخبز فقط . وايراده
السنوي يبلغ ستماية وثلاثين الف غرش * ومن اشهر الجوامع ايضا
جامع عمرو بن العاص وهو اقدمهم بناه عمرو سنة ٢١ ﻫ وجامع
برقوق بناه الملك برقوق سنة ٧٢٥ ﻫ وهو كاين خارج المدينة
جهة الشرق امام جبل الجيوشي . وجامع حسن بناه الملك الناصر

بن محمد بن كالون سنة ٨٥٧ ه * وجامع المويد بناه الملك المويد
وهو كاين فى وسط المدينة قرب سوق السكرية * وجامع كالون كان
بناوه سنة ٦٨٢ ه * وفيها نحو اربعماية جامع اكثرها خرابا وعدة
مدارس قديمة وحديثة * وفي يومنا هذا جدد فيها لكل طايفة مدارس
لتحصيل العلوم الرياضية واللغات الشرقية والافرنجية هذا بخلاف
ما نعهده فى بلادنا من اوجه الشعب والاكليروس الذين اكثرهم
يتنعمون باموالهم ولا يلتفتون الى انتشار العلوم المفيدة بل دابهم
احتشاد الاموال وقد صدق فيهم قول الشاعر *

انى اشحّ بدرهم متصدقاً * واجود فى قدح بما ملكت يدى

وفي هذه المدينة متنزهات قليلة منها داخل المدينة بركة الازبكية وهى
فسحة كبيرة محيطها يبلغ مسافة ميل كاينة فى الجهة الشمالية الى
الغرب من المدينة مغروسة بالاشجار والرياحين يحيط بها ترعة من
النيل تاتى اليها الناس دايما لاجل التنزه وعلى اطرافها البيوت الجميلة
ومنها بركة الفيل وهى في وسط المدينة بين حارات المسلمين . وخارج
المدينة سهول فسيحة مكتسية بالزروع والاشجار . وبين بولاق ومصر
على الشاطى الغربي من نهر النيل بستان المنيل الذى تقدم الكلام
عليه وهو فى غاية الظرافة * والى الجهة الشمالية جنينة شبرا وهى جنينة
عظيمة انشاها محمد على پاشا واجاد فى تنظيمها حتى صارت تعد من
احسن جناين البلاد الافرنجية وبنى بجانبها دارا عظيمة مربعة ذات
قصور جميلة المنظر فى وسطها حوض كبير ياتي اليه الما بواسطة الات
صناعية وجعل طريقا من المدينة اليها مسافة ميل ونصف يبلغ اتساعه
نحو عشرين ذراعا وعلى جانبها اشجار كبيرة مخيمة عليها *
ويوجد داخل هذه المدينة وخارجها عدة دور عظيمة منتشرة كالنجوم تسكنها

سلالة محمد علي باشا • وعلي الجهة الجنوبية جبل المقطم • وهو هضبة قليلة الارتفاع • وعليه قلعة عظيمة افتتحها جوهر قايد جيش الخليفة موسى الفاطمي الملقب بالمعز لدين الله الذى مر ذكره • وهو الذى يقول فيه الشاعر

وما كانت القوّاد من قبل جوهرٍ • لتصلح ان تسعى لتخدمَ جوهرا
علي انهم كانوا كواكب عصرهم • ولكن راينا الشمس ابهى وابهرا

ثم جدّد بناء ما تهدم منها الملك صلاح الدين يوسف الايوبي • وفي ايامنا هذه حصنها محمد علي باشا واعاد بناء ما خرب منها بسبب احتراق مخزن البارود فيها سنة ١٨٢٤ وبنى فيها قصره الشهير وجامعه الذى هو من احسن جوامع الدنيا وهو مبنيٌّ جميعه مع الصحن الذى امامه على اعمدة من الرخام المصرىّ ومزين بالنقوش الملوّنة المذهبة والثريّات الثمينة • وفي هذه القلعة اثر قصر قديم بناه الملك صلاح الدين المذكور • ولها طريق معوج بين صخور يُصعد اليها منه • وفيها دار الضرب التي يُضرَب فيها كل سنة من الذهب ما تساوى قيمته خمسة الاف الف غرش • ولما توفي محمد على باشا دفن في الجامع الذي بناه فيها • وبني فوقه حجرة جميلة محاطة بشبكة من النحاس • وفى هذه القلعة كرخانة لعمل المدافع وانواع السلاح ومطبعة وديوان مشورة فيه كثير من الكتبة كان اكثرهم من الاقباط ولكنهم اذ كانوا مدمنين علي السكر صدر الامر بنفيهم واقامة غيرهم من المسلمين • وعدد سكان هذه المدينة يبلغ ثلاثماية الف نحو النصف من اسلام اهل البلاد ومن اتراك ومغاربة واعجام واكراد وغير ذلك • والنصف الثاني اكثره من الاقباط اليعاقبة وقليل من ساير طوايف النصارى الذين دخلوا في هذه البلاد من برهة قليلة ويمكن ان تتميزّ كلّ طايفة عن الاخري من مجرد الملابس

فيمكن ان يُعرف المسلم والقبطى والرومى والارمني واليهودى كل واحد من هيئة اللباسية . واما النسآء فلا يمكن ذلك فيهن لان جميعهنّ يلتففنَ بالحبرات السود ويسترن وجوههنّ بالبراقع فلا يظهر الا عيونهنّ وذلك زئ واحد للجميع

واما تفصيل الملابس فى هذه المدينة فان المسلمين تلبس الفقرآء منهم قميصاً طويلا من الخام الاسود ويتمنطقون فى اوساطهم بقطعة من الحبل اوحزام من الجلد . وعلي رووسهم لبادة او طربوش قديم اوعمامة من الخام الابيض . والذين اعلى طبقة منهم يلبسون ثوباً من الشيت ونحوه وفوقه قميص اسود والذين اعلى من هولاء يلبسون الثياب الحريرية وعليها جبة من الجوخ طويلة مخصّرة وعلى رووس الجميع العمائم البيض غالبا . وليس فيهم من ترك العمامة والثياب المعتادة ولبس الطربوش فقط والاثواب الافرنجية الا من دخل في العسكرية فانه يتقلّد ذلك اضطراراً . واما الذين تركت لهم الحرية في الملابس فهم دايماً يحافظون علي ملابسهم القديمة وعوايدهم المالوفة ولا يرتضون بالتقليدات الاجنبية . واما النصارى واليهود فاكثرهم فى هذه الايام قد اضاعوا شرفى عوايدهم اختياراً وخلعوا العمائم التي قيل انها تيجان العرب كما نرى في هذه البلاد من الذين صاروا يحسبون المحافظة على عوايدهم اهانة لهم ويفتخرون بالعوائد الاجنبيّة التي كانوا بالامس يعيبونها فهم يخلعون العمايم والثياب العربية ويلبسون الطرابيش والثياب العسكرية التي دعت الضرورة الى استعمالها عند ارباب الدول فصارت الشيوخ منهم اشبه بالصبيان كما يقول الشاعر

يروع ركانة ويذوب ظرفاً * فما ندرى اشيخٌ ام غلامُ

واما ملابس النسآء فى مصر فالفقيرة منهنّ تلبس قميصاً اسود

كالرجال لا غير وعلى راسها قطعة من الخام الاسود . وبعضهن تعلق في انفها خزاما كنسا العربان او شيا من معاملة الفضة على راسها . ونسا الاغنيا يلبسن ثيابا طويلة من الحرير او غيره واكثرهن يلبسن اقراصا محجرة بالماس على روسهن . ويلبسن الحبرة والبرقع عند الخروج الى الاسواق * واما الرجال الغربا من غير المسلمين فقد استعمل اكثرهم الملابس الافرنجية حتى ان البعض منهم صاروا يلبسون البرانيط كالافرنج ويصطلحون على بعض العوايد المقوتة منهم . وسنستوفي ذلك في كلامنا على الاسكندرية * وفي اكثر ازقة مصر يوجد رجال يقفون بالحمير المسرجة للاجرة فيمكن المسافران يستاجراي وقت شاء الى اية محلة قريبة كانت ام بعيدة وهي كالكروسات في البلاد الافرنجية . وللنسا حمير مخصوصة لها برادع عالية سهلة المراس في الركوب . ومن اهل المدينة من يركب البغال ايضا وقليل جدا من يركب الخيل . وفيها قليل من الكروسات يركب فيها البعض من الذوات الذين يريدون الذهاب والتنزه خارج المدينة لانها لا تسلك في اكثر الطرق التي داخل المدينة لضيقها *

واما اخلاق اهل تلك البلاد وعوايدهم فان اكثر اهل البراري والارياف عندهم جمود الطباع وغلاظتها ويكثر عندهم الكذب والتقلب . واكثرهم سمر الالوان ضعفا الابدان وتكثر فيهم الامراض الوبائية لقذارة مساكنهم والاسهال والامراض الجلدية والرمد لسوء اغذيتهم . وتغلب عليهم الشهوات والانهماك في اللذات والجهل بحقايق الامور ولذلك يكثر عندهم تصديق الخرافات والاباطيل . واكثرهم يغلب عليهم الطمع في اموال الناس والسرقة ويكثر فيهم المكر والخداع . وياكلون غالبا العدس والفول

والسمك المملح والمش وهو دود يتولد في ما الجبن . وقليل منهم من ياكل اللحم والارز وغيره من انواع الاطعمة . وهم يسرعون فى الزواج ويحبون كثرة الزوجات والطلاق عندهم سهل جدا . واكثر النساء يشتغلن في حرث الارض والاعمال الشاقة اكثر من الرجال واغلب الرجال لا يعرفون القراءة والكتابة ومن كان يعرف شياء من ذلك فلا يعرفه حق المعرفة الا قليل منهم *

واما اهل المدينة ففيهم من اصحاب العقول الحاذقة وقد حصلوا الان على درجة من التمدن والعلوم بعناية محمد علي باشا الذى نشا لهم المدارس والكراخين وخرج منهم جملة مشاهير في العلوم الطبية والرياضية *

واما طايفة الاقباط فهم يشتغلون بعلم الحساب دون غيره من العلوم وهم فى غاية الجهل والغباوة لا يرغبون العلوم ولا يحسنون الكتابة ويعتقدون بالمحال والخرافات *

ومن عوايد المصريين الخروج الى بعض المواسم فيذهب كثيرا من النسا والرجال الى تلك الاماكن وناهيك ما يحدث بينهم من الخلاعة وارتكاب المعاصى *

ويكثر في النسا المصريات التهتك عند الرعاع من الناس فمنهن من تطوف فى الاسواق تبيع الفواكة والسمك وغيرهما . ومنهن من تجلس فى الحوانيت تبيع فيها كالرجال ومنهن من تبذل نفسها للغنا وغيره مما لا يليق بالمحصنات واما نسا الاكابر فهن فى غاية التادب والصيانة كغيرهن من نسا بقية البلاد العربية

النبذة الثانية

في ولاية محمد علي باشا على الديار المصرية

اننا قبل ان ندخل في هذا البحث نذكر كيف ان بلاد مصر وقعت تحت سلطة الدولة والمماليك فنقول .

ان بلاد مصر صارت اقليماً من المملكة العثمانية في ايام السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ غير انه لما علم انهُ لايقدر ان يضبط سياستها كما يجب لبعدها عن مركز الدولة ولّي عليها المماليك وقسم ولايتها عليهم اقطاعاً واقام له نائباً من وزراء الدولة يتولي تبليغ اوامر الدولة وانفاذها بواسطة اوليك المماليك الذين كانوا اربعة وعشرين نفراً ويستورد الاموال السلطانية ويوردها الى خزينة الدولة * وكان هناك جماعة من الانكشارية والسباهية يعاضدونه في انفاذ اوامره وصيانة البلاد * غير ان المماليك كانوا قد اقاموا لهم ديواناً من اكابرهم وتمكنوا في تلك الديار حتي صار لهم قوة عظيمة فكانوا يستطيعون ان يرفضوا اوامر الباشا النائب عن الدولة ويعزلوهُ اذا شاءوا فكانت سلطة الدولة علي مصر مجازاً في الوهم لاحقيقة في الواقع

وفي سنة ١٧٦٦ حينما طلب الباشا الاموال السلطانية من على بك القازضغلي احد بكوات المماليك لم يدفعها اليه بل طرده من مصر وضرب السكّة باسمه واضطرّ شريف مكة ان ينادي باسمه سلطان مصر وخاقان البحرين * فكانت الباشاوات بعد ذلك تخضع لاوامر المماليك من دون ادني مقاومة * وكانت المماليك تعزل الباشاوات وتنفيهم من دون ادني مبالاة بالدولة

بالدولة العلية

واما البكوات الذين قاموا بعد علي بك فكانوا اكثر حكمةً وتأدُّباً منه لانهم كانوا يرضخون لاوامر الدولة ظاهراً بكل احتفال لكنهم لايجرونها ابداً * وكانوا يحفظون كثيراً من الاموال السلطانية لانفسهم ويدّعون على الدولة بمرتّبات ومصاريف لارسم لها * وغير ذلك من الحركات المغايرة لرضى الدولة التي كانت تترفق بهم ولاتريد قرضهم عن اخرهم

* النبذة الثالثة *

في دخول الفرنساوية الى مصر

وكانت الشكايات قدتواردت في تلك الايام من تجار الفرنساوية الذين في مصر ان المماليك كانوا يظلمونهم ويسلبون اموالهم وكان في انفس الفرنساوية اربٌ في الاستيلاء على الديار المصرية لكي يضعفوا قوة الانكليز في الهند لان مرورهم يكون عليها * فتجهّز بونابارته في ستة وثلاثين الف صلدات وحضر الى البلاد المصرية ظاهراً لاجل الانتقام من المماليك وباطناً لاجل امتلاكها بناء علي الغاية المذكورة من جهة الانكليز * وكان وصوله الى الاسكندرية في اول شهر تموز سنة ١٧٩٨ فامتلكها بعد يومين * ثم توجه طالباً مدينة القاهرة في ثالث عشر تموز *

وكان مراد بك وابراهيم بك قد نهضا واقتسما الولاية المصرية بينهما وجمعا الجيوش الحربية وخرجا الى الجيزة بقرب

الاهرام وكانوا نحو ستين الفاً . ولما انتشب القتال بينهم وبين
الفرنساويين لم يلبثوا الا قليلا حتي انكسروا وقتل من جماعة
المماليك نحو خمسة الاف فى ميدان الحرب . وغرق مثل ذلك
من عسكرهم فى النيل وانهزم من سلم منهم فى تلك الاطراف . وفى
اليوم الحادى والعشرين من الشهر استولت الفرنساوية علي القاهرة
وعلي جانب عظيم من البلاد المصرية

وكانت دولة الانكليز قد عرفت غاية الفرنساوية فنهضت
لمقاومتهم واحرقت العمارة الفرنساوية التي كانت فى ابو قير وهلك
كل ما فيها مع المهمات والاموال . وكانت قلوب الفرنساوية حينئذ
مشتغلة من نحو ايطاليا والنمسا فضعفت عزائمهم وعزموا علي الانصراف
وكانت الدولة العلية قد ارسلت العساكر الي هناك لمصادمتهم
فانتشب الحرب بينهم وظفرت الفرنساوية بعساكر الدولة فتشتتوا
. وعوّل امير الجيوش بونابارته علي الرجوع الي باريس وذلك بعد
رجوعه عن حصار قلعة عكا فاقام الجنرال كليبر اميرًا علي الجيوش
مكانهُ وانصرف الى بلاده

ولما راى الجنرال انه لا يستطيع الثبات فى تلك الديار اخذ
فى استعمال الوسائط لتخلية البلاد حافظاً شرفه مهما امكن فاجرى
معاهدة مع الدولة العثمانية وتعهد انه يرحل بعد ثلثة اشهر وان
الدولة تقدّم له المراكب لنقل العساكر والمهمات

وفى اثناء ذلك حدثت واقعة يطول شرحها وكانت النصرة
فيها للفرنساوية فثبت قدمهم فى مصر وقويت شوكتهم هناك . وبينما
هم كذلك دخل رجلٌ يقال لهُ سليمان الحلبيّ علي الجنرال كليبر فى
جنينة واعطاه كتاباً . وبينما هو يتصفح الكتاب ضربهُ بخنجر كان

تحت ردائه فالقاه قتيلاً . وكانت العلماء قد غرت ذلك الرجل بمبلغ من المال فاقتحم تلك الفعلة التي مات بها مقطّعاً قبل ان يموت الجنرال المذكور . ولما توفي الجنرال كلببر قام مكانه الجنرال منو وكان ضعيف الرأي في السياسة والامور الحربية فكانت شجاعة اصحابه تتناقص يوماً فيوماً . وكانت اهالي البلاد تنفر منه لسوء تصرّفه معهم وضباط العساكر لاتطيع اوامره السخيفة . ولما علمت دولة الانكليز بذلك ارسلت ستة آلاف عسكري الى نواحي الاسكندرية ومعها عسكر من جنود الدولة العثمانية واضطر الجنرال المذكور الى تسليم الاسكندرية والخروج من البلاد . فسافر من بقي من العساكر الفرنساوية في اخر شهر ايلول سنة ١٨٠١ ومن جرى هذه الوقايع ضعفت دولة اوليك المماليك في مصر وانكسرت شوكتهم المعهودة

وكان قد بقي في بلاد مصر بعد رحيل الفرنساوية عنها نحو اربعة آلاف من عسكر الارناوط الذي حضر من طرف الدولة العلية ومعهم جماعةٌ من العساكر الانكليزية تحت راية الجنرال كيث الانكليزي . فصدر الامر العالي الى محمد خسرو باشا الصدر الاعظم المرسل من قبل الدولة ان يقرض من بقي من المماليك في الديار المصرية . فلم يلبث ان اشهر الحرب عليهم لسوء تصرفه وحينئذ نهضوا لمقاومته وكانوا تحت ادارة عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالفي فكسروا عسكره وشتتوه . وكان محمد علي ضابطاً علي جماعة من الارناوط تحت ادارة القايد الاكبر فغضب القايد من تلك الكسرة واتهمه بالخيانة فشكاه الى خسرو باشا فدعاه الباشا ليلاً وهو يريد ان يقتله فلم يحضر وكان قد تاخر دفع الماهيات للعساكر ففترت عزايمهم وحينئذ اغتنم محمد علي الفرصة وانضم بجماعته الى المماليك واتحد مع

عثمان بك البرديسي ونهضا لمحاربة خسرو باشا فظفروا به وقبضوا عليه واخذوه اسيراً الى القاهرة وسلّموه الي ابراهيم كبير المماليك . وكان ذلك سنة ١٨٠٣ ولما بلغ ذلك مسامع الدولة ارسلت الي مصر علي باشا الجزايرلي ليجلس مكان خسرو باشا وينتقم من العصاة . فصار يحتال علي المماليك والارناوط لياخذهم بالمكر . فلما رأوا منه ذلك غضبوا وانتهزوا الفرصة حتي وقع في ايديهم فقتلوهُ . وما مضى بعد ذلك الا قليلٌ من الزمان حتي وقع الانشقاق بين المماليك واشتعلت نار الحسد والعداوة بين عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالفي . وكان عسكر الارناوط تحت لواء عثمان بك ولهم عنده اموال مكسورة منذ ثمانية اشهر فلما رأوا ضعف دولته نهضوا عليه وطلبوا المال الذى لهم عندهُ وتهدّدوه بالقتل ان تاخر عن ايراده . ولم يكن حينئذ في يدهِ مال فاضطرّ ان يوزّع مطاليب علي اهل البلد لكي يرضي الارناوط بها . فهاجت الاهالي ولم تدفع له شيئاً . ومن ثمّ نهضت جماعة الارناوط بتدبير محمد علي وهجموا على دار عثمان بك وحاصروهُ بها . وكذلك فعلوا بغيره من البكوات وحصروهم في منازلهم تحت الضنك الشديد . وكان عثمان بك شجاعاً مارداً فخلّص نفسهُ وهرب من المدينة ولم يَعُد اليها . وكان ذلك سنة ١٨٠٤

واما محمد على فكان قد حصل على صداقة العلماء ومحبة الشعب فارتقى بواسطة هذه الحركات الي ان يكون هو المتولّي فكان اول شيءٍ صنعه هو ترجيع محمد خسرو باشا الى وظيفته . ولكن كبرا الارناوط لم يقبلوا ذلك بل اخذوا خسرو باشا الي رشيد ومن هناك انزلوه في البحر وارسلوهُ الى القسطنطينية . فلم يقاومهم محمد على خوفاً منهم وسلم تلك الوظيفة الي رشيد باشا والي الاسكندرية

وسماه نائب الملك . والمشايخ ورؤساء العساكر سموا محمد على قائم مقام على المدينة واثبت له الباب العالي هذه التسمية

ومن ذلك الوقت ابتدأ محمد على بالتسلط على الديار المصرية وهو رجل من بلد يقال لها كافال من بلاد الارناؤط التي هي في بلاد الروملّى . ولد سنة ١٧٦٩ ومات ابوهُ وهو صغير السنّ فاخذه احد الاغوات وربّاه عندهُ الى ان بلغ سن الكمال فتزوج واشتغل بمتجر الدخان وصار صاحب ثروة . ولما اغارت الفرنساوية على بلاد مصر ارسلت الدولة عساكر لمحاربتهم وامرت اهالي المدينة التي كان فيها محمد علي ان يقدموا ثلثماية نفر فكان من جملة الذين تقدموا وحضر واقعة بوقير وظهرت منه الشجاعة فى تلك المعركة فدعي سرجزار اى رئيس الف . وبعد انصراف الفرنساوية ارسلت خسرو باشا لمحاربة المماليك وحصل ما حصل كما مرّ

واما خورشيد باشا فكان قد اشتدّ عليه الحال لانه كان يلزم من جهة ان يقاوم المماليك فيحتاج العساكر، ومن جهة اخرى تطالبه العساكر بالاموال المكسورة لهم فلا يملك ما يعطيهم اياهُ ولا يتجاسر ان يفرض شيأ على الاهالى . واخيراً طلب لهم امراً من الباب العالي بالرجوع الى بلادهم فاطاعوا الا ان محمد علي كان لايريد ان يمتثل الامر فكان يتجهّز للسفر ظاهراً على اعين المشايخ الذين كان يجتهد ان يرضيهم دائماً ويحامى عنهم لعلّهم يمسكونه عندهم فى المدينة . واتفق فى ذلك الوقت ان جماعةً من عسكر خورشيد باشا اغاروا يوماً على المدينة وجعلوا ينهبون في الاسواق فقدمت المشايخ شكوى الى خورشيد باشا لكى يردعهم فلم يقدر علي ردعهم ومن ثم عزلته المشايخ واجلست محمد علي مكانه وكان ذلك فى تاسع

شهر تموز سنة ١٨٠٥

وكانت الدولة قبل ذلك لما علمت بفتنة الارناوط في مصر كما مرَّ ارادت ان تبعد محمد علي عن مصر فسمته وزير جدة . ولما اجلسته المشايخ علي تخت مصر حضر فرمان من الباب العالى بتقريره علي وظيفة عزيز مصر

ولما راى محمد على باشا ان المشايخ كان لهم سلطةٌ على قلوب الشعب وكرامةٌ عند ارباب الدول تمسَّك بهم واحتفظ على صداقتهم واخذ يجتهد في ايراد الرواتب للعسكر وارضآئه . وكان غالبًا يجول بنفسه في ازقَّة المدينة ويردع من يتعدَّى علي الناس من الانفار العسكرية . وكان يستشير العلمآء والمشايخ في جميع الحوادث المهمَّة وياخذ رايهم . فمال اليه الرفيع والوضيع وصاروا من تلقآء ذواتهم يوزّعون الاموال على انفسهم ويقدمونها لهُ

وكان محمد بك الالفى قد حزَّب جمهوراً غفيراً من الاهالي بعد عزل خورشيد باشا وطلب منه ان يتحد معه على محاربة محمد على باشا وطرده من مصر . وكتب الي قبطان باشا الذى كان حينئذٍ في الاسكندرية وتعهَّد له بالخضوع للدولة اذا صدرت اوامرها بطرد محمد على باشا من الديار المصرية . وكان مستنداً علي بعض عُمَد دولة الانكليز الذين تهدَّدوا القبطان المذكور بركوب العساكر الانكليزية الى مصر اذا بقيت في يد محمد علي والارناوط . فلم يلتفت الي طلبهم غير ان الالفى لم يترك السعي في ذلك فتعهَّد لعُمَد الانكليز المذكورين انه يسلّمهم الشطوط البحرية المصرية اذا قضوا لهُ تلك الحاجة . فاغترت دولة الانكليز بذلك وطلبت من الباب العالى ترجيع المماليك واقامة محمد بك الالفى ريساً عليهم وكفلتهُ بدفع المال المرتب عليه للدولة .

فاجابت الدولة وارسلت الى مصر عمارةً بحرية تحت ادارة قبطان باشا غير الاول واصحبتهُ بفرمان الى محمد علي باشا تامرهُ بالخروج من مصر والتوجه الى ولاية سالونيك . فاظهر الامتثال لامر الدولة ولكن العسكر والمشايخ اعترضوهُ ومنعوهُ عن التوجه . وكذلك البكوات الذين كانوا من حزب البرديسي والفرنساويين لم يكونوا يرتضون بانتصار راي عدوّهم المستند على قوة الانكليز

واما قبطان باشا فلما بلغتهُ احوال المماليك وانشقاقهم لم يجد في توليتهم صواباً فكتب الى الباب العالي معاضداً محمد علي باشا حتى غيّر عزم الدولة وارسلت له تقريراً على ولاية الديار المصرية بشرط ان يدفع الى خزينتها اربعة آلاف كيس . فاخذ يجتهد في تحصيل المال حتى تمّم ايراده . وبعد ذلك توفي عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالفيّ في وقت متقارب احدهما في تاسع عشر تشرين الثاني سنة ١٨٠٦ والاخر في اخر كانون الثاني سنة ١٨٠٧ وصفت ولاية مصر لمحمد علي باشا وخلا ميدان الوزارة لهُ

وفي هذه السنة غضبت دولة الانكليز لما رأت الدولة العليّة قد مالت الى محمد علي باشا فارسلت عساكرها الى الاسكندرية ولم ينجحوا الا انهم بعدما تملكوها انكسروا مرةً في رشيد ومرةً اخرى في حمد . وكان بين تملكهم الاسكندرية وكسرتهم الاخيرة ثلثة عشر يوماً . والمماليك الذين كانوا معتمدين عليهم انكسرت عزائمهم فانضم بعضهم الى محمد علي باشا وبعضهم رجعوا الى اماكنهم في الصعيد . فالعساكر الانكليزية اقاموا في الاسكندرية نحو ستة اشهر ثم تركوها وانصرفوا الى بلادهم في رابع عشر ايلول سنة ١٨٠٧

وكان في تلك الايام قد ظهر في الحجاز عبدالله بن سعود

الوهّابي وكان قد خرج عن الطريقة الاسلامية وتحزّب معهُ عصائب من العرب فاغاروا على المدينة ومكة واستولوا على تلك البلاد ونهبوا ما كان في الحرمَين من الاموال والتحف وكانوا يتعرضون للحجّاج فينهبون منهم ويقتلون فتوقفت الناس عن الحج . فحضرت الاوامر من الدولة العلية الى محمد علي باشا ان يجرّد عساكرهُ لمحاربة هولآء المبتدعين . وكان قبل ذلك قد نهض جمهور المماليك لمحاربته وجرت بينهم وبينهُ وقائع فاهلك منهم جانباً واخيراً رضي معهم بالمصالحة وكفّ الحرب عنهم لانهُ لم يكن لهُ ثقةٌ بالصلح فكان يخشى ان يُخلي مصر من العساكر . وكان ظنّهُ صادقاً لانهم لما علموا انهُ سيخلي البلاد من القوّة العسكرية تعصّبوا واستعدّوا لحربه . ولما بلغهُ ذلك دعاهم الي القاهرة ليحضروا تلبيس ولده ترسم باشا على رياسة العسكر المتوجه الي حرب العرب الوهّابية فحضروا . وحينئذٍ امر الارناؤط ان يقتلوهم عن اخرهم بدون رحمة فقتلوا كل من ظفروا به منهم . والذين سلموا هربوا الى بلاد الحبش . وكان ذلك في اول شهر ادار سنة ١٨١١ وهكذا في يوم واحد تمّم محمد علي باشا الغاية التي كانت الدولة العلية تجتهد في نوالها من زمان طويل

واما ترسم باشا فانه توجه بالعساكر المصرية الى بلاد العرب وجرت بينه وبين الوهابيّة وقائع كثيرة ودام ذلك بينهم نحو ست سنوات حتي اضطرّ محمد علي باشا ان يركب بنفسه على الحجاز . ولم يكن للعرب طاقة على الثبات بعد ذلك فانكسرت عزائمهم وتشتتوا بعد ما قتل منهم خلق كثير ولكن بينما كان محمد علي باشا يجاهد بشخصه في خدمة الدولة اعطت لطيف باشا فرمانا تقلّد ولاية مصر فحضر اليها في غياب محمد علي باشا ولم يشهر الفرمان

قبل امتلاك خواطر العلماء والاهالي خوفاً من سوء العاقبة فصار يسعى في اجتذاب الناس نحوهُ . وكان محمد بك وزير الحرب في دولة محمد علي باشا قد بقي في مصر فكان يجاري لطيف باشا ظاهرا حتى تشجع واشهر نفسهُ فامر محمد بك بقتله واستمرت ولاية مصر تحت راية محمد علي باشا . وكان ذلك في شهر كانون الاول سنة ١٨١٣

وفي سنة ١٨١٥ اراد محمد علي باشا ان يرتب عساكره على الطريقة الافرنجية فاستثقلت الاتراك والارناوط ذلك لان فيه مشقة في التعليم وكراهة في تغيير الملابس الشرقية المعتبرة عندهم على الافرنجية التي يزدرون بها . فجعل يرسلهم الى اطراف البلاد وما يليها مثل سنار وكردفان والحجاز لكي ياخذوا لهُ اياها . فاستولوا على سنار وكردفان وفي سنار قتل ولدهُ اسماعيل باشا بمكيدة نصب له اياها رجلٌ من ضباط العساكر . وكان ذلك بسنة ١٨٢٠

واما محمد علي باشا فانه بعد توجه عساكر الاتراك والارناوط من مصر اتخذ عساكر جديدة من الاهالي ونصب في اسوان مقام التعليم تحت ترتيب سليمان باشا الذي كان احد العساكر الفرنساوية . وجلب من بلاد فرنسا ضباطاً عسكرية واطباء ماهرين ومن جملتهم الاستاذ الشهير كلوط بك وانشاء في مصر مدارس شهيرة وخستهخانات عظيمة وكراخين كبيرة ونحو ذلك من الاعمال الغريبة التي جعلت بلاد مصر تتقدم يوماً فيوماً في تحصيل العلوم والفنون والصنائع وفي التمدن والتهذيب لانه كان يستحضر المعلمين وارباب المهن من البلاد الافرنجية ويرسل تلامذة من الاهالي الى هناك لكي يتعلموا ثم يعلموا بعد رجوعهم وينشروا العلوم في الديار المصرية

وفي سنة ١٢٣٦ هـ الموافقة لسنة ١٨٢٠ م اظهرت الاروام في جهة المورا العصيان على الدولة العلية فصدر الامر الى محمد على باشا ان يركب على تلك البلاد فامتثل الامر وارسل عسكرا قليلا لظنه ان المهمة لاتحتاج الى مزيد الاعتنا ولكنه لما راى عظم القضية وتصحب بعض الدول الافرنجية جرد عسكرا كثيرا وكان قد تجهز عنده اربعة وعشرون الفا من العساكر فارسلها بالعمارة البحرية وكانت ثلاثا وستين قطعة حربية ومائة قطعة وسقية وكان في تلك العمارة ستة عشر الف مقاتل من الرجال وسبع مائة من الخيالة واربعة اجواق من اللغمجية وجميع العدد اللازمة للحرب والحصار . وكان رئيس هذه العساكر ولده ابراهيم باشا فنجح في اعماله حتى كانت واقعة نافارين * فرجع الى الاسكندرية كما ياتي تفصيل ذلك في حيوة السلطان محمود *

وكان عبد الله باشا والى ايالة صيدا ابن رجل من مماليك الجزار يقال له علي اغا الخزندار ارتقى الى ولاية عكا سنة ١٢٣٥ بعد وفاة سليمان باشا الذى تولى على ايالة صيدا بعد احمد باشا الجزار فكان عديم الثبات في اعماله وكان يفرض على الاهالى مطاليب باهظة ويحملهم ما لا تطيق انفسهم حتى كانت اهالى المدن يفرون الى الجبال خوفا من ظلمه وكان يطلب من المير بشير حاكم جبل لبنان اموالا غزيرة على طريق القرض ولا يحاسبه بها . وكان يرسل له هدية ثم يعود فيطلبها منه حتى انه فى سنة ١٢٤٦ هـ اظهر اهل نابلوس العصيان عليه وتحصنوا فى قلعة هنالك يقال لها قلعة سانور فارسل الى المير بشير ان يسير لمحاربتهم بجماعته فامتثل الامر وجمع عسكرا من البلاد وسار اليهم وكانت الايام باردة جدا وبعد حرب شديد سلمت

القلعة على يد المير المذكور * ولما بلغ عبدالله باشا ذلك فرح فرحا
عظيما وارسل يامره بالرجوع الى البلاد واضمر فى نفسه ان يقتله وكان
عند الباشا رجل يقال له ابراهيم اغا ارسل يحذر المير من غدره واشار
عليه بان لا يمر على عكا في رجوعه الى بلاده * فمن جرى هذه الحركات
نفرت الاهالى منه وكرهت احكامه لسو اعماله وكان عبدالله باشا قبل
ذلك قد تعدى على وزير دمشق وارسل اليه المير المذكور بالعساكر الى
تلك الاطراف فجرت بينهم جملة وقايع وتغلب عليهم فغضبت الدولة
على عبدالله باشا وارسلت مصطفى باشا وزير حلب بالعساكر لمحاربته
وحاصروه في عكا . فارسل المير بشير الى مصر متراميا على محمد على باشا
برفع غضب الدولة عنه فاجاب سواله وسعى فى حاجته حتى صدر
العفو من الباب العالى وارتفع عنه الحصار فكانت مكافاة المير منه
بعد رجوعه الى البلاد انه ارسل فطلب منه قرضا من المال نحو اربعماية
الف غرش فجمعها من الاهالى ظلما وارسلها له * ولسو تصرفه عوضا من
ان يقابل نعمة محمد على باشا بالشكر صار يبذل جهده في كل ما يزعج به
خاطره تكبرا منه لكى يظهر للناس انه ليس تحت امتنه وان الدولة
لم تعف عنه بواسطته وما زال على ذلك مدة طويلة حتى اوغر صدر
محمد على باشا حنقا منه وعزم على تاديبه بالانتقام الامر الذى كان
المير ينتظره * وفي اليوم الثانى من تشرين الثانى سنة ١٨٣١ جهز
العساكر وارسلها الى عكا كما ياتي تفصيل ذلك ان شا الله في مكانه

ولما بلغ الباب العالى ركوب محمد على باشا على عكا ارسل
اليه العساكر واما ابراهيم باشا فبعدما اخذ عكا سار الى دمشق ومنها الى
حمص وهناك حصلت واقعة عظيمة فى جورة حمص مع عساكر الدولة
وقتل من الفريقين خلق كثير ووقع فى يد العساكر المصرية الفان من

الاسارى فامنهم ابراهيم پاشا وادخلهم بين عسكره ورجعت عساكر الدولة الى الورا فكتب ابراهيم پاشا الى ابيه بخبره بتلك النصرة * وكان ذلك في ثامن شهر تموز من السنة المذكورة . وبعد ذلك كسر في نواحي بيلان جيش حسين پاشا الصدر الاعظم . غير ان رشيد پاشا الصدر الاعظم الشهم الشهير الذي اعتقبه قد كسره في ايقونية كسرة هايلة واخرجه منها وشتت عساكره ولولا وقوعه اسيرا اتفاقا لانقرضت العساكر المصرية ولهذا عاد فتغلب على العساكر الشاهانية هناك وفي نزيب ايضا

وفي اثنا ذلك توفى السلطان محمود رحمة الله عليه . وجلس على تخت الخلافة حضرة ولده السلطان عبد المجيد فامر باخراج عساكر محمد على پاشا من الديار الشامية وارسل حالا العساكر الشاهانية المنصورة لاخراجها * وبما ان العمارة كان قد هرب بها احمد پاشا القايقجي الخاين الى الاسكندرية قدمت الدول المتحابة وهم الانكليز والمسكوب والنمسا وبروسيا ما يلزم من المراكب لايصال العساكر الشاهانية والمساعدة على اخراج العساكر المصرية من الديار الشامية . واما دولة فرنسا فلم توافقهم . فتوقف محمد على پاشا عن اخراج العساكر املا باسعافها له * فضربوا شطوط عربستان حيث كانت مهماته الحربية فامتلكوها واخذوا عليه طريق البحر . وكان اكثر مهماته فى قلعة عكا الحصينة فقصدوها واطلقوا عليها المدافع والقنابر والحراقات فوقعت النار فى الجبخانة فاحترقت وتسلمت عساكر الدولة المدينة فى ساعة من الزمان * وفي اثنا ذلك حضر اعلام من فرنسا الى محمد علي پاشا ينذرونه بانهم لا يريدون ان يخاصموا لاجله الدول المتحابة فلا يكن له اتكال على مساعدتهم له * وحينئذ ارسل الى ابراهيم پاشا يامره بالرجوع * وكانت الدول المتحابة قد توسطت بالصلح بين

حضرة السلطان عبد الحجيد خان ومحمد على باشا بالرضى * فجمع ابراهيم ما بقى معه من العساكر وذهب بها الى دمشق ومنها الى مصر * واما الباب العالى فقد صفح عن محمد على باشا وقبل توسط الدول المتحابة وانعم عليه بولاية الديار المصريه لذولذريته بموجب شروط فطاب قلب محمد على وذهب الى الاستانا العليه يقدم خضوعه وعبوديته الى الباب العالى وفي ذكر المرحوم السلطان محمود الثاني نستوفي تفصيل ذلك

النبذة الرابعة

* فى صفات محمد على باشا واولاده *

فصل

* في صفات محمد على باشا واخلاقه *

وبما هذا الانسان كان شهيرا فى ذلك العصر والاوان من بين الرجال استحق ان نذكرهنا شيا من صفاته بوجه الاختصار فنقول ان محمد على باشا كان معتدل القامه قوى البنية دموى المزاج عريض الجبهة بارزها عسلى العينين غايرهما صغير الانف والفم خفيف الاطراف . وكان سليم القلب سريع الغضب قريب الرضى صادق الوعد امينا في تصرفه حكيما فى اعماله سديد الراى كريما فى الغاية حريصا على عمار البلاد وديعا فى معاشرته محبا لاولاده وجنوده صفوحا عن المذنبين اليه حتى انه كان ينسى ذنوبهم فى اكثر الاحيان . وكان جسورا على ملاقاة الاهوال صبورا على الشدايد ثابت العزم في اموره شديد المحافظة على شرف نفسه وكان قوى التصور سريع الادراك للامور البعيدة بصيرا في الحساب العقلى عجيب البداهة فيه مع انه لم يدرس علم الحساب حتى انه لم يتعلم القراءة حتى صار عمره خمسا واربعين سنة فتعلمها في اقرب وقت ورغب بعد ذلك في مطالعة التواريخ فقرا كثيرا منها . وكان حاذقا في الفراسة حتى كان

في بعض الاحيان اذا تكلم احد بلغة غريبة يفهم مقصده من مجرد النظر الى حركاته واشاراته . وكان يحب مجالسة العلماء والعقلاء ويستشيرهم في بعض اموره فكان يعتمد في اكثر تصرفاته علي صاحب التدابير الجميلة امير اللوا كاوطابك وكان نشيطاً يحب الحركة ويكره الكسل والبطالة. وكان قليل النوم سريع اليقظة ينهض غالباً قبل الفجر . وكان يقرا الشكايات والاعراضات التي تتقدم له يوميًا ويعطى عنها جوابًا ثم يذهب الي افتقاد الاعمال البنائية التي كان مغرمًا بها . وكان متدينًا ولكن بدون تشدد وتعصب فكان يعطى الحرية لكل المذاهب ولا يميز بين الطوائف والملل . وهو اول من اعطى النصارى شرف المراتب ورفع آخرين الي رتبة امراء لايات وبيكباشية وغيرهم الي رتبة افندية وهلم جرا . وكان يحب لعب الشطرنج والضامة ويمارسهما حتي كان يحسب من البارعين فيهما . ولكنه كان اميل الى الضامة لانه يرى فكاهة فيها اكثر من الشطرنج وهي لعبة تركية توافق مشربه الجنسى وكان حيثما سمع برجل حاذق في لعبها يستحضره اليه . وقد استحضر من هذه الاطراف رجلاً من اهالي حلب يقال له حنا ظريفة فاعجبه لعبه وامسكه عنده زمانًا طويلًا وكان فقيرا فاغناه ومازال عنده حتي توفي هناك . وطلب حسين الغول من بيروت ولسوء حظه لم يرد ان يفارق وطنه . وكان يحب ركوب الخيل لانه كان من الفرسان المعدودين . وكان مغرماً ببناء العماير وانشاء الاغراس وتمهيد الطرق واصلاح الاراضي واتقان الصنايع والاعمال حتى نقول بالاجمال انه كان افضل رجل من رجال زمانه في جميع اوصافه وحكمته الفريدة . وكانت وفاته بعلة سوداوية في مدينة الاسكندرية في اليوم الثاني من شهر اب (سنة ١٨٤٩) وكان عمره اذ ذاك (٧٩ سنة)

فصل
* في ابرهيم باشا *

هو ابن محمد علي باشا لصلبه وغلط من قال غير ذلك . وهو ولده البكر ولد في مدينة كافال بعد زواج ابيه بسنتين فيكون ذلك (سنة ١٧٨٩) وكان متوسط القوام في الطول ممتلئ البدن قويّ البنية مستطيل الوجه والانف اشهل العينين سوداويّ المزاج اجشّ الصوت . وكان علي جانب عظيم من الشجاعة وعلو الهمة وشدة الباس والنخوة لايبالى بالرزايا ولا يلين جانبه ولا يصطلى بناره . وكان مع ذلك سعيد الطالع موفقاً في غاراته وغزواته تعتز به العساكر وتشتد قلوبها بسطوته فكان كما قال الشاعر

الجيش جيشك غير انك جيشهُ   في قلبهِ ويمينهِ وشمالهِ

وكان يستميل قلوب العساكر اليه بوداعته معهم وغيرته عليهم وحرصه على حفظ صحتهم كانهم اولاده . وكان لايبالى بتنعم نفسه في الاسفار ولا يعتني بالاطعمة والملابس حتى ان الذى يراه لايظن الا انه احد الانفار العسكرية وكان يتكلم بالتركية والفارسية ويكتب بهما . وحينما كان عمره ست عشرة سنة كان متسلما ادارة العساكر ولما شرع ابوه في تنظيم العساكر على الطريقة الافرنجية كان اول من باشر هذا التعليم بنفسه حتى استحق بعد ذلك وظيفة السر عسكرية . وفي ايام ولايته على بلاد سورية قطع اسباب الفتن والقى الرعب في قلوب الاهالي ونشر الامان في جميع الاطراف القريبة والبعيدة حتى لايجسر احد ان يتعرض لصاحبه بادني سوء واخيرا اخذ سلاح الاهالي كما فعل ابوه بالديار المصرية . وبنى كثيرًا من الابنية النافعة للعسكرية وللرعايا

ايضاً . ولما اخرجت الدولة العلية عساكر محمد على من بلاد سوريا باتفاق بعض من الدول الافرنجية رجع ابرهيم پاشا الى مدينة مصر مع من بقي من عساكره حافظاً حق الحدامة ومال الى عمار القرى والبلاد التى تخصه واكثر فيها الحراثة والزراعة ولما عجز ابوه وتقدم في السن اقيم واليا عوضه غير انه لم يستقم مدة طويلة فتوفي قبل ابيه بدآء الاسهال وكانت وفاته في عاشر يوم من شهر تشرين الثاني (سنة ١٨٤٨) وكان عمره اذ ذاك (٦٢ سنة) وهذا البطل يستحق ان يرقم اسمه فى رقعة دايرة الابطال الذين ارتفعت اسماوهم فوق اوج السعادة بالشجاعه . وترك ثلاثة اولاد اكبرهم احمد بك ولد (سنة ١٨٢٥) وهو كثير المشابهة لابيه وكان يرافقه في بعض اسفاره وقد نظرته معه في مدينة عكا والثاني اسماعيل بك ولد (سنة ١٨٣٠) والثالث مصطفى بك ولد (سنة ١٨٣٣) وكلهم اصحاب شجاعة وعقول فايقة ٭

فصل

٭ فى بقية اولاد محمد على باشا ٭

الثاني من اولاد محمد على باشا كان ترسم باشا المولود في كافال . وكان مشهورًا بالكرم ومحبوبًا جداً تميل اليه الناس لحسن تصرفه وبعد وفاته ترك ولده عباس باشا المولود (سنة ١٨١٣) الذى تولي على الديار المصرية بعد ابرهيم باشا ٭

والثالث اسمعيل باشا الذى قتل فى حرب سنار ولم يخلف احداً ٭

ومن اولاده ابنة تزوج بها محمد الدفتردار ثم توفي فلم تتزوج لشدة حزنها عليه . وكانت توصف بحسن التعقل والادراك ٭

ولما انتقل محمد علي باشا الى مصر ولد له اولاد كثيرة واكبر الموجودين الان سعيد باشا الوالي على الديار المصرية بعد عباس باشا . ولد (سنة ١٨٢٢) وهو حسن الاخلاق كريم النفس . درس اللغات الشرقية وتعلم علم الحساب والرسم وسفر البحر واللغة الفرنساوية وهو يتكلم بها بكل فصاحة . ولمحمد علي باشا اولاد اخرون منهم ابنة مولودة (سنة ١٨٢٤) . وحسين بك ولد (سنة ١٨٢٥) . وحليم بك ولد (سنة ١٨٢٦) ومحمد علي بك ولد (سنة ١٨٣٣)

هذا ما قصدنا ذكره بالاختصار عن هذه العايلة الجليلة وهم يتوالون الاحكام بالتعاقب على البلاد المصرية من طرف الدولة العلية ودابهم عمل الرحمة وعمار البلاد وراحة العباد وانشا المدارس والعلوم ونشر لواء التمدن والفنون ورفع برقع الجهالة والتغفل عن اعين اهل تلك البلاد الذى كان منسدلا عليهم من اجيال عديدة وان شاء الله تعالي بانفاس الدولة العلية وهمة هذه العايلة الجليلة يزيد تنورهذه البلاد بالعلوم والصنايع والفنون *

الفصل الرابع

* في ذهابنا الي القسطنطينية *

قد تقدم الكلام على استيذاننا في الانصراف من مصر . والان نرجع الي اتمام الحديث فنقول اننا بعد ما اخذنا تذكرة السفر توجهنا الي الاسكندرية فمكثنا نحو ثلثة اشهر عند حسين باشا لانه كان مريضا فمكثت اعالجه الي ان شفى ثم طلبت فابورًا يحضر من هناك الي بيروت فلم اجد لان الفوابير دايما يذهبون الى ازمير اولا ومن هناك الي بيروت فسافرت الى ازمير فمررنا في طريقنا

علي جزيرة كريت. ثم دخلنا بين جزائر البحر الابيض الى ان وصلنا الى سيرا . وهي جزيرة صغيرة من جزاير الاروام . ثم الى مدينة ازمير وهي احسن مدن الدولة العلية بعد القسطنطينية مبنية علي جون من البحر يعلوها قلعة قد هُدم اكثرها . وابياتها مبنية من الخشب ولذلك كانت معرضة للحريق حتي ان ثلثة ارباعها قد تلفت بحريق النار الذى حصل (سنة ١٨٤١) واكثر ازقة هذه المدينة ضيقة المسالك معوجة الطرق والنوافذ قذرة الشوارع . واحسن مكان فيها محلة الافرنج فان فيها البيوت الجميلة والمخازن العظيمة واللوكندات المرتبة وتياترو للملاهي وفيها جملة جوامع وكنايس وقشلة للعسكر وكورنتينا ومحل للتنزه خارج المدينة . واهلها يبلغون نحو ماية وخمسين الفًا منها نحو ثمانين الفًا من المسلمين ونحو اربعين من الروم وخمسة عشر الفًا من اليهود وعشرة الاف من الارمن واربعة الاف من الافرنج *

وكان في اثناء ذلك قد حضر الامير بشير الشهابي الذى كان واليًا في جبل لبنان الي القسطنطينية فلما بلغني ذلك احببت الحضور الى هناك اولا لاجل مشاهدة الامير المشار اليه لانني ربيت في نعمته وهو الذى كان الواسطة في حصولي علي هذا العلم . وثانيًا لاجل التفرج على هذه المدينة التي هى من اعظم مدن الدنيا . فنزلنا في القابور قاصدين مدينة القسطنطينية وكان ذلك (سنة ١٨٤٢) ومازلنا سايرين حتي وصلنا الي شنق قلعة المعروفة بالدردانيل وهناك المضيق العظيم الذى تدخل منه المراكب الي بحر مرمرا . وعلي كل جانب من هذا المضيق قلعة عظيمة فيها ستماية مدفع . ثم وصلنا الي كاليبولي وهي في اول بحر مرمرا وما مضى الا قليل من الزمان حتي ظهرت لنا مدينة القسطنطينية . وكلما كنا نتقدم كانت تظهر لنا

رؤوس المواذن المذهبة وقبب الجوامع العظيمة وشواسخ الابنية الجميلة . ومازلنا نتقدم حتي وصلنا الى بلدة يقال لها ارناؤط كوى فنزلنا الى البرّ واذا جماعة من جنود الامير وقوفاً هناك فلما عرفوني رحبوا بي وادخلوني الى منزل الامير فتلقاني بالبشاشة وامر بافراد منزل لي فاقمت عنده مدة بارغد عيش . وفي اثناء ذلك كان رجل من الاروام ينطرح علي الطريق امام منزل الامير ولا يفتر عن البكاء والصراخ . وكان الطبيب الذى عند الامير قد عالجه مدة طويلة ولم ينتفع بشى فامرني بعلاجه . فلما نظرته وجدته قد اصيب بعلة الحصى فاستخرت الله في استخراج تلك الحصاة واذا هي بوزن خمسة واربعين درهما . فعجب الامير من ذلك وشفى ذلك الرجل وصار يشتغل كواحد من الناس الاصحاء بعد ما كان له نحو اربع عشرة سنة يكابد آلام ذلك المرض حتي عجزت جملة اطباء عن علاجه وقطع رجاءه من الشفا . وعند ما بلغ طبيب تلك البلدة هذا الخبر حضر مسلماً عليّ ودعاني الى منزله وفي اثناء ذلك اخبرني ان العادة الجارية هناك ان الطبيب الذى يحضر لا بد ان يعرض ما معه من الشهادة علي رئيس الاطباء وبعد ذلك يخرج له الاذن في المعالجة . فاجبته انني عابر سبيل واقامتي في الاستانة الى ان يسافر الامير فاسافر معه . فقال ان الامير ليس علي نية السفر ولا بد من مواجهة رئيس الاطباء فانا اخبره عنك واخبرك بعد ذلك . وكان الرئيس يومئذ عبد الحق مولي افندي قاضي عسكر ايالة الروم الذى كان من اعظم رجال الدولة فقابل صديقي الطبيب المذكور وحضر اليّ في اليوم الثاني يقول انه يدعوك اليه . ولما دخلت عليه امرني بالحضور في وقت معين الى المدرسة الطبية المعروفة بغلطة سراى . فحضرت ومعى

الشهادة كما امرني وهناك قدمت له اياها فـاخذ يلاطفني بالكلام وقال انه يريد ان يتحقق كفايتي في العلم ولو كانت الشهـادة التي معي كافية للاقنـاع فلا يثقل علي . فاجبته بالسمع والطاعة ثم امرني بالجلوس علي كرسيّ امـام المعلمين وكان في صدر مجلسهم الدكتـور برنرد النمساوى الشهير طبيب الباب العالي الذى كان من اعظم اطباء وجّراحين ذالك العصر . فامرهم الريّـس بالقاء المسايل علىّ فسـالوني عدة مسايل تشريحيّة وطبيّة وجراحيّة وكيمـاويّة وغير ذلك فاعجبتهم اجوبتي ومدحوا ما حصّلته في المدرسة المصريّة . ولكن قالوا ان حيوة العلم بالعمـل فيلزمني لا جل التمهّر والحصول علي درجة الدكتوريّة اى الاستاذيّة في الطبّ ان امارس المعالجات وزيارة المرضى مع اطباء المدرسة وبذلك اكتسب اللغة التركية والفرنساويـة لاجل مطالعة كتـب الطبّ التي لاتوجد كل وقـت متـرجمة الى العربـية . واكتشف على مـا يحدث جديدًا في هذا الفنّ . فامرني الريّس ان ارجع اليه بعد ثمانية ايام . ولما انقضى الاجل المذكـور رجعت فقال انه قدّم ذلك الى الديـوان العـالي وصدرت الارادة باقامتي هناك وترتب لي كل شهر ماهية كافية ماعدا مصـاريف الاطعمة والملابس وافردوا لي منزلًا واعطـوني خادمـًا يقوم بحاجتي فاقمت في تلك المدرسة نحو اربع سنوات . وكنت دايماً ملازمـًا المعلمين ودروسـهم ومشاهدة المرضى ومعالجـاتهم . وانعكفت على اللغة الفرنسـاوية والتركية بجهد عظيم حتى انني في برهة شهرين حصّلت جانبًا منهما استعين به على التكلم والمطالعة . وما زلت مجتهدًا في الدرس ليلًا ونهارًا حتى تمكنت في اللغتين وطالعت اثنى عشر كـتابًا على الدكتور برنرد المشار اليه انفًا منها في الامراض العامة ومنها في

لامراض الخاصة كامراض العين والصدر والمعدة ونحو ذلك . وطالعت ايضًا على المعلم كاليه وغيره كتبًا في الصناعة الكيماوية والاصول الفلكية والفلسفية والطبيعية وغير ذلك من العلوم اللازمة حتى رويت من ذلك المنهل الطامى ولم تبقَ حاجة فى نفسى الا بلغتها بحمد الله *

وفى اواخر السنة الرابعة فى السابع والعشرين من شهر شعبان حضر الى المدرسة الملوكية صاحب الدولة العلية مولانا السلطان عبد المجيد خان لكى يحضر فحص التلاميذ كما جرت العادة وينعم عليهم بالرتب التى يستحقونها وكان معه بعض الوزرآء وشيخ الاسلام فجلس على العرش الملوكىّ المُعد له وجلست اصحابه على كراسيهم ورا عرشه ووقف امامه رئيس الاطبآء وجماعة المعلمين واولهم الدكتور برنرد الكبير . وكانوا انتخبوا من التلاميذ لاجل الامتحان خمسة انفار وكنت الفقير من جملتهم . فصاروا يحضرون الواحد بعد الاخر فيقف امام الجلالة الملوكية في سترة من الخشب مجللة بالجوخ الاخضر بحيث لا يظهر الا راسه الى صدره . وفى وسط تلك القاعة طاولة عليها صحافٌ عديدة وفى كل صحفة اوراق تتضمن مسايل فى علم مخصوص . فيقدم رئيس الاطبآء احدى تلك الصحاف الى السلطان فياخذ منها ورقة فيفتحها ويقراها ثم يدفعها الى المشار اليه . وكان فى ذلك الوقت عبد الحق افندى الذى اسمه شهير بين رجال الدولة العلية فيقدم بها الى التلميذ ويقول له ان مولانا السلطان قد انجهت ارادته الشريفة ان تذكر لنا ما تعرفه من امر المسيلة الفلانية حسبما يكون مكتوبًا في تلك الورقة . ثم يدفع تلك الرقعة الى الطبيب الاول ويامره بمباحثة ذلك التلميذ . فتقع المحاورة بينهما خطابًا وجوابًا على سمع السلطان وجمهور الحاضرين . فاذا كانت اجوبة التلميذ سديدة الى الغاية يشير

ريس الاطباء الى الكاتب فيكتبه اعلى . وان كانت دون يكتبه ادنى .
وبعد ان يتم السوال عن ذلك العلم المخصوص يستانف السؤال الاخر
عن علم اخر على الترتيب الذى ذكرناه الى خمس دفعات . وبعد
ذلك اذا اصاب التلميذ اصابة مرضية فى جميع اجوبته يتقدم الريس
ويعرض للحضرة الملوكية فينعم علية بالرتبة التى يستحقها . وحينيذ يتقدم
اليه الريس ايضا و بيده القرآن او الانجيل بحسب مذهب التلميذ
ويضع الكتاب على لوح امام التلميذ ويضع عليه يده فوق يد التلميذ
ويستحلفه بالله الذى انزل ذلك الكتاب ان يكون امينا في صناعته
منتبها فى اعماله صادقا في خدمته للدولة العلية لايستعمل شيا مضرا
ولا يكون سكيرا ولا مقامرا ولا كذوبا ونحو ذلك من الاوصاف التى تليق
الوصية بها لاهل هذه الصناعة . وبعد ذلك يقبلان الكتاب كلاهما
ويخلع على التلميذ جبة طويلة لها طوق من الذهب فيلبسها ويمشى
به الريس الى قرب عرش السلطان فيقبلان طرف غاشيته ثم ياخذ
الشهادة من يد الحضرة الشاهانية ويقبلها ثم يدفعها الي التلميذ فيقبلها
ويخرج منصرفا *

وهكذا تم لي عند الامتحان فخرجت وقد صدر الانعام الملوكى
لي برتبة السرهزارية اى ريس الالف

* واعطيت الشهادة بهذه الصورة *

انه في هذه السنة في انعقاد مجلس الامتحان العمومى فى دار العلوم
الحكمية فى المدرسة الطبية الملوكية بحضرة ولى نعمة العالم وسبب
راحة بنى ادم صاحب الشوكة والعظمة مولانا السلطان عبد المجيد
خان . وحضرة الوزراء العظام والوكلاء الفخام قد جرى الامتحان في

العلوم الطبية والجراحية مع ابرهيم افندى اللبناني الذى عمره اثنتان وعشرون سنة بعد نهاية اعوام درسه فى علم التشريح والفسلوجيا ومبحث الامراض جميعها وعلم النباتات والطبيعيات وفن الكيمياء والمفردات الطبية وعلم جميع الامراض الباطنة والظاهرة وعلم معالجة المرضى على مضاجعهم طبا وجراحة وعلم حفظ الصحة ونحو ذلك فاعطى عن جميع المسايل جوابا شافيا وقد ظهرت البراعة منه ايضا فى اربع جلسات من الامتحان غير هذه وبناء على ذلك قد أعطيت له الرخصة من لدن السدة الملوكية ونحن المعلمين والنظار فى المدرسة المذكورة نثبت حذاقة المشار اليه ولياقته فى جميع الامثلة والغوامض الطبية والجراحية وبموجب الرخصة الملوكية قد ارتقى الى الرتبة الدكتورية اعني رتبة الاستاذ والمعلم . فليكن معلوما عند الجميع وفى كل مكان وزمان اننا قد اعطيناه الرخصة الكاملة ان يتصرف كما يشاء فى صناعة الطب والجراحة وسلمناه هذه الشهادة الموشحة من اعلاها بالطرة الغرآء الملوكية والمضية باسمائنا واختامنا اه .

وبعد ذلك صدر الامر بان تكون ماموريتى فى دار الاستانة العلية ولكن بما ان هوآء القسطنطينية بارد جدا لا يوافق امزجة بعض الناس استرحمت بالاستعفاء فصدرت الارادة بان اكون في بلاد سورية مع الاطباء المطلوبين الى هناك . وان تكون ماموريتى بوظيفة طبيب اول على العساكر الشاهانية فى مدينة بيروت فتجهزت حينئذ للسفر . ولكن قبل ان اذكر خروجي من هناك لابد من ذكر ما يطيب سماعه وتتوق اليه الانفس من حديث القسطنطينية وملوكها والوقايع التى جرت لهم قديما وحديثا فاقول وبالله التوفيق .

الفصل الخامس
فى الكلام على القسطنطينية

هذه المدينة العظمى تعرف الان باسم اسلامبول وكانت قديما تعرف باسم بزنتية وهي كاينة على خليج البحر الاسود مبنية على سبع تلال من اطراف اوروبا يفصلها عن اسيا مضيق من البحر عرضه نحو ميل او ميل ونصف وهو المعروف بالبوغاز • وهي تبعد عن باريس ستماية وستين ميلا وعن فينا مايتين وخمسة وثمانين ميلا وعن بطرس برج اربعماية وخمسة وسبعين ميلا • وعدد اهلها الان قد جاوز المليون الثلثان منهم اسلام والباقى نصارى ويهود • وفيها من البيوت نحو تسعين الف بيت وهى مبنية من الاخشاب الانادرا • ويحيط المدينة من جهة الشمال ثلثة اسوار قديمة قد تهدم اكثرها • ومن بقية الجهات البحر • وهواؤها كثير الاختلاف فان فصل الشتا فيها طويل كثير الامطار • وفي الخريف تتسلط الرياح الجنوبية ببرد شديد فيحدث لمن يتعرض لها امراض كثيرة • واعدل الفصول فيها الربيع والصيف والاشهر ان تاسيس هذه المدينة كان من بيزنس ريس الماغريين ولذلك قيل لها بزنتية • وذلك قبل التاريخ المسيحى بالف ومايتين سنة • وقد خربت مرارا كثيرة من جملة ملوك • ولما حل فيها الملك قسطنطين الذى تولى على الرومانيين في المشرق جدد بناها وجعلها تخت قيصريته • وكان ذلك بعد المسيح بثلثماية وثلاثين سنة وسميت القسطنطينية باسمه • ومن ذلك الوقت صارت كرسى مملكة المشرق ففاقت على مدينة رومية التى كانت فى ذلك الوقت ام المدن بعظمة ابنيتها وكثرة شعبها وغناها واتساع متاجرها • وفى سنة خمسماية وسبع

وخمسين حدثت زلزلة عظيمة فاخربتها ايضا ثم عمرت جديد فعادت احس مما كانت عليه • ثم تداولتها الحروب واغارت عليها الدول من التتر والاعجام واهل البلغار والصليبية وغيرهم حتى هجم عليها السلطان محمد الفاتح فاستفتحها من يد الدولة الرومانية وجعلها تخت السلطنة وكان ذلك سنه ثمانماية وسبع وخمسين الموافقة سنة الف واربعماية وثلث وخمسين • وسياتى استيفا ذلك فى ترجمة حضرة السلطان المشار اليه *

وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا موقعا واجملها مركزا • وهى تنقسم باعتبار وضعها الى اربعة اقسام • الاول هو المدينة الكبيرة القديمة والثانى الغلطه • والثالث البوغاز • والرابع اسكودار • اما القسم الاول فهو ذو الابنية والقصور العظيمة والقشل الواسعة والاسواق الكبيرة الطريفة وله سور عظيم كان من اعظم الاسوار وفيه الجوامع العظيمة الشامخة ذات المنارات الشاهقة المصفحة اعلاها من النحاس المذهب • واشهر هذه الجوامع جامع ايا صوفيا الذى كان كنيسة عظيمة فى ايام النصارا • وقيل ان المعلم انتيموس البنا بناها الى الملك قسطنطين فى مدة ثمان سنين وهى احسن الابنية القديمة التي بقيت فى هذه المدينة • وكان لها قبة عظيمة اخربتها الزلزلة التى اخربت المدينة كما مر فجددوها ثانية غير انها لم ترجع كما كانت فى ارتفاعها وحسن استدارتها واستوايها • ولاجل زيادة تمكينها وضعوا تحتها بين العضايد الكبيرة عدة من اعمدة الصب القديمة المصرية التي يوجد منها فى هذه الاطراف وعقدوا عليها قناطر تعتمد عليها القبة • وفى هذه القبة اربعة وعشرون شباكا ينفذ منها الضو الى الداخل ويليها قبتان لطيفتان وست قبب صغار

ولهذا الجامع المنيف رواق له تسعة ابواب من النحاس منقوشة بالرسوم النافرة . وفي داخله اعمدة جميلة من الحجر السمّاقي والرخام . وعلى كل عمود تاج قد انحرف عن اصله الهندسيّ لاجل ما حصل فيه من التغير الكثير . ويظن ان هيكلاً عظيماً كان هناك فهدم . وعلي دايرة ممشى يصعد اليه بسلم حلزونيّ عجيب . وفوق المنبر موضوع سنجق السلطان محمد الفاتح . وكانت جدران قبب هذا الجامع مع ما يليها منقوشة بالنقوش المذهبة ولما نظرها السلطان محمد الفاتح امر ان يكلس عليها حتي لاتشاهد وانما في ايامنا هذه امر حضرة السلطان عبد المجيد خان برفع ذلك الكلس وتجديد ما فقد منها لكي ترجع الى رونقها الاول والان صار داخل هذا الجامع مزيناً بانواع النقوش الظريفة والخطوط المذهبة الجميلة فهو عديم النظير في جوامع الدنيا

وبالقرب من هذا الجامع جامع السلطان احمد الكاين امام قسمة ات ميدان له ست منارات شاهقة وهو احسن جامع فى القسطنطينية . ومن الجوامع الشهيرة ايضا هناك جامع نور عثمانية وجامع السلطان بايزيد . وجامع السليمانية وهو اعلى الجوامع واظرفها . وموقعه ورا اسكى سراى وفي هذا الجامع اعمدة شاهقة طول الواحد منها نحو ثلاثين ذراعاً وله اربع منارات ولكل منارة ثلاث دواير عالية فى غاية الظرافة والصنعة . وامامه باب محلة اقامة شيخ الاسلام . وجامع اللالهلى . وجامع الشهزاده . وجامع السلطان محمد الفاتح . وجامع السلطان سليم . وجامع والده سلطان بالقرب من بغچه قبو سى امام الجسر الجديد * ومما يستحق المشاهدة تربة السلطان عبد الحميد بالقرب منها وتربة السلطان بايزيد بالقرب من جامعه

وتربة السلطان محمود . ويوجد ايضاً ترب شهيرة غير هذه للسلاطين في وسط المدينة ومساجد لا موضع لاستيفايها هنا .

وفي هذه المدينة جملة حمامات تنوف عن ثلثماية حمام واحسنها حمام ايا صوفيا الكاين بالقرب منها . وحمام محمود باشا وحمام السلطان بايزيد وحمام تحت القلعه. واما الخانات الشهيرة فهي سنبلي خان. ووالله خان. وبلطجي خان. وبيوك بالدر خان . وساطان اوضه لر . وكوشك خان. ووزير خان. وتحت القلعه خان . وكركجي خان. وبيوك يگي خان. ومصطفى پاشاخان. وجوخجي خان. وبارم خان. وتخته خان . وبالدبرم خان . فالتسعة الاولى تنزل فيها اهل الشام ومصر واما بالدبرم خان فتنزل فيه المغاربة والباقي لساير الناس

وفيها ساحات عديدة منها ميدان يگي بغچه وبالقرب من هذه الساحة مكان لمعالجة المرضى مجاناً بنته والدة السلطان عبد المجيد الحاضر واقامت له مصاريف ومباشرين واطباء لمعالجة كل من يحضر اليه من المرضى . فيمكث فيه المريض الى ان يشفى ولا يتكلف الى شي من ثمن الادوية والاطعمة والخدمة وغير ذلك . ومنها ساحة آت ميدان وهي اكبر ساحة داخل المدينة . وفي هذه الساحة عمود هرمي مربع قطعة واحدة من الحجر المصرى جلب قديماً من بلاد مصر. وعمود آخر من النحاس يقال له عمود الحية لان عليه حيتين عظيمتين مجدولتين علي بعضهما والان قد قطع راسهما لحادثة اصابتهما. وقيل ان اليونانيين صنعوا هذا العمود رصداً علي طرد الافاعي كما جرت عوايدهم في بعض الخرافات. وهناك عمود يقال له چنبرلي طاش اسطواني الشكل وهو من الاشيا القديمة ايضا . وبالقرب من آت ميدان هناك محل تحت الارض باق من البنايات القديمة يقال له (بن بر ديرك) اى الف

عمود وعمود وهو من الاشيا التي تستحق المشاهدة لما فيه من الاعمدة الجسيمة *

وفي هذا القسم ايضًا من الجهة الشرقية الباب العالي وهناك الديوان حيث يجلس الصدر الاعظم ورجال الدولة المأمورون بمعاطاة الاحكام . وفيه مكان مخصوص لجلوس الحضرة الملوكية في بعض الاحيان . وبالقرب منه ايضا السراية المعروفة بطوب قبو سراى . وهي السراية القديمة التي جددها السلطان محمد الفاتح . وهي منفصلة عن المدينة بسور متين . ولها ثمانية ابواب منها من جهة المدينة ومنها من جهة البحر . وطولها نحو ستة الاف ذراع . وهي من السرايات الشهيرة العظيمة يحيطها جنينة فسيحة فيها الاشجار العالية المرتبة الظريفة وبعض من الوحوش . ومن جهة البحر قصر الكلخانة الذى اعطيت فيه التنظيمات الخيرية . وعلى اطرافها باب همايون وساحة واسعة فيها بناء يشتمل على قبة قديمة بناها الملك قسطنطين الكبير . وهناك جميع انواع الاسلحة القديمة والدروع والتحف النادرة الوجود . وهناك ساحة اخرى فيها الديوان الكبير وامامه سماط من شجر السرو على صفين ينتهى الى قاعة الديوان التي حيطانها من الرخام المزيّن بالنقوش الذهبية . وفي ما يليها دار اخرى فيها محل كرسيّ الجلالة الشاهانية تحت قبّة عالية من حجر الرخام . وعلى جانبها سراية الحريم . وهناك حمّام السلطان سليم الثاني فيه اثنان وثلاثون حجرة . ومن هناك تشاهد الخزينة الملوكية وبيت الضربخانة ودار الكتب الكبيرة الهمايونية وباب المالية والاوقاف .

وفي هذا القسم اسواق عظيمة اشهرها البازستان . وهو مبني بالحجارة وله ابواب لا تفتح الا في اوقات معلومة من النهار . وفيه

اقدم تجار المسلمين واغناهم وفيه تباع الاسلحة الثمينة والملابس الفاخرة والتحف النفيسة . وبالقرب من هذا السوق جملة اسواق شهيرة وهي قلبقجي چارشوسي اعني سوق القلبقجية وهذا السوق في غاية ما يكون من الظرافة وحسن الترتيب يشتمل على نحو ٢٠٠ دكان على الصفين وفي الوسط دكان جليلة النظام وقد جعل فيها كرسي عظيمة لجلوس الحضرة الشاهانية في بعض الايام وفي هذا السوق يباع جميع انواع الاقمشة الفاخرة للملبوس . والى جانب هذا السوق سوق الكيساجية يباع فيه ملابس العسكرية المزينة بانواع القصب وبقربه سوق الجوهرجية يباع فيه انواع الجواهر وبقرب هذا السوق جوهجي خان فيه الجوهرجية الاغنيا وبالقرب منه سوق المرايات يباع فيه الاشيا القديمة كالاسلحة وخلافها وبجانبه سوق الخفافين وفيه البنطوفلات الثمينة المصنوعة باللؤلؤ والماس *

والي جانبه اوزون چارشو وهو سوق طويل يباع فيه جميع البضايع والاقمشة الافرنجية والشرقية . وهناك سوق يبتدي من قرب جامع السلطان بايزيد وينتهي بالقرب من تحت القلعه وهذا السوق قد بني بعد الحريق بغاية ما يكون من الترتيب والنظام مع البيوت التي تجاوره . وفي قرب هذه الاسواق توجد الخانات المذكورة فالغريب الذي يصل الي القسطنطينية تاخذ القياق مع امتعته وتوصله الي الكمرك وهناك يكشف على الامتعة حسب الاصول الجارية وبعد ذلك يدعو احد العتالة الذين يوجد منهم كثيرون في ذلك المحل ويسمي له الخان او اللوكندة او البارجة او البيت الذي يريد الذهاب اليه فعند وصوله الي الخان يطلب

اوضة من صاحب الخان بالاسبوع او بالشهر واجرة الاوضة في الشهر من الخمسين الى المائة او المائتين او اكثر اذا كان داخل الاوضة اوض صغيرة وبعد استيجار الاوضة يحضر صاحب الخان ويطلب تذكرة الطريق فاذا كان المسافر من المسلمين ارسلها الى مامور التذاكر او من النصارى ارسلها الى وكيل البطريرك او الى الخاخام اذا كان من اليهود وتبقى تلك التذكرة عند ذلك المامور الى حين خروج المسافر من المدينة فيطلبها من صاحب الخان فيحضرها اليه بعد ان يشرح عليها من طرف الاحتساب . وفي هذا القسم لا توجد لوكندات على الطريقة الافرنجية كما في جهة الغلطة لان الافرنج لا يرغبون السكنى هناك لعدم وجود الافرنج فيها . وكثير من التجار يفضلون السكنى في هذه الخانات النظيفة المرتبة المبنية من الحجارة وابوابها وطاقاتها من الحديد المؤتمنة من الحريق على البيوت واللوكندات لانه قلما يمضي يوم واحد او اسبوع بدون حريقة او حريقتين او اكثر في هذه المدينة والحريقة لا تنحصر في بيت او بيتين الا نادرًا بل تحرق بيوتًا وصوامع عديدة ولولا هذه الحرايق التي تحصل في القسطنطينية لكانت الان اغنى مدن الدنيا وبقرب الاسواق هناك بارجات ودكاكين للطعام توجد فيها الاطعمة النفيسة وهناك دكاكين يباع فيها جميع انواع الحالي والسكريات والمربيات والاشربة التي لا اظن انه يوجد مدينة يحسنون فيها عمل هذه الاشيا نظير القسطنطينية وان شاء الله تاتي كيفية عمل ذلك في موضعه * وبالقرب من هذه الاسواق توجد الخانات العظيمة المذكورة *

وفي هذا القسم ايضا من الحارات الكبار الشهيرة ما ينوف عن

المابة حارة . وهي تشتمل علي نحو تسعين الـف بيت . وفيه ثلثماية واربعة واربعون جامعًا وخمسماية وثمان عشرة مدرسة وفى بعض الازقة هناك توجد انابيب للمياه . واكثر الطرق ضيقة معوجّة ولكن لسبب انحدار ارض المدينة كانت الطرقات نظيفة من الاوحال واكثر بيوت المسلمين طلقة المنظر فسيحة المجال تلتقط الهوآء . واما اماكن النصارى فهى منفردة في بعض جهات المدينة عن حارات الاسلام وموقعها غالبا فى الاماكن الغير الجيدة الهوا وهى من جهة البوغاز قوم قبو ويگى قبو وسما طيا قبو . وطوب قبو وادرنه قبو وابرى قبو وقراميد محله وبترو قبو ومن جهة الميناء بقرب البحر جاليا والفنار تسكنهما طايفة الروم وهناك يتحدثون باللسان اليوناني الفصيح * و يلى الفنار محلة البلاط وهى اوخم حارة فى القسطنطينية تسكنها طايفة اليهود . ولابد لكل بيت من جنينة فسيحة . واكثر الابيات مبنية من الاخشاب . ولهذا القسم جلة ابواب منها من جهة البر واشهرها يدى قله قبوسى وخارجه يوجد محل يقال له يدى قله وهذا كان شهيرا فى القديم لحبس السلاطين والكبار من الذوات و بالقرب منها بيت المرضى لطايفة الروم وبيت المرضى لطايفة الارمن ثم سلورى قبو ومنه يذهب الى محل خارج المدينة يقال لـه بالقلى وهناك كنيسة لطايفة الروم شهيرة بالبالقلى ثم يليه ادرنه قبو واما من جهة البحر فهى بلاط قبو . وفنار قبو . وپلزق قبو . ويكي قبو . واياقبو وجب علي قبو . وابزمه قبو . وادون قبو . وزندان قبو . وبغچه قبو . واخور قبو . وجالادى قبو . وقوم قبو . وداود باشا قبو . وهناك لنغا بستاني وهو فسيحة واسعة مزروعة بالاشجار والرياحين ممتلئ لقرب يكي محله ثم يليها صماتيه قبو . ونادلي قبو . وقد اوضحنا ذلك فى هذه الخارطة *

ومياه هذا القسم تاتي من مكان بعيد عن المدينة نحو ست
ساعات. وهي تجتمع من مياه المطر في واد له حايط في اسفله يحجز المياه
فيه يقال لها بنودة وعددها سبع. ولها منفذ تخرج منه وتجرى الى
المدينة في قناة قديمة ومن ثم تتوزع بقنوات عديدة على الجوامع
والحمامات والسرايات والمناهل والبيوت. ولها قناطر عظيمة
تستحق المشاهدة باقية من ايام السلطان سليمان .

واما القسم الثاني من القسطنطينية فانه في الجهة الشمالية
من القسم الاول منفصل عنه بمضيق من البحر طوله نحو ميلين وعرضه
نحو نصف ميل وهو المينا الذى ترسى فيه المراكب. وهذا المرسي
من اعظم واحسن مراسي الدنيا موقعًا وامنًا. ولسبب ما كان يحصل
من الاخطار في القياق عند المرور من جهة الى اخرى في هذا
البوغاز اقيم هناك جسران من الخشب تمر عليهما الناس والخيل
والعربانات ولكل جسر باب يفتح عند دخول المراكب الى المينا
احدهما يفصل بين مراكب الدولة والمراكب التجارية وهذا بناه
السلطان محمود خان. والثاني جديد بني في ايام حضرة هذا السلطان
وهذا القسم يقسم ايضًا الى قسمين احدهما يجاور البحر ويقال له
الغَلَطَة. وفيها الجمرك ومخازن الفابورات والتجار واللوكندات وفيه من
جميع طوايف الناس الشرقية والغربية. واعلي هذا القسم بك اوغلى
وهي محلة كبيرة فيها الطرق الواسعة والبيوت الظريفة والمخازن العظيمة
والبارجات وسرايات الالجية وبيوت الافرنج والروم والارمن
الكاثوليك وفيه كنايس الافرنج والارمن الكاثوليك ولوكندات
تاوى اليها السواح والغرباء واشهرها لوكندة الفرنساوية والانكليز
يدفع الانسان فيها كل يوم عن اجرة الاوضة مع فرشها نحو خمسة

عشر غرشا . ومع الطعام من خمسين الى ثمانين وذلك بحسب جمال
الاوضة وتعداد الوان الطعام . ويوجد فى بعض جهات هذا القسم
بيوت تحتوى على جلة اوض مفروشة للاجرة يدفع الانسان كل يوم
من عشرة غروش الى خمسة عشر غرشا مع سرير النوم وقد جرت
العادة عندهم فى تعليق ورقة على ذاك الباب يذكر فيها انه يوجد هنا
اوض مفروشة للاجرة . وفى وسط هذه المحلة غلطه سراى وهى مدرسة
الطب التي احترقت (سنة ١٨٤٨) . وامامها تياترو كبير وهو مرسح
تقدم فيه الافرنج ملاعيب وروايات حسب اصطلاح بلادهم . ويشق
هذا القسم طريق واسع يتصل بمحل يقال له التقسيم لان المياه تتقسم
منه الى اكثر الاماكن . وهذه المياه تاتي من بنودة بعيدة نحو خمس
ساعات . وتلك البنودة مصنوعة بقطع واد هناك تصب اليها مياه
المطر وتجرى منها في قنوات من الحجر وتتوزع الى هنا وهناك كما
ياتي ماء القسم الاول من مكان اخر نظير هذا ويتوزع على الاماكن
الاخرى . ويوجد هناك مياه كثيرة غير هذه الا انها متسفلة عن المدينة
لا يمكن اجراؤها اليها . ولا يوجد بالقرب منها جبال لتخرج منها المياه
اليها .

واما القسم الثالث من هذه المدينة المعروفة عند الافرنج
بالبوسفور فهو البوغاز الذى يفصل ما بين اسيا واوربا ويصل
البحر الاسود بالبحر الابيض وطول هذا البوغاز نحو عشرين ميلاً
وعرضه من ميل الى ميل ونصف ينحدر فيه الماء بتيارات مستديمة
بغاية السرعة وتصب فى بحر مرمرا المتصل بالبحر الابيض . وعلى
ساحل هذا البوغاز من الجهتين اماكن ومحلات شهيرة فكل محل
منها كمدينة صغيرة فيها من السرايات الجميلة والبيوت الظريفة

واسواق واسعة كبيرة يوجد فيها تجار واصحاب صنايع ونحو ذلك .
فالتي من جهة اوربا ممتدة من قرب الغلطة الى البحر الاسود واشهرها
الطوبخانة وفيها محل اقامة مشير الطوبخانة وجامع السلطان محمود
الشهير . ويلي الطوبخانة محلة الفندقلي . وقباطاش . وبالقرب منها سراية
طوله بغجه الشهيرة . وهذه بناها حضرة السلطان عبد المجيد وهي
من الاعمال العجيبة استقام بناؤها نحو ست عشرة سنة وصرف
عليها نحو ثلثماية الف كيس . ثم محلة بشكطاش وهناك چراغان سراي
وهي السراية الهمايونية المرتبة باحسن نظام . ثم اورته كوي
ودفتردار بروني . وقوري چشمه . وارنبود كوي . وهي محلة شهيرة
كبيرة . وبالقرب منها البلك . وهناك مدرسة تجهيزية لرهبان
الافرنج يعلمون فيها اللغات وبعض علوم ضرورية . وبالقرب منها روم
ايالي حصار . وبويجي كوي . وامريغان . وبلطه ليمان . واستنيه
ويگي كوي . وكوي باشي . وطرابيا . وبيوكدرا . وهاتان المحلتان تذهب
اليهما الالچية والذوات من الافرنج والنصارى يمكثون هناك مدة
الصيف وفيهما البيوت الظريفة والمياه العذبة . يعلوهما احراش
الكستنا . وبالقرب منها اماكن للتنزه كفندقلي صوي . وكستنا صوي
ويلي بيوكدرا صاري ير . ويكي محله . وروملي قواق . وغريجه . وروملي
فنار . ويگي محله . ويوجد على شاطي هذا البوغاز سرايات وبيوت لاكثر
رجال الدولة من الذوات . يذهبون اليها مدة الصيف وفي فصل
الشتاء يرجعون الى المدينة حيث يكونون بالقرب من معاطاة
الاشغال والاحكام . واكثر هذه الاماكن ظريفة البناء تعلوها الروابي
النضرة المرتفعة المكتسية بالاشجار الخضراء دايمًا . والحدايق المرتبة
الظريفة . واما ما هي في الجهة الثانية من ناحية اسكودار البر الثاني من

قارة اسيا وفيه جملة اماكن شهيرة ياتي عليها الكلام . فمنظر هذا البر الجميل المزين بالروابي العالية المكتسية بالاشجار الخضراء ومنظر ما يعلوها من المحلات مع منظر المياه المنحدرة في ذلك البوغاز وسير القابورات والمراكب والقياق فيه كالنجوم تجعل لها رونقا عظيما بهذا المقدار فكانها جنة تجري من تحتها الانهار ليس لها نظير في المسكونة تاتي اليها السواح من اقطار الارض لكي تشاهد موقعها الظريف واقليمها المعتدل وجودة هوائها وظرافة ما يحيط بها من الاراضي الجميلة وجمال تركيب اخلاق اهاليها ولطفهم ورقتهم .

واما القسم الرابع وهو محلة اسكودار . فهو امام القسطنطينية في الجهة الثانية من قارة اسيا . ينفصل عن القسطنطينية بالبوغاز . وفيه عدة جوامع وسرايات وبيوت واسواق وكلها في غاية الجمال والظرافة . ومياهه نقية وهواؤه جيد وفي خارجه كروم العنب الشهيرة بجودة عنبها المعروف بجاويش اوزمي لا يوجد نظيره الا نادرا . وهناك ايضا شجر الكرز الفاخر وغير ذلك من الاشجار والفواكه . واشهر محلات هذا القسم محلة السلطان سليم الثالث . وباب السر عسكرية . ويكي محله تسكن فيها النصارى . وفي مايلي اسكودار من جهة الغرب محلة فنار بغجه سي . وقاضي كوي . وسهل حيدر باشا الشهير . ومن جهة البحر الاسود على الشاطي محلات كثيرة جميلة المنظر . وهي من ناحية اسكودار وصاعدا الى جهة البحر الاسود على كنار البوغاز . قوزنجلك وباشا ليمان . وسراية للسلطان شهيرة . وبكلربك . وشنكل كوي . ووالي كوي . وقندلي . وكوكصو . واناضول حصار . وقانليجا . وانجير كوي . وفيه مكتب لشيعة لوتر . وبيكوس . ونيشان طاشي . وصودلجه . ومجر قلعه سي وبيوراس . واناضول فنار . وفي اعلى هذه الاماكن جبل مرتفع فيه

محلة يقال لها چاملیجا . وهي شهيرة بحسن نضارتها وارتفاعها وكرومها ومياهها . وهناك كشك بناه عبد الحق منلا افندي طبيب السلطان الذي كان ياتي اليه السلطان محمود مرارا عديدة لاجل التنزه وهو مبني على اعلى رابية في تلك الجهة . وامام اسكودار يوجد قلعة صغيرة بالبحر يقال لها قز قله سي . وغربي جنوبي اسكودار يوجد جملة جزاير منها جزيرتان احداهما كبيرة تسمى هيبلي اضه . والثانية صغيرة تسمى قينلي اضه . وهما من جملة منتزهات القسطنطينية فيهما البيوت الجميلة والقهاوى والبارجات يذهب اليها اكثر الناس لاجل التنزه . وفي هيبلي اضه مدرسة بحرية للعسكرية ومدرسة لطايفة الروم . ومحل تزوره طايفة الروم شهير عندهم . وكلما صعد الانسان الى قرب البحر الاسود تقل الابنية وتتغير الارض . فتعلو التلال وتنحني الى ناحية البحر . وفي طرف البوغاز من جهة اسكودار جبل شامخ يقال له جبل يوشع . ارتفاعه عن البحر نحو ماية وخمسة وثمانين مترًا . ومن اعلاه تنظر القسطنطينية وما حولها والبحر الاسود والمراكب التي فيه . وبالقرب من اسكودار محل خراب مدينة خلكيدونيا التي لم يبق من اثارها الا كنيسة قديمة قد تساقطت جدرانها ولم يبقَ منها الا رسمٌ قليل ومحلها الان يقال له قاضي كوى .

واما الاماكن الشهيرة في هذه المدينة التي تذهب اليها الناس لاجل التنزه فمنها المحل الشهير المعروف بالكاغد خانه الكاين في نهاية المينا من جهة الترسخانة . وهو مرجة خضرا طولها نصف ميل تجري اليها مياه عذبة في قناة مستقيمة وعلى طول هذه القناة اشجار كثيرة من الحور والسرو والزيزفون وغير ذلك . وفي هذه المرجة قصر للتنزه حوله جنينة ظريفة مشحونة بانواع الزهور بناها السلطان احمد الثالث (سنة ١٧٢٤) وهذه القناة

التي يجرى فيها المآء مقطوعة بحاجز تنفجر تلك المياه بالقرب منه وتسقط علي ثلثة مجار مرصوفة بالصدف حتي تنتهي الى بركة عليها حوض من النحاس الاصفر وعليه ثلاث حيات تنصب المياه من افواهها على جدران السراية . وعلى هذا الحاجز ثلثة كشوك من الرخام الابيض مغشّاة بالنحاس المطلى بالذهب . ومن هناك تبتدى القناة تضيق بالتتابع حتى تصير مجرى صغيرًا فتختلط مع ما اخر وينحدران معا الى مكان يسمى قرن الذهب تجرى فيه القوارب حاملة رجالًا ونسآء قاصدين التنزه فى ذلك الوادى . ويوجد عدة منتزهات اخر غير هذه منها فى غربي المدينة كمحلة والي افندى وباقركوى . وابا اصطفانوس . وشوربجى . وغيرها . ومنها في الجهة الشرقية ومنها فى اسكودار . وكلها مزينة بالاشجار والازهار والابنية الجميلة والمناظر الحسنة التي تسر الخواطر وتقر النواظر *

وبالاجمال نقول ان القسطنطينية هي من احسن مدن العالم . وقعًا ومركزًا ونظامًا . والعثمانيون فى هذه المدينة فى غاية اللطافة والادب والوداعة . يحبون الغريب ويكرمون الضيف . ولهم حذاقة فى العلوم والصنايع وعندهم حسن المحاضرة والبشاشة وحفظ اللسان عن السفاهة والتكلم بما لايليق وهم يتأنقون في الاطعمة والملابس الفاخرة ويوسّعون فى الولايم والموايد المرتبة علي احسن اسلوب .

نبذة

* فى اهالى القسطنطينية *

واما شعب هذه المدينة في يومنا هذا فانه ينوف عن مليون من النفوس

الثلثان من الاسلام والثلث من النصارى . والنصارى منهم روم وهم نحو ٢٠٠٠٠٠ وارمن وهم نحو ١٥٠٠٠٠ ويهود ٤٠٠٠٠ اما الاسلام الذين هم اكثر عددا من غيرهم فهم ثلاثة اقسام الاول رجال الدولة والمتوظفون في الاحكام . والثاني اصحاب التجارة والاملاك . والثالث اصحاب الصنايع والمهن ونحو ذلك *

واما النصارى فالروم منهم اصحاب تجارة ومنهم صنايعية واما الارمن فهم يتكلمون باللسان التركي ويكتبون به ولكن باحرف ارمنية واهم اماكن شهيرة يسكنون بها اكثرها قريبة من اماكن الاسلام . وهم اغنى باقي النصارى في اموالهم وصنايعهم . فمنهم الصيارفة المقتدرون . والجوهرجية . واصحاب كرخانات القطن والقطيفة والمنديل وصناعة الساعاتية . ومنهم في خدمة الدولة بالضربخانة العامرة *

ومن طايفة الارمن قسمٌ يخضعون للپاپا ويقال لهم هناك كاثوليك وهم قلايل واكثرهم يسكنون في نواحي الغلطة وبك اوغلي وقد غيروا عوايدهم القديمة واصطلحوا على العوايد الافرنجية في ملابسهم وبيوتهم وزي نسايهم ونحو ذلك *

واعلم ان رجال الدولة واصحاب الوظايف ينقسمون باعتبار رتبهم الى ثلاث رتب . الاولى العلمية . والثانية العسكرية . والثالثة الملكية . فادني رتبة من العلمية هم المدرسون وهؤلاء على نوعين مدرسي الاستانة . ومدرسي خارج الاستانة . فمدرسوا الاستانة لهم التقدم على مدرسي خارج الاستانة . لان هؤلاء المدرسين الذين في الاستانة يرتقون بالتدريج الى رتبة المخرج . ويقال لهم منلا ثم الى رتبة البلاد الخمسة وهؤلاء كقاضي ادرنة وفلبه وبرصة وحلب والشام ونحو ذلك . ثم الى رتبة مكة والمدينة ثم الى رتبة مفتش عموم الاوقاف ومنهم ينتخب قاضي الاستانة

ثم يرتقي الى رتبة قاضي عسكر الاناضول ثم الى رتبة قاضي عسكر روم ايلي. ومنهم ينتخب شيخ الاسلام الذى يكون انتخابه منوطاً بمعرفة الحضرة الشاهانية من بين هولاء القضاة الذين يكونون مستعدين لقبول هذه الدرجة السامية. واما مدرسوا خارج الاستانة فيرتقون الى منلا الدورية وذلك نظير منلا بيروت وعينتاب ونحو ذلك. واصحاب هذه الرتبة قد يمكن ان يرتقوا اذا كانوا اهلاً لذلك الى رتبة منلا مخرج.

واما رتب العسكرية فهي من اعظم الرتب عندهم وهم يرتقون بالتدريج على موجب استحقاقهم. فاصغر رتبة عندهم. الاون باشى. ثم الجاويش وباش جاويش. واليوز باشي. ثم ملازم ثان. وملازم اول. وقول اغاسى وبكباشي وقيمقام. وامير الاي. وامير لواء. وبعد ذلك الى رتبة الفريق واما مشير العسكرية. فهذا لابد ان يكون من سلك العسكرية. وهو قد يعزل و ينصب وينقل من العسكرية الى الملكية والرتب في العسكرية لايمكن الوصول اليها الا بتعب وعناء شديد بعد زمان طويل كما انه لايمكن تنزيل صاحب الوظيفة عن وظيفته ما دام حياً الا اذا حدث منه ذنب يوجب اخراجه من العسكرية فحينئذ يجرى عليه ما يجرى على اصحاب رتب الملكية الذين يعزلون في كل وقت وزمان.

واما رتب الملكية فهي على نوعين الاول وهو من الادنى الى الاعلى رتبة خواجكان ويقال لها رتبة خامسة. ثم بعدها رتبة رابعة ثم ثالثة. وثانية. والثانية قسمان. صنف ثان. وصنف اول. وهذه يقال لها رتبة متمايزة ثانية. وبعد هذه الرتبة رتبة اولى. وهي على صنفين ايضاً صنف ثان. وصنف اول. وبعدها رتبة بالا. وبعدها رتبة الوزارة. والمشيرية واما النوع الثاني من الرتب الملكية فهي من الادني الى الاعلى ايضاً وهي اولاً رتبة قبوجي باشي. اعنى كبير البوابين. ثانياً رتبة اسطبل عامرة

اثني اميراخور . ثالثًا رتبة امير الامرا . رابعاً رتبة مير ميران . خامساً رتبة روملي بكاربك . سادساً رتبة الوزارة * فرتبة القبوجي باشي تعادل اصحاب الرتبة الثالثة . ورتبة اسطبل عامرة وامير الامراء تعادل الرتبة الثانية من الصنف الثاني . ورتبة مير ميران تعادل الرتبة الاولى من الصنف الثاني . ورتبة روملي بكلربك تعادل الرتبة الاولى من الصنف الاول . وما عدا هذه الرتب بل تنعم الدولة بنياشين للبعض نظرا لحسن خدامتهم . وهذه النياشين تسمى بالمجيدية وهي على خمس رتب خامسة . وهي ادني رتبة . ورابعة . وثالثة . وثانية واولي . وهي اعلى رتبة . وهناك نياشين اخر تسمى بنياشين الامتياز وهذه مرصعة بالماس تعطى الي بعض الذوات من رجال الدولة .

واعلم انه احترازًا من كثرة الالقاب وزيادة التفخيم عند الكتابة قد صدرت الارادة السنية بابطال هذه العادة ووضع القاب اصطلاحية تختص بكل انسان على حسب وظيفته ومقامه وذلك لاجل عدم وقوع الالتباس في هذا الامر . وهي تنقسم الى ثلاثة القاب تختص بالرتب العلية . والعسكرية . والملكية .

فالرتبة الخامسة والرابعة في الملكية تعادل رتبة البكباشي والقول اغاسي في العسكرية فيكتب لهم فتوتلو افندي او بك او اغا

والرتبة الثالثة والقبوجي باشي في الملكية تعادل رتبة القيمقام في العسكرية فيكتب لهم رفعتلو بك او افندي او اغا *

والرتبة الثانية من الصنف الثاني واسطبل عامره وامير الامرا في الملكية تعادل رتبة مير الاي يكتب لهم عزتلو افندي او بك او اغا

واما الرتبة الثانية من الصنف الاول في الملكية فهي تقابل رتبة امير اللوا في العسكرية يكتب لهم عزتلو افندم بابدال حرف الياء الاخير في

افندى بحرف الميم *

واما الرتبة الاولى من الصنف الثاني فهى تعادل رتبة ميرميران يكتب له سعادتلو افندم *

واما الرتبة الاولي من الصنف الاول فهى تقابل رتبة فريق العساكر. وروملي بكلربك. غيران فريق العساكر له التقدم علي اصحاب الرتبة الاولى من الصنف الاول. يكتب لهم سعادتلو افندم حضرتلرى *

واما من كان حايزًا رتبة بالا فيكتب له عطوفتلو افندم حضرتلرى *

واما صاحب رتبة الوزارة والمشيرية فيكتب لهما دولتلو افندم حضرتلرى.

واما رتبة السرعسكرية ومقام الصهارة الشاهانية فيكتب لهما دولتلو عطوفتلو افندم حضرتلرى *

واما رتبة الصدر الاعظم فيكتب له فخامتلو دولتلو افندم حضرتلرى

واما لفظة بك. وافندى. واغا. فهذه لاتعتبر في الرتب الا فى رتب العسكرية. فمنهم من يقال له افندى وهم اصحاب الرتبة العلمية والكتاب. وبما ان هذه الالقاب كانت مقبولة عند رجال الدولة. قد اطلقوا ذلك علي اخى السلطان واولاده. ومنهم من يقال له بك وهم اولاد الوزرا مطلقا ولغيرهم من ساير الناس كالخدم والحواشى وهذا غير مقيد بحيث ان لفظة بك لاتكون ولاتعتبر الا في العسكرية لان الضباط في العسكرية متى ارتقوا الى رتبة القيمقام وامير الاى حينيذ يطلق عليهم لقب البك وبخلاف ذلك لااعتبار لهذا اللقب عند رجال الدولة. ومنهم من يقال له اغا وهم البعض من المتوظفين ولبعض ضباط العساكر ولبعض المعتبرين من النصارى واكثر ذلك من ساير الناس. وهذه الالقاب عندهم نظير الالقاب عند العرب. كسيد. وحاج. وامير.

وشيخ . ومعلم . وخواجه ونحو ذلك
وكانت الدولة قد سمحت باعطآ نياشين مجوهرة وغير مجوهرة تخص بكل رتبة من رتب العساكر وغيرهم . وفي اثنآ ذلك الوقت اعطى من هذه النياشين الى البعض من الناس الذين ليس لهم وظايف في العسكرية ولا رتبة بل كانت هذه النياشين بنوع الاحسان .
ثم انه موخرا صدر الامر بجمع هذه النياشين من اصحاب الرتب فقط وما بقي منها مع البعض الذين لا رتبة لهم فلا تظن اصحاب هذه النياشين انهم من ذو الرتب . ثم صدرت الارادة بايجاد نياشين غير مرصعة تعرف بالمجيدية وهي لا تخص برتبة من الرتب بل تعطى لكاين من كان من الناس مكافاة لهم عن بعض خدامات .
وهناك نياشين تسمى ميدايل وهي قطعة كالمعاملة من الفضة تعطى الى العساكر من النفر الى المشير ولغيرهم من الناس الذين كانوا في حرب ما *
فالنياشين المعطاة عند اخراج العساكر المصرية من بر الشام مرسوم عليها قلعة عكا .
والمعطاة في محاربة المسكوب مرسوم عليها مدينة سبستابول وكذلك في محاربة الفرس ونحو ذلك *
ولاجل زيادة ايضاح ما تقدم ذكره في هذا المعنى من جهة رتب رجال الدولة قصدنا تفصيل ذلك على الوجه الاتي
وهو اننا نذكر ترتيب اصحاب الرتب على
حسب مقاماتهم مبتدين من اعلى رتبة
الى اصغر رتبة
وهي هذه

* اسماء الرتب *	* في القاب الكتابة لهم *
رتبة المشيرية والوزارة	دولتلو افندم حضرتلرى
رتبة قاضى عسكر *	سماحتلو افندم حضرتلرى
رتبة رجال بالا *	عطوفتلو افندم حضرتلرى
رتبة قاضى اسلامبول *	فضيلتلو افندم حضرتلرى
رتبة فريق العساكر *	سعادتلو افندم حضرتلرى
رتبة اولي صنف اول *	شرحه
رتبة روم ايلي بكلربك *	شرحه
رتبة الحرمين *	فضيلتلو افندم
رتبة مير ميران *	سعادتلو افندم
رتبة اولى صنف ثانى *	شرحه
رتبة مولوية البلاد الخمسة *	فضيلتلو افندى
رتبة امير اللواء في العسكرية *	عزتلو افندم
رتبة ثانية صنف اول متمايزان *	عزتلو افندم
رتبة منلا مخرج *	فضيلتلو افندى
رتبة ثانية صنف ثانى *	عزتلو افندى او بك
رتبة مير الامراء *	عزتلو پاشا
رتبة الامير الاى في العسكرية	عزتلو بك
رتبة مدير اسطبل عامرة *	عزتلو اغا او بك
رتبة كبار المدرسين	مكرمتلو افندى
رتبة القيمقام في العسكرية *	رفعتلو بك
رتبة ثالثة *	رفعتلو افندى او بك
رتبة قبوجى باشى *	رفعتلو افندى او بك او اغا

رتبة البگباشی فی العسکریة * فتوتلو افندی اواغا

رتبة رابعة * شرحه

رتبة خوجكان وهی الرتبة الخامسة ونهاية الرتب * فتوتلو بك افندی او اغا

ومن كان لا رتبة له * حميتلو افندی او بك او اغا

في احكام الدولة العلية

اما احكام الدولة العلية فهى جارية على منهج العدالة والرحمة والمحافظة على ضبط المهمات السياسية شرعًا وعرفًا لانها لا تمضى حكمًا شرعيًا الا بمعرفة مفتي الانام شيخ الاسلام . ولا حكمًا سياسيًا الا بمعرفة الصدر الاعظم والمجالس المرتبة من لدن الحضرة الملوكية . وبعد خلاصة الحكم على مادة من المواد الجسيمة لابد من تقديمها الى الحضرة الشاهانية و بموجب الارادة يصير العمل . مثلا لو حكم على انسان مذنب بالقصاص يعرض ذلك قبل اجرا العمل الى الحضرة الشاهانية . فان شاء عفى عنه . او امر بقصاصه . او ابدل قتله بقصاص اخر . ومن هذه المجالس مجلس الخاص وهذا مخصوص باجتماع بعض وكلا السلطنة السنية ومجلس التنظيمات ومجلس الاحكام العدلية . ومجلس المعارف العمومية . ومجلس العسكرية . ومجلس الطوبخانة العامرة . ومجلس الاعمال الحربية ومجلس البحرية ومجلس المالية . ومجلس عموم نافعة . ومجلس الضبطية . ومجلس انتخاب حكام الشرع . ونحو ذلك وكل هذه المجالس مجموع فيها اخس الذوات من رجال الدولة الذين يندر وجودهم لان العثمانيين مشهورون فی حسن التعقل والادراك وسياسة الاحكام . وفي ايامهم قد ارتقت الدولة الى اوج السعادة فی المعارف والعلوم وسياسة الاحكام الامر الذي لا ينكره احد من

الناس لاننا اذا اعتبرنا ملوك ال عثمان وفتوحاتهم وحروبهم نرى
ان افعال الخلفاء لاتذكر بمقابلة افعالهم لان اولئك كانوا يحكمون
على شعب وقسم واحد واما ملوك ال عثمان فيحكمون على شعوب
كثيرة متعددة واقسام عديدة من الارض . اولئك كانوا يحكمون في
قسم بعيد عن الدول الاجنبية وكانت ملوك الافرنج في ايامهم
ضعيفة وعديمة الاقتدار علي الحرب في البر والبحر . واما ملوك
ال عثمان فيحكمون الان على جزء عظيم من اوربا واسيا وافريقيا
لان بلاد الدولة اكثرها واقعة فيما بين جملة دول اجنبية . فمن جهة
اسيا تحدها بلاد المسكوب والعجم ومن جهة اوربا تحدها بلاد المسكوب
ايضا والنمسا واليونان ومن جهة افريقيا بلاد جزاير الغرب حكم فرنسا
والحروب التى جرت من هولا الملوك مع ملوك ال عثمان هى
شهيرة فى التواريخ فلو كانت دولة الاسلام باقية بايدى الخلفاء
لكان الان اضمحل ذكرها وداستها الدول الاجنبية . ولكن همة ملوك
ال عثمان وعدالتهم ورحمتهم وميلهم الي الناس وكثرة كرمهم
وحسن تعقلهم وصفاوة ضمايرهم واتكالهم على الله في كل امر يقصدونه
وطاعة الاسلام لملوكهم قد شيدت اعلام الدولة امام بقية الدول
والتمدن فيها لان اخذ في اعلى درجة من الارتقاء . هذا فضلا عما
يقتضى من الحكمة الباهرة والتعقل الفايق لسياسة شعوب وملل مختلفة
المذاهب والاديان بهذا المقدار . والعاقل من كان يعيش مع اشخاص
مختلفة لا من كان يعيش مع اهل بيته اومع اشخاص من جنسه .

فنسال الله تعالى ان يخلد حكم هذه الدولة السنية التى هى معدن
الرحمة والحكمة لان عدالة احكامها نادرة الوجود والراحة والامن في
بلادها من الامور التى تشيد اركانها وتجعل النمو في تقدم سكان بلادها

ولاريب ان حب السلامة وحفظ الاداب ومكارم الاخلاق واكـرام الغريب وحفظ الصديق والطاعة لولاة الامور لم تزل باقية محفوظة في هذه المملكة السعيدة خلد الله اركانها وشيد اعلامها *

واما تفصيل بلاد الدولة العلية فقد افردنا له كتابا براسه وانما هنـا نذكر بعض كلمات بوجه الاجمال . فنقول .

ان بـلاد الدولـة العليـة هي قسـم واسع من سطح الكـرة الارضية كائنة في ثلثة اقسام الدنيا القديمة قسم منها في قارة اوربا، وقسم منها في قارة اسيا . وقسم منها في قارة افريقا . وكل قسم من هذه الاقسام فيه اراضي شـاسعة وصحارى واسـعة وبحور وبحيرات وانهر كبيرة وجبـال عالية وبلاد عامرة ذات اراضي مخصبة واكثر اقـاليمها جيد الهواء كثيرة النبـات . والحيوان . والمعادن فيهـا خلايق كثيرة مختلفة الاديان والمذاهب لايوجد مملكة نظيرها في هذا الامر. قالت الجغرافيون ان مساحـة سطح اراضي بلاد الدولة العلية واحد وعشـرون الف ميـل مربع فاذا كانت بلاد فرنسا تسعة الاف وسبعماية وثمانية واربعين ميلا مربعا تكون اراضي الدولة اوسع منها بنحو اربع عشرة مرة واوسع من بلاد النمسا بنحو عشر مرات لان مساحة سطحها (١٢١٢١) ميل مربع وقال اكثرهم ان عدد السكان في بلاد الدولة يـبلغ سـتـة وثلاثين مليونا من النفوس وهذا القول منهم بالتقريب لان بلاد الدولة العلية تحتوي على مايتوف عن اربعين مليونا من النفوس لان هولاء قد حكموا على ما امكنهم الوصول اليـه * واما البوادي والصحارى والشول الكبير الذى فيه هذا المقدار من العربان وساكني القفـار مما لايمكن تحقيقـه من اهـل الجغرافيا فهذا لم يدخلوه في حسـابهم كما انهم لم يمكنهم ضبط عـدد اهالي المدن والبلاد وكيف يمكن تصديق ما قالوه اذا كانوا يحسبون

اهالى القسطنطينية خمساية الف وهى قد جاوزت المليون فى عدد الانفس والذين ذكروا عن ذلك وضعوا جدولاً هكذا فقالوا *

* عدد النفوس في بلاد الدولة في قسم اوربا *

في تراس (قسم من بلاد الروم ايلي)	٠٠١ ٨٠٠ ٠٠٠	
في روم ايلى	٠٠٢ ٧٠٠ ٠٠٠	
فى بولغارستان	٠٠٣ ٠٠٠ ٠٠٠	
في بلاد الارنبود	٠٠١ ٢٠٠ ٠٠٠	
في بوسنا	٠٠١ ١٠٠ ٠٠٠	
فى الفلاق	٠٠٢ ٦٠٠ ٠٠٠	
فى البغدان	٠٠١ ٤٠٠ ٠٠٠	
في السوب	٠٠١ ٠٠٠ ٠٠٠	
فى جزاير بحر الابيض	٠٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	
		١٥ ٥٠٠ ٠٠٠

* في قسم اسيا *

في اسيا الصغرى	٠١٠ ٧٠٠ ٠٠٠	
في سوريا والجزيرة والكردستان	٠٠٤ ٤٥٠ ٠٠٠	
في العراق والحجاز	٠٠٠ ٩٠٠ ٠٠٠	١٦ ٠٥٠ ٠٠٠

* في قسم افريقا *

في مصر	٠٠٢ ٠٠٠ ٠٠٠	
في طرابلوس الغرب	٠٠٠ ٦٠٠ ٠٠٠	
في بلاد تونس	٠٠١ ٢٠٠ ٠٠٠	
		٠٣ ٨٠٠ ٠٠٠
		٣٥ ٣٥٠ ٠٠٠

واعلم ان بلاد الدولة تقسم الى ايالات عديدة وكل ايالة يتولى عليه مشير او وزير من طرف الدولة فالتي فى جهة اوربا .

ايالة ادرنة * ايالة سيلسترا * ايالة ويدين * ايالة نيش *
ايالة اسكوب * ايالة السرب * ايالة بوسنة * ايالة روم ايلى * ايالة يانيه
ايالة سلانيك * ايالة الفلاق * ايالة البغدان *

* والتى فى جهة اسيا *

ايالة كريت * ايالة جزاير البحر الابيض * ايالة خدا وند كار * ايالة
ايدين * ايالة قونيه * ايالة ادنة * ايالة بوزاوق * ايالة قسطمونى
ايالة سيواس * ايالة طرابزون * ايالة ارضروم * ايالة وان * ايالة
كردستان * ايالة خربروت * ايالة حلب * ايالة صيدا * ايالة دمشق
ايالة بغداد * ايالة اليمن * ايالة مصر * ايالة طرابلوس الغرب
ايالة تونس *

وايرادات الدولة على موجب ما حرره بعض مورخى الافرنج مع
مصاريفها هى هذه *

* مدخول الدولة فى السنة *	غروش
العشر	٢٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠
الويركى وهو المال المرتب على الاملاك	٢٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
الخراج	٠٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠
الكمرك	٠٨٩ ٠٠٠ ٠٠٠
الرسومات	٣٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠
ما هو مرتب على مصر	٠٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠
ما هو مرتب على الفلاق	٠٠٣ ٥٠٠ ٠٠٠
ما هو مرتب على البغدان	٠٠١ ٠٠٠ ٠٠٠
ما هو مرتب على السرب	٠٠٢ ٠٠٠ ٠٠٠
	٩٤٠ ٥٠٠ ٠٠٠

وهذا القول منهم تقريبا ايضا لانهم قالوا ان ايراد كمارك الدولة العلية من الغروش سنة ١٨٥٥ ستة وثمانون مليون • مع ان ايراد كمرك الاستانة وازمير ما ينوف عن الثمانين مليونا هذا ما عدا الكمارك الاخيرة ككمرك عربستان وارضروم وسلانيك وترابزان وجده وطرابلوس الغرب ونحو ذلك وهذا مما يساوى نحو ثمانين مليونا فعلى ذلك يكون مدخول كمارك الدولة نحو ماية وستين مليونا من الغروش

• مصروف الدولة في السنة •

نفقة السلطان	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٧٥
نفقة والدة السلطان وشقايقه	٠٠٠ ٤٠٠ ٠٠٨
مصروف العساكر	٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠٠
مصروف العمارة البحرية	٠٠٠ ٥٠٠ ٠٣٧
مصروف المهمات الحربية والقلاع	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٣٠
ماهيات المتوظفين فى الدولة	٠٠٠ ٠٠٠ ١٩٥
مصاريف سفرا الدولة والقناصل	٠٠٠ ٠٠٠ ٠١٠
مصاريف ضرورية لتعمير السكك والطرقات والفلاحة والزراعة	٠٠٠ ٠٠٠ ٠١٠
ماهيات مرتبة لبعض اشخاص دايما	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٤
ماهو مرتب لاصحاب الالتزامات الماخوذة منهم	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٤٠
	٠٠٠ ٩٠٠ ٧٠٩

واما قوتها العسكرية فهى في وقت الصلح نحو مايتى الف مقاتل • وفى وقت الحرب نحو خمسماية الف مقاتل وهذه العساكر

منها خاصة وهو الغفر السلطاني ونظامية وعساكر بحرية وقبل الان كانت
الانفار العسكرية تمكث سلك غير محدودة ولكن اذ كان هذا الامر
مستصعباً صدرت الارادة الملوكية باجرا القرعة العسكرية وقد وضع
قانون سلطاني يكون به دستور العمل في الترتيبات العسكرية التي فاضت
العناية الخاقانية بوضعها وتاسيسها لتعويض ما يخرج من الاردو الذى
هو ستة اقسام على حسب موقعها وهي اردو العساكر الخاصة واردو
الاستانة العلية ٠ واردو روم ايلي ٠ واردو اناضول ٠ واردو عربستان ٠ واردو
الحجاز والعراق ٠ وكل اردو يتركب من نحو ١٢ الاى پيادة وخيالة وكل
الاى ثلاثة فرق وكل فرقة نحو ثمانماية نفر وهي ٨ بلوكات وكل بلوك
نحو ماية نفر وفيها ما يلزم من الضباط والاطبا والجراحين والعلما
والمهندسين والطوبجية والمهمات الحربية ونحو ذلك

فالعساكر التى تنتهى خدمتهم في سلك العسكرية يخرجون من ذلك
الاردو ٠ ويستعوض بدلهم من تلك الديار الموجود فيها ٠ فيمكث الانسان
خمستا عوام في العسكرية ثم يخرج من الاردو وينطلق سبيله ويعود الى
وطنه ليكتسب من عمله معيشته انما يدخل في صنف الرديف لان هولا
الجنود المنطلقة تسمى رديفاً لانهم يكونون مددا وقوة عمومية للدولة
العلية شيد الله اعلامها وخلد في طالع السعود اقتدارها ٠ فيمكثون في صنف
الرديف سبعة اعوام ٠ وان الذين يدخلون في القرعة العسكرية يكونون
من سن العشرين الى خمسة وعشرين وما زاد عن ذلك لا يقبل الا
بارادة سنية فجميع الذين في هذا العمر يجتمعون حين التنبيه عليهم في
كرسي القضا الذى يعين ليسحبوا ورقة قرعتهم بايديهم فمن اصابت
اسمه القرعة صار عسكريا وان لم تصبه رجع الى وطنه لمعاطاة اشغاله وقد
عينت المبالغ التي تستجلب فيها الانفار لضرب القرعة في كرسي القضا يوم

عيد الحضور والذى لا يحضر فى ذلك الوقت الى القرعة بدون عذر مقبول يكتب في العسكرية من غير قرعة فيسقط من اصل ما هو مطلوب من انفار البلدة وبعد رمى القرعة فالذين لم تصبهم القرعة يذهبون الى اوطانهم لمعاطاة اشغالهم واما الذين تصيبهم القرعة قد رخص لهم بالرجوع الى اوطانهم لقضا مصالحهم ثم يرجعون بعد عشرين يوما *

ومن جملة المآثر الجميلة والتوجهات السعيدة الشاهانية انه اذا كان لرجل اربعة اولاد او خمسة واصابت القرعة واحدًا او اثنين منهم فيأخذونهما واما اذا اصابة الخمسة فيوخذ اثنين لا غير واذا اراد الاب ان يستعوض ولده الذى اصابته القرعة بولد من اولاده الباقين فله الاذن او بتقديم بدل عوضه . وشرط البدل

اولا ان يكون راضيا بمبلغ من المال بشرط ان يكون الدافع له اقتدار على اعطا ذلك المبلغ من دون انه يبيع كرمًا او بستانًا او منزلا والا فلا

ثانيا ان يكون البدل قد تجاوز سن الخمسة والعشرين لا الثلاثين *

ثالثا ان يكون البدل سالمًا من الافات العضالة والامراض المعدية سليم تركيب البنية .

رابعًا ان لا يكون من الذين كملوا الخدمة قبلا ودخلوا في صنف الرديف لكن اذا كان البدل قد استكمل من العمر خمسة وعشرين سنة وما اصابت اسمه القرعة او عفى عنه لسبب كونه وحيداً ودخل في صنف الرديف فقبوله جايز (اعلم ان الذى يفوت من العمر خمسة وعشرين سنة ولم تصبه القرعة فهذا يدخل في صنف الرديف) .

خامسًا ان يكون البدل من اهالى ديار الاردو وليس من غيرها *

سادسًا ان لا يكون من العبيد السود ولا باس اذا كان من المماليك *

سابعًا ان لا يكون البدل من الذين قد دخلوا في سلك العسكرية

واخرجوا بسبب افة فى اعضايهم او من الذين طردوا بسبب ارتكابهم الافعال التي لاتليق بشان شرف العسكرية *

ثامنا ان لايكون البدل من مجهولى الوطن ولا من المشهورين بين الناس بالاطوار القبيحة والصفات المذمومة *

تاسعا لا يقبل البدل بعد مضى ثلثة اشهر من دخول المبدل في سلك العسكرية * ويلزم على مقدم البدل ان يقدم كفيلا باستقامة خدامة البدل وصدقه وانه اذا هرب البدل قبل السنة الاولى ولم يوجد بعد التفتيش عليه فيلتزم صاحب البدل ان يقدم غيره وله مهلة ثلثة اشهر فاذا مضت ولم يقدم يوخذ بذاته *

واما الذين يقدمون بدلا عنهم فيدخلون فى صنف الرديف ويمكثون فيه سبع سنوات مقيمين فى اوطانهم يتعاطون اشغالهم مستعدين لوقت الطلب فيكونون كقوة عمومية للدولة العلية *

وان البدل الذى يكون من المماليك او من رعاع الناس واخرج من السلك العسكرى بعد مضى المدة المعلومة فلا يدخل فى سلك الرديف كالباقين *

واذا كان ولد وحيد لرجل فى عمر السبعين او لمريض ذى علة او لامراة ارملة فلا يوخذ ذاك الولد اذا تحقق انه لا يوجد معين قريب او بعيد لذاك الرجل او للامراة كابن اخ . واخ . وصهر . وابن ولد

واذا كان شاب فى سن العسكرية لكنه صاحب بيت وهو يعوله بمفرده وليس له فى بيته او فى قريته اب او حم او ابن حم جاوز خمسة وعشرين سنة من عمره فذاك الشاب لايدخل تلك السنة في القرعة بل يترك الى السنة القادمة * ومن كان مصابا بمرض عضال او معد فلا يدخل فى القرعة العسكرية واذا كان لرجل ولدان فى السن العسكرى

فلا يجوز ان يوخذ الاثنان معا في سنة واحدة * فيدخلان فى القرعة فاذا اصابت الاثنين يوخذ واحد * وللاب ان يختار من يشا من الاثنين وانما اذا اصابت واحدا فيوخذ بذاته *

واذا كان اثنان يعولان بيتين بالاشتراك وهما في سن العسكرى فيكون حكمهما حكم الاخوين ويدخل الاثنان الى القرعة ومن منهما اصابته القرعة فيوخذ للعسكر . واذا اصابت الواحد اولا ثم اصابت الثانى بعده فيوخذ الذى اصيب اولا . و يترك الذى اصيب بعده

وايضا لا يوخذ من كان طالب علم . وهولا بعد امتحانهم فى مجلس القرعة فمن كان عمره عشرين سنة او احدى وعشرين يكون امتحانه بمسايل من الاظهار . ومن كان فى سن اثنتين وعشرين او ثلث وعشرين فبمسايل من الكافية . ومن كان في سن اربع وعشرين او خمس وعشرين فبمسايل من شرح الملا جامى والفنارى . فان اجابوا عما سيلوا به وظهرانهم من اصحاب الاجتهاد فيعفى عنهم والا فيقيد اسمهم بدفتر القرعة * ويعفى عن كل من كان مفردا في بيته وعن كل اعور واشل واعرج واحدب وعن كل من كان مبتليا بعلة مزمنة عضالة او بمرض معد او ضعيف الجسم مهزول البنية لا يتحمل الخدمة العسكرية . ونحو ذلك من القوانين والتنظيمات التى وضعت فى هذا الشان لا يلزمنا زيادة تفصيلها * هذا واعلم ان الشاب الذى ينتظم فى السلك العسكرى قد يدخل تحت نظام وقوانين مبنية على فن صناعة الحرب وعلى السلوك الحسن والاداب والابتعاد عن كل ما يشين شرف الانسانية لا سيما شرف العسكرية * ولاجل راحة هولا العساكر ورفاهيتهم قد ترتب ما يكون لازما لمعيشتهم من المصاريف الضرورية لكل نفر

من الانفار مبلغ من المال فى كل شهر هذا ما عدا اغذيتهم التى
يوميًا تكون من اللحوم والبقول والارز مطبوخة طبخًا جيداً وملابسهم
الجوخ في فصل الشتا والبياض فى فصل الصيف واماكن سكناهم مرتبة
بغاية ما يكون وموقعها فى احسن موقع فى كل بلدة لاجل صحة هولا
العساكر الذين قلت امراضهم جدًا نظرًا لعدم استعمالهم الاغذية
العسرة الهضم الغير الموافقة ولذلك نشاهد ان عدد المتوفين من العساكر
في كل سنة نظراً لعددهم فهو قليل جداً بالنسبة لغيرهم من الناس وذلك لجملة
اسباب . اولا كما قدمنا لا ياكلون الا اللحوم الطرية والبقول الجيدة
ثانيًا ان اماكن سكناهم جيدة الوضع نظيفة من الاوخام والتعفن .
ثالثًا ان الذى يشكى منهم بتغير فى صحته ولو قليلاً حالاً يرسل الى
المحل المعد لمعالجة هولا العساكر المعروف بالخستخانة الموجودة فى كل
بلدة كانت تقيم بها العساكر حتي في اثنا سفرهم في الطريق وفي هذه
الخستخانات يوجد اطبا ماهرون وجراحون واجزا ية ونظار وخدامون
وادوية والات واسرة لرقاد المرضى مفروشة بالفرش الطرية
النظيفة وجميع ما يلزم لمعالجتهم من كلى وجزى . فاكثر المرضى
الذين يحضرون الى هذه الاماكن من العساكر يتعافون فى وقت
قريب وبعد ذلك يرجعون الى قشلهم *

فلا ريب ان ماهم عليه هولا الجنود من الراحة والرفاهية ومداراة
الصحة والتربية لاتحصل عليه عامة الناس هذا ماعدا اذا ظهر من ذلك
العسكرى شى من الشجاعة وصدق الخدامة والافعال التى تشيد اسمه
بين اقرانه تجعله ان يرتقى الي درجة الضباط فحينيذ يزيد اعتباره
ومرتبته . وكم من الانفار الذين بواسطة اجتهادهم وشجاعتهم قد
ارتقوا الي رتبة الفريق بل الى رتبة المشير فاذاً اذا وجد البعض

يستصعبون الدخول في السلك العسكرى ولاسيما الشبان * فهولا
لااظن الانهم بغاية ما يكون من التغفل * فكم وكم من اصحاب البيوت
القديمة والاملاك الكثيرة والغنا الزايد فى بلاد الانكليز وفرنسا والنمسا
يتركونها وينتظمون في السلك العسكري وغايتهم بذلك الارتقا الى اعلى
درجات الوظايف حيث كما قدمنا وقلنا انه عند الدولة وعند ساير
الدول لاوظيفة ولا رتبة حقيقية الا فى العسكرية هذا وفضلا علي ذلك
يفضلون حب الوطن والحاماة على جميع الاعمال والمهمات التجرية
وخلافها *

وحيث ان التنظيمات العسكرية والترتيبات الجديدة الشاهانية
قبل الان لم تحط كافة الناس بها علما فالعشم انه يكون الان اتضح ذلك
للجميع داعين بتخليد سرير هذه الدولة العلية المحفوظة بحفظ رب الملك
العظيم *

وبما ان غايتنا هنا اظهار طرفا من اخبار ملوك ال عثمان العظام
وما فعلوه في ايامهم من الافعال القاهرة والفتوحات الباهرة
التى تستحق ان تخلد الى اخر الدوران اردنا ان
نذكر هنا ما امكن ذكره بوجه الاختصار
مما يلذ القارى ويشوق السامع
فنقول وبالله
التوفيق

م

* الفصل السادس *

فى اصل تاسيس الدولة العثمانية وذكر ملوكها بوجه الاختصار *

ان اكثر المورخين قد اختلفوا في تاصيل عشيرة ال عثمان لانها قديمة العهد ومنشاها فى بلاد بعيدة عنهم * فالبعض ينسبون هذه العايلة الشريفة الى سلالة عيس بن اسحاق الذى منه اوغوز خان الذي من نسله سليمان شاه ابو اورطغرل * والبعض ينسبونهم الى طايفة اتت من الحجاز بسبب القحط ونزلت فى بلاد الفرسان وهم بنو قطورة * وكل فريق من المورخين ياتي بدلايل وبراهين لتاكيد ذلك واخر ما عندهم ان سلالة ال عثمان متشعبة من بني قطورة ومن العيس بن اسحاق ونحن هنا لانريد ان ندخل في هذا البحث لان مشاهير المورخين العثمانيين قد استوفوا ذلك بالتفصيل واجاد فى هذا البحث صاحب تاريخ الدولة العثمانية خير الله افندى الشهير ولكن غاية ما نقول فى هذا الموضوع بوجه الاختصار ان هذه العايلة الشريفة هى اشرف العشاير الاسلامية وان جد آل عثمان الذى هو سليمان شاه اتي بجماعته (سنة ١٢٠٠) ميلادية الموافقة (سنة ٦٢١) هجرية ونزل في صحارى بلاد ارمينية الكبرى . ومكث هناك نحو سبع سنوات وبعد وفاة جنكز خان وقع الحرب بين الخوارزمى وعلاء الدين سلطان قونية كبير السلاجقة * فقدم لعلاء الدين خدامات حتي انتصر على اعداءه بواسطته * وبعد ان مكث هناك مدة من الزمان الى نحو (سنة ٦٢٨) اراد ان يعبر بجماعته نهر الفرات ويدخل الى عربستان فغرق فى

ذلك النهر ودفن في ذلك المكان وهو الى الان يعرف بمزار الاتراك وكان له اربعة اولاد وهم سنقورتكين وكون طوغدى وارطغرل ودوندر فرجع سنقورتكن وكون طوغدى الى ناحية الشرق وبقي ارطغرل ودوندر عند السلطان علاء الدين وحضرا معه حروبا كثيرة * ثم توفي ارطغرل تاركا ولده عثمان الغازى. وبعد انقراض الدولة السلجوقية تولوا على تخت السلطنة كما سياتي * وبما ان الوقوف على ترجمة حياة هولاء السلاطين العظام من الامور التي تستحق الذكر. اردنا ان نذكر شيا من احاديث الوقايع التى جرت فى ايامهم والفتوحات العجيبة التي صنعوها * معتمدين على ما ذكروه مورخي الافرنج فى هذا الموضوع وعلى الخصوص ما ذكره المورخ جوانين الفرنساوى وغيره من المورخين فنقول *

ان كل واحد منهم فعل افعالا باهرة وغزا غزوات قاهرة تستحق ان تخلد في بطون الاسفار لكى يتمثل بها الملوك الذين ياتون بعدهم ويعلموا ان افعال هولاء الملوك تستحق ان تقدم على اعمال الاكاسرة والقياصرة وبقية الملوك والسلاطين الذين تدونت اسماوهم فى كتب التواريخ ومن مطالعة تواريخ هذه العايلة الشريفة تظهر عظمة افعالهم وبطشهم وشجاعتهم التي قاوموا بها جميع الدول المحيطة بهم فكانوا يفتحون المدن العظيمة والحصون المنيعة ويقهرون الجبابرة العظام ويتسلطون على الممالك برًا وبحرًا الى ابعد مكان فكانت ترتعد من سطوتهم قلوب جميع الدول الافرنجية وتقدم لهم الطاعة والخضوع * وكان يحدث فى اكثر السنين ان جميع الشعوب المحيطة بهم تقوم عليهم بالحروب * فكان من جهة اسيا تحاربهم الاعجام والعرب والمسكوب ومن جهة اوروبا دولة النمسا والمجر ومشيخة البندقية واليونان وتنهض لمساعدتهم الدول الاخر كالانكليز وفرنسا وسبانيا وايطاليا وغيرهم

ومع كل هذا كانوا يتغلبون على جميع هذه الدول ويقهرونها ويجبرونها على تقديم الطاعة ودفع الخراج والجزية فكانت سطوتهم تزداد يوما فيوما واعلامهم ترتفع فوق جميع الاعلام الملوكية * ولا ريب ان يد الله كانت معهم دايما فى هذه النصرات التى هى فوق الاطوار البشرية . وقد ذكرنا هذه النبذة من احاديثهم على سبيل الاجمال ولكن لا بد من ان نذكر ما حدث لكل واحد منهم بوجه الاختصار فنقول

* السلطان عثمان *

بعد وفاة ارطغرل خلفه بكره عثمان وكان يلقب بعثمانجك * وكانت ولادته (سنة) ٦٥٧ هجرية الموافقة (سنة ١٢٥٩) مسيحية فانعم عليه السلطان علاء الدين صاحب قونية بوظيفة قايد العساكر الملوكية وفاءً عن خدامات ابيه * وقلده بنيشاني هذه الرتبة وهما الطبل والعلم ثم اتحفه بسكة ضرب المعاملة . ثم بخطبة صلوة الجمعة حتى صار لا ينقصه عن الملك الا الاسم فقط . وكان امينا فى الغاية نصوحا لعلاء الدين حتى ادخل فى طاعته جميع العصاة ثم سطا على الاروام فقهرهم وافتتح منهم مدينة كلزوقرا حصار * ثم استطال علي التتر فاباده وظفر فى غزوات كثيرة غير هذه فاحبه السلطان علاء الدين محبة شديدة واقامه واليا على مدينة اسكي شهر وغمره بالانعامات والهدايا *

وما زال السلطان عثمان فى غاراته حتى افتتح مدنا كثيرة وقلاعا حصينة واخضعها لسلطنة علاء الدين فكان من اعظم اركان دولته * وفي سنة (٦٩٩) للهجرة اغارت جماعة من التتر الغزناوية على بلاد علاء الدين وكانت رعاياه تكرهه لما فيه من التعسف فاغتنم الفرصة اكابر مملكته ونهضوا عليه ايضا . فلما راى ذلك لم يكن له طاقة على الثبات

ففر خوفا علي نفسه والتجا الى ميكايل بالالوغ صاحب الاروام فتوفي هناك بلا عقب *

فحينيذ ازداد السلطان عثمان شجاعة وشهرة حتى لقب بالغازى وكان يرى نفسه قادما يوما فيوما نحو تخت السلطنة الذى كان حينيذ خاليا من الملك لسبب انقراض العايلة السلجوقية التى كانت مستولية عليه في تلك الايام . وكان الشعب يوميذ معتقدا بدلايل تشير الى جلوس ابن ارطغرل على التخت الملوكى فايقن الجميع بان عثمان الغازى هو الملك المعد لهم فنادوا باسمه سلطانا عليهم * وكان ذلك (سنة ٦٩٩) هجرية الموافقة (سنة ١٢٩٩) مسيحية فجلس على سدة السلطنة وفتح مدينة قرا حصار وجعل كرسيه فيها وهو اول من دعى پادشاه * وبعد ان حصن مدينة يكى شهر ووسعها وزينها نقل كرسيه اليها وجعلها قصبة مملكته تاركا قرا حصار

واخذ هذا السلطان رحمة الله عليه بالفتوحات والغزوات حتى انه اخضع لسلطنته بلادا كثيرة وكان قاسيا فتاكا حتى انه قتل بسهم عمه دندار الذى كان رجلا جليلا بالغا من العمر نحو تسعين سنة لانه ذكر له شيا عن قساوته * ولما راى عساكره ذلك ازدادت هيبته ووقع الرعب في قلوبهم *

وبعد ان تمكن في الملك وافتتح قلاعا ومدنا كثيرة اغار على مدينة اذنك وحاصرها فلم يقدر على افتتاحها * وكان لا يريد ان يمتع رجاله بالرفاهة والراحة ليلا تستولى عليهم البلادة . فلما رفع الحصار عن هذه المدينة امر عساكره ان يبنوا امامها على جبل عال قلعة حصينة * ودعا تلك القلعة تذغان باسم قايد الجيش الذى قلده حمايتها *

وفي (سنة ٧٠٧) هيج والي برصة بقية حكام الولايات الرومية ضد السلطان عثمان فاجتمعوا سرا على مقاومته فلما بلغه ذلك انصب غفلة على عساكرهم المجتمعة فكسرها وقتل في تلك الوقعة صاحب قلعة كستل وفر والي كوتاهية فتبع اثره حتى دخل اولوباد فاحتمى هناك * ولكن حاكم تلك المدينة لخوفه من شوكة السلطان عثمان قبض على ذلك الرجل وسلمه اياه وعقد معه عهدا انه لا يتجاوز نهر اولاباد لا هو ولا خلفاؤه * فحفظت الدولة العثمانية ذلك العهد زمانا ولكن بعد ذلك حينما ارادوا ان يتجاوزوه نزلوا في السفن وتجاوزوه بحرا لئلا ينقضوا ذلك العهد المؤكد بالاقسام العظيمة *

ولما رسخت اقدام السلطان عثمان في الملك واستولى على جميع مدن بيتينيا ارسل يعرض الاسلامية على الحكام النصارى في تلك الاقطار فمن اسلم منهم سلم ومن ابي فليرضخ للجزية او يتجهز للحرب فمنهم من اختار الاسلام فاكرمه ومنهم من خضع للجزية ومنهم من فر منهزما فاقتفاه العسكر السلطاني ووقع في يده بعض المنهزمين فاخذوه اسيرا *

وبينما كان السلطان عثمان مشتغلا بهذه النوبة اغار جمهور من التتر السودا على بلاده حتى وصلوا الى اخراجي حصار . فخرج اليهم ارخان ابن السلطان عثمان واوقع بهم فقتل منهم مقتلة عظيمة واستاسر منهم جماعة * ولما ظفر هذا الظفر اشتدت عزايمه فاستطال على تلك النواحي واستولى على جملة قلاع من نواحي اق حصار *

وكان السلطان عثمان قبل ذلك بعشر سنين قد غزا مدينة برصة التي هي قصبة بيتينيا ولم يقدر على افتتاحها * فبني امامها قلعتين واقام على محافظة احدهما اختيهور ابن اخيه وعلى الثانية بلبان * وبواسطة

هاتين القلعتين ضيق على المدينة جدا* فلما كان ولك ارخان قد استظهر
ذلك الاستظهار بعد فراغه من نوبة التتر ارسله بجيش عظيم اليها
فاقام عليها الحصار* وكان حاكمها يستطيع ان يمتنع بها زمانا طويلا
لانها كانت حصينة في الغاية ولكن حضر اليه امر من اندرونيكوس
ملك الروم بتسليمها فسلمها ودخلها ارخان بالامان واذن لاهلها ان
يخرجوا منها سالمين بشرط ان يدفعوا له ثلاثين الف دينار* وكان ذلك
(سنة ٧٢٦) للهجرة* وبينما كان ارخان فى بحبوحة ذلك الظفر الذى
كان مسرورا به وفد اليه رسول من قبل ابيه الذى كان قد سقط على
فراش الموت يدعوه اليه* فارتعدت فرايصه من ذلك الخبر ونهض
مسرعا حتى دخل على ابيه وهو يجود بنفسه فقال له والدموع تذرف
من عينيه ياعثمان اعظم سلاطين الارض انت الذى قهرت هذا القدر
من الشعوب هل انت الذى اراه فى هذه الحالة* فاجابه بصوت خفى
ياولدى لاتجزع فان هذا سبيل الناس* وانى اموت مسرورا لانى قد
وجدت لى خليفة يقوم بحق الملك بعدى * ثم شرع في توصيته بضبط
الملك والعدل بين الرعايا والمحاماة عن دين الاسلام واكرام العلما
ونحو ذلك من المآثر الجميلة* وفى اثناء ذلك اسلم الروح * فنقلوا جثته
الى زاوية فى قلعة برصة تدعى القبة المفضضة* والى هذه الايام القريبة
لم تزل موجودة فى هذه الزاوية سبحته والطبل الذى اعطاه اياه السلطان
علاء الدين كما مر* وكانت وفاة السلطان عثمان في عاشر شهر رمضان
(سنة ٧٢٦) هجرية وكان عمره تسعا وستين سنة ومدة ملكه سبعا وعشرين
سنة وكان كريما بهذا المقدار حتى انه من جميع الاموال التى كانت ترد الى
خزينته لم يترك شيا لخليفته سوى قفطان مطرز وعمامة وبعض مناطق
من نسايج القطن وملعقة ومملحة * وذلك لكثرة كرمه وانعاماته على

العساكر الذين كان يستجلبهم اليه بهذه الواسطة حتى يلقوا انفسهم فى المهالك لاجل خدمته *

* السلطان ارخان *

وبعد وفاة السلطان عثمان جلس ولده ارخان لان بكره علاء الدين كان منشغفا بحب العلم وطلب الوحدة فلم يتعرض لذلك بشيء غير انه تنازل الى طلب اخيه واقيم معه شريكا فى الملك فاقام عنده على وظيفة الوزارة• وطالما كان السلطان ارخان الذى ورث من ابيه محبة الحروب ولقب الغازى يجتهد فى توسيع مملكته كان اخوه علاء الدين الذى اخذ اول لقب باشا يجتهد في توطيد اساسات الملك بشرايع مفيدة وترتيبات دائمة *

وبعد ان نقل السلطان ارخان كرسيه الى برصة التى غرة بها مركزها الجميل صار يهتم بفتوحات جديدة فوجه جيوشه الي جهات الاروام * فاستفتحت قلعة ارمنى باظارى وعنكوله وكندره واماكن غيرها كثيرة ثم اجتمعوا على حصار قلعة ايدوس وسمندرة فاقاموا على هذه الاخيرة مدة طويلة حتي كادوا يياسون منها* وبينما هم كذلك اذا بالباب قد فتح وخرجت منه جنازة يتبعها شيخ باك * وكان ذلك الشيخ هو صاحب القلعة قد خرج الى دفن ولده المايت حينيذ * فهجم العسكر على الجنازة وقبض على الاب وبذلك تملكوا القلعة على اهون سبيل *

ويقرب من هذا ما وقع في حصار قلعة ايدوس لعبد الرحمن الغازى الذى كان محاصرا لها في تلك الايام من قبل الدولة العثمانية• فان ابنة صاحب القلعة نظرت يوما من احد المشارف فرات عبد الرحمن

وكان بديعا في حسنه فهامت به عشقا وكتبت رقعة وعلقتها بحجر
ورشقتها امامه فتناولها واذا هي قد كتبت اليه تكشف محبتها له وتعلمه
واسطة يمكنه الدخول بها الى القلعة ليلاً * فاغتنم الفرصة ودخل الى القلعة
بثمانين رجلا وتملكها بهذه الواسطة * ثم اتخذ الابنة زوجة له فولدت له قرا
عبد الرحمن الذي كان اشد باسا من ابيه واعظم رهبة عند الناس حتى
انه بعد موته بزمان طويل كانت المراة الرومية اذا ارادت ان تخوف
ولدها لكي يسكت تقول له هوذا عبد الرحمن الاسود *

وفي اثنا ذلك وقعت قلعة اذنيك بايدي العساكر العثمانية
فانكسرت عزايم الاروام لانها كانت مانعاً قوياً للعساكر العثمانية في
جهة اسيا . وبعد افتتاحها عاملهم السلطان ارخان بخلاف ماكانوا
يظنون لانه عفا عن جميع المحاصرين وعن اعراضهم واموالهم ففرحت
الاهالي فرحاً عظيماً ودعوا له بالنصر والتاييد . ودخل البلد بموكب عظيم
ولما وصل الى وسط المدينة شاهد امراً غريباً وقّفه عن المسير وذلك ان نساء
باكيات كانت تسجد على اقدامه وهي الارامل اللواتي فقدت رجالها
في المحاماة عن وطنهم فانهضهن السلطان بكل بشاشة واشفاق وانعم عليهن
بما يسر خواطرهن . فدعا له الشعب بالنصر واشتهرت رحمته وعدله في
تلك الجهات فمالت اليه قلوب الناس وسلموا له اكثر الجهات حتى
ان نيقيا صارت اغنى مما كانت عليه في الزمان القديم . وبعد ذلك توفي
علاء الدين اخو السلطان ارخان فاقيم مكانه سليمان باشا بكر السلطان
ارخان الذي فتح جملة قلع حصينة لاسيما قلعة كملك و بعد كل هذه
النصرات التي بها استولى السلطان ارخان على مدن بيتينيا ونيقيا وبرصا
ونيكوميديا وبرغاما . اخذ في وضع تاسيس تنظيمات المملكة . وشرع ببناء
ابنية كثيرة واقام جوامع وانشا مدارس عديدة حتى ان اعماله الباهرة فاقت

على اعمال من تولى هذه البلاد قبله من الملوك

وفي (سنة ٧٥٨) بعدما استراح نحو عشرين سنة اراد ان يستفتح مملكة بيزنطيا التي كانت قد آلت الى الخراب لسبب الحروب الداخلية بين حكامها * فوكل ولده سليمان بهذا الامر وعزم على ضم هذه البلاد التي في جهة اوربا الى المملكة العثمانية الكائنة في جهة اسيا فنزل سليمان مع ثمانين رجلاً من الابطال على لوحين من الخشب وعبروا بحر مرمرا الى الجهة الثانية وتملكوا مدينة طنب غفلة . و بعد ذلك اخذ بجلب اليونان اليه وادخل بمراكبهم ثلثة الاف من العساكر العثمانية الذين افتتحوا مدينة كليبولى التى هى مفتاح القسطنطينية. وصاروا يفتحون البلاد في تلك الجهات فاستولوا على جملة قلع ومدن حصينة فاخذ الملك يوحنا كونتاكوزين الذى زوج ابنته للسلطان ارخان (سنة ٧٤٦) يتشكى من نقض العهد الذى كان بينهم فاجابه السلطان ارخان عمه ان هكذا هي مشية الله التى بها استفتحوا القلع والبلاد لا بقوة السلاح فلم يكتف الملك يوحنا بجوابه هذا بل اجابه ان الامر ليس متوقفا على المعرفة ان كان ذلك بقوة السلاح او بغيرها ولكن ملكها هل كان بحق . فالسلطان ارخان لكى يصلح ما قد حصل طلب من الملك يوحنا اربعين الفا من الرجال وطلب مواجهته فى خلوة للمكالمة معه سرا اما الملك يوحنا فلم يقبل هذا الطلب وانقطعت المخاطبة بينهما *

واما سليمان باشا الذى فتح فتوحات شهيرة وظفر ظفرات عظيمة فانه اذ كان في احد الايام يلعب بالجريد سقط عن ظهر حصانه فمات وذلك (سنة ٧٦٠) فبنى له ابوه مقامًا على شاطئ بحر مرمرا ياتي اليه كثير من حجاج المسلمين وحزن عليه ابوه حزنا عظيما ومن

شدة حزنه تراكمت عليه الامراض ولم يعش بعده الا عاما واحـدا
ومات في السنة الخامسة والسبعين من عمره والخامسة والثلاثين من
ملكه وكان حليما كريما سعيدا في الحروب عادلا محبا للعلوم مهابا في
اعين الناظرين *

* السلطان مراد *

وبعد وفاة السلطان ارخان الغازى جلس مكانه ولده السلطان
مراد فاخذ هذا السلطان العظيم يفتكر فى الطرق التى بها يمكنه ان
يتملك علي القسم الثاني من جهة اوربا الذى كان شرع في افتتاحه
اخوه سليمان غير انه اراد ان يثبت كرسيه في جهة اسيا قبل ذلك
لانه كان يلوح له ان الملك لم يزل مضطربا *

وذلك لان حاكم قرماني وغيره من حكام الولايات والمقاطعات
قد اضطربوا وارتعدوا من تقدم ال عثمان فاشهروا الحرب ضـد
السـلطان مراد الذى ضربهم وشتتهم اقطاعًا فى جهات الارض ثم
رجع الى مقصده ووجه عساكره الى جهة اوربا فارسـل لالا شـاهين
الذى لقبه بوظيفة بكلر بك صحبة عساكره المترامس عليهم حاجـى
البسكى وامره ان يعبر البحر من جهة كليبولى ويضرب مدينة ادرنة
فحالاً توجه بالعساكر اليها وفتحها بمدة قريبة *

وبعد اخذ هذه المدينة تقدمت العساكر الشاهانية فاتحة الحصون
والبلاد الى قرب جبل البلكان . ثم حصلت المعاملة بين السلطان مراد
وملك اليونان . فاخذ السلطان يهتم في ترتيب امور المملكة
وتنظيمها *

غير ان هذا الصلح لم تطل مدته لان جان بالالوغ . ملك القسطنطينية

توجه مسرعا الى مدينة رومية وانطرح على اقدام البابا اوربنيانوس الخامس وطلب منه الاسعاف . فاجتمع جيش جرار واتوا لمحاربة العثمانين واسعاف اليونان واجتمع معهم ايضا صاحب بوسنا وملك المجر وحاكم الفلاق وحاصروا مدينة ادرنة . فلما بلغ السلطان خبرهم سير اليهم لالاشاهين وصحبته حاجي البكي وهو تيمورطاش بك الشهير فهذا البطل الشهم العظيم هجم على عساكر النصارى اذ كانوا نياما وصرخ عليهم الله اكبر . وضربت طبول الحرب وصرخت الزمور و رنت السيوف فنهضت عساكر النصارى مرتعدة من ذلك الصراخ وتلك الاصوات المهولة وهربوا مرتعدين من تلك المصيبة العظمى والذين خلصوا منهم طرحوا انفسهم في مياه نهر هناك يدعى مارينزا *

وبعد هذه النصرة الشهيرة واخذ مدينة بيغا عقدت شروط الصلح في (سنة ١٣٦٥) بين السلطان مراد وحكام النصارى ودخلت مشيخة راكوس تحت حماية الدولة وصارت تدفع خراجاً سنوياً وسمح لها بحرية التجارة البحرية فى بلاد الدولة . ثم وجه كل اهتمامه الى تنظيم المملكة وتوسيع الملك فسير جيوشه الى جهات المملكة ففتحوا جملة بلاد واسعة وقلاع حصينة فى برهة خمس سنين ومن ذلك لقب بالغازى وبعد ما استولى على هذه البلاد في جهة اوربا عبر الى ناحية اسيا وكان قره خليل وكيله في مدة غيابه قد صرف همته في تدبير امور المملكة باحسن ما يكون ولذلك انعم عليه السلطان مراد برتبة الصدارة وصار يدعي خير الدين باشا * وبعد وفاته انتقلت رتبة الصدارة الى عايلته بطريق الوراثة الى حين افتتاح القسطنطينية . ثم ان قسطنطين حاكم البولغار وهبه بلده كوستنديل بشرط ان يعفيه من تادية الخراج . وبعد رجوعه من مدينة بورصة بلغه عصيان البعض من حكام

اليونان على شطوط البحر الاسود فحالا توجه اليهم وعبر بحر مرمرا و بعد ان
تملك ايند يجبر * حاصر سبزيبولي و بعد حصار خمسة عشر يوماً بدون
فايدة عزم على الرجوع واذا بجانب من سور القلعة قد سقط بسبب
زلزلة قوية فوجدت العساكر العثمانية منفذا للدخول فعبروا الى القلعة
وتملكوها * وعند ما كانت اليونان تطلب الصلح من السلطان كان
وزيره خير الدين باشا وافرينوس مشتغلين بالحروب فاستوليا
على جملة مدن وقلع عظيمة في جهة تاساليا *

ومن جهة ثانية كانت فرقة من العساكر تحارب لازار وسيجموند
حاكمي السرب والبلغارستان اللذين طلبا من السلطان عقد الصلح
وان الاول يقدم الف حصان والف رطل من الفضة فى كل سنة
والثاني يعطيه ابنته *

فالسلطان مراد بعد فتوحات جليلة عقد الصلح على ست سنوات
ثم عبر الى مدينة ادرنه وفي مدة اقامته هنالك كان مجتهدا في تقوية
جيوشه وتكميل نظام ترتيب العساكر الصباهية والفونياك . وهذا
السلطان الذى كان يجتهد في تقريب الحكام اليه باى واسطة كانت
افتكر ان ياخذ بنت حاكم قرميان لابنه بايزيد وغايته بذلك ان يجعل
الالفة مع حكام مقاطعات اسيا الصغرى وتم ذلك بموكب عظيم . فانه
ارسل خواجه افندى قاضى بورصة والكنسور سنجقدار السلطان
وچاويش باشى تيمورخان ومعهم ثلاثة الاف من العساكر وكان
ذلك العرس محتفلاً بغاية ما يكون فى مدينة بورصه بحضور نواب
سلطان سوريا ومصر وصاحب كراماني . وكستاموني وايدين وغيرهم
وجميعهم قدموا للسلطان من الهدايا الثمينة ما لا يقدر * ورجل من
طايفة الروم اهدى اليه خمسين مملوكاً وخمسين سرية * وكل واحد كان

حاملاً بيك صينية من الذهب مملية من الدنانير . ونظير ذلك صواني من الفضة عليها دراهم فضية واباريق من الذهب والفضة . واقداح وطاسات مشغولة بانواع المينا . وانواع المجرات الثمينة من الزمرد والياقوت والزفير ونحو ذلك * فأمر السلطان ان تتوزع جميع تلك الهدايا على المشايخ والعلما والمتقربين *

فمن هذا الاتحاد قد تملك السلطان مراد على مقاطعة قرميان وغيرها ثم على مدينة كوتاهيا التي وهبها صاحب قرميان الى ابنته عند زواجها *

وفي ذلك الوقت كان تيمورطاش يفتح البلاد فدخل مكدونيا وتقدم بها الى حدود بلاد الارنبوط واستولي على مدينة منستر وغير اماكن ايضاً

ولما لاح لهذا الفاتح العظيم اطاعة الحكام وخضوعهم لسلطته ولاسيما جوان بالالوغ الذى ارسل له ولك تيودور ليتعلم من عساكره صناعة الحرب . اخذ يهتم بترتيب الملك . واذا باندرونيكوس بالالوغ ابن جوان بالالوغ وابن السلطان مراد سورجي اجتمعا سوية وهيجا الناس وجمعا عسكراً جراراً واتيا بد الى قرب نهر هناك ليخلعا ابويهما ويتولى كل واحد منهما على تخت ابيه * فلما بلغ السلطان ذلك هجم عليهما بحصانه وصرخ على العساكر ان يمسكوهما . فهربت عساكرهما ولما وقع ابن السلطان مراد يد ابيه امر بقلع عينيه ثم امر بقتله . والملك امر ان يصبّ الحل المغلىّ فى عيني ولك . ولما علم اخوه مانويل وهو ابن جوان ثاني مانويل الذى كان والياً على مدينة سالونيك نهض على العساكر العثمانية الذين كانوا في مدينة فاريا . فلما بلغ ذلك السلطان مراد ارسل وزيره خير الدين باشا الذى شتتهم اقطاعا * فهرب اندرونيكوس الى القسطنطينية ملتجيا الى ابيه فلم يقدر ان يقبله لسبب غضب السلطان مراد عليه . ولذلك توجه الى الباب العالي وبعد ان

بعمل وسايط كثيرة حضر امام السلطان وانطرح على اقدامه فعفا عنه وارسله الى ابيه * وفي تلك الايام توفى خير الدين پاشا الصدر الاعظم فتاسف عليه السلطان مراد *

وفي اثنا ذلك حرك حاكم كراماني العصاة ضد السلطان مراد فضربه تيمورطاش پاشا و بيازيد ابن السلطان واتيا بعلاء الدين الى السلطان فتشفع بيازيد به عند السلطان فعفا عنه وارجعه الى ولايته وحينيذ تحقق للسلطان مراد حصول الراحة التامة بعد هذه الفتوحات والنصرات براً وبحراً

ولما رجع السلطان مراد من فتوحاته الى مدينة بو[illegible] يستريح من اتعاب الفتوحات التي كابدها في كل ايام حكمه اجتمع حاكم السرب لازار سرا مع سيجمون الخاين قرال بولغرستان الذى هو حمو السلطان مراد وانضمت اليهما اهالي مقاطعة بوسنا . فقتلوا كثيرا من الاسلام ولما بلغ السلطان اخبارهم تعجب من خباثة افعالهم . فغضب غضبا شديد وحالا ترك حكم الولايات التي في جهة اسيا تحت مناظرة خمسة حكام امناء وعاد فقطع البحر بعساكره الي جهة اوربا ليستولى علي باقى البلاد وكان فيكجى بك ابن تيمورطاش هجم على برافارى وتورنوفا وشوسا وتسلمها . ووضع الحصار على مدينة نيكوبولى . واعلم سيجمون الذى كان هرب اليها ان يطلب العفو من السلطان بشرط ان قرال البولغارستان يترك سيلسترا و يدفع جانباً من الخراج فى كل سنة . غير ان سيجمون لم يقم فى هذا العهد فاظهر العصاوة . فحاربته العساكر الشاهانية وبعد ان استولوا على بلاده ووقع اسيراً بايدى العساكر العثمانية امر السلطان ان يعفى عنه وهذا الحرب لاخير الذى كان (سنة ١٣٨٩) قد وسع بلاد السلطان مراد . واما ارفاق سيجمون

الذين كانوا متعاهدين معه على حرب السلطان فما كانوا يرجعون
عن عصيانهم وتوجه قرال السرب وفتح قلعة شهركوى التى
اخذها منه حالا باكچى بك. فجمع القرال المذكور عسكرًا غفيراً وسار
في بلاد بوسنا يطلب له ملجا. وبعد مرور جملة ايام لاقاهم السلطان
مراد بعساكره واكمن لهم فى سهل كوسوفا من بلاد السرب. وكانت
عساكره قليلة جدا بمقابلة عساكر الاعدا لانهم كانوا مجموعين من عساكر
السرب وبوسنا والارنبود والفلاق والبغدان وجانب من عساكر المجر
فحينئذ جمع السلطان روسا عساكره ليعرف ان كان يخاطر بالحرب
فولده بيازيد ذو الهمة العلية ابطل كل مشورة مخوفة وصرخ الحرب
الحرب. القتال القتال. فامر السلطان بدق طبول الحرب والهجوم
على الاعدا فهجمت عساكر السلطان على عساكر الاعدا الذين كانوا
اكثر منهم عدداً واشتبك القتال وصرخت الفرسان الله اكبر واختلطت
العساكر ببعضها وكان بيازيد بينهم ينتشب كالبرق قاطعاً بسيفه يمينا
وشمالا من عساكر الاعدا فكانت واقعة مهولة بهذا المقدار حتى ان الدم
جرى كالانهر وتغطى وجه الارض بالجماجم والجثث من الفريقين
وغلبت عساكر السلطان عساكر الاعدا فشتتوا من بقى منهم حيا في
جهات البلاد ووقع قرال السرب اسيرا. وبعد هذه الموقعة المهولة اخذ
السلطان مراد يتمشى بين تلك الجثث فتعجب من ذلك المنظر المريع
فاستبشر السلطان بهذه الغلبة التى كان امله بها قليلا ولكنه فى الحال
نهض شاب من بين تلك الجثث ملطخا بالدما فهجم على السلطان
مراد وطعنه بخنجر في بطنه فسقط على الارض وقبل موته امر بقتل لازار
حاكم السرب الذى عفا عنه سابقا. واما العساكر الذين كانوا معه
فانهم هجموا على القاتل وقطعوه قطعا. وكان ذلك سنة سبعماية واحدى

وتسعين الموافقة سنة الف وثلثماية وتسع وثمانين وبعد ذلك حنطوا جسمه ونقلوه الى بورصه ودفنوه هناك في تربة شكركي . وكان عمره ثلاثا وستين سنة وملك ملكه خمسا واربعين سنة . وكان هذا السلطان اعظم سلاطين ال عثمان . وكان شديد الباس ثاقب العقل ثابت العزم . لايحب البذخ في الملابس فكان لايلبس الا ثوبا من الصوف الرقيق الذي كان ملبوس الدراويش . وكان كثير التقشف والورع مجاهدا في انتشار دين الاسلام . وكان يعتقد كثيرا بصحة الاحلام وكانت غالبا تصدق معه وهي التي جعلته ينقل كرسيه الى مدينة ادرنة لانه راى في منامه هاتفا يقول له ان ينقل كرسيه الى هذه المدينة وعين له المكان الذي بني فيه السراية الملوكية *

* السلطان بيازيد *

وبعد وفاة السلطان مراد خلفه ولده السلطان بيازيد الذي كان يلقب بالبرق لسبب خفته بالحرب . وكان اخوه يعقوب البكر الذي يستحق الخلافة . وكانت رجال الدولة تميل اليه . فكان يريد ان ينازع اخاه الملك فقتله لياس من غايلته . فلامته رجال دولته على ذلك فقال ان امير المومنين الذي هو ظل الله علي الارض يجب ان يكون واحدا في الارض كما ان الله واحد في السما ومن تلك الايام جرت العادة بين ملوك آل عثمان بقتل اخوة السلطان اوسجنهم في محابس معدة لهم تحت الحفظ وبقي ذلك الى ايام هذا السلطان السعيد عبد المجيد الذي لاشى جميع العوايد القديمة المكروهة *

-- وبعد ان جلس هذا السلطان على كرسي الملك ارسل فاعلم حكام مقاطعات اسيا بذلك . وبعد جلوسه اخذ في محاربة السرب الذين

كان ابوه يحاربهم فسارت عساكره الي از بورنا وتقدمت حتي وصلت الى ويدين . وسارهو بجانب من عساكره وتملكوا على مدينة سكوب والتزم ابن لازار صاحب ولاية السرب ان يعطى اخته للسلطان بيازيد متعهداً له ايضا بتقديم جانب من العساكر وخراجاً سنويا وفي ذلك الوقت حصلت منازعة بين الملك جوان صاحب القسطنطينية وبين ابنه اندرونيكوس وولده على الولاية فوضعهما الملك في الحبس فارسلا يطلبان الاسعاف من السلطان بيازيد فقبل السلطان رجاهما وسار الى القسطنطينية وخلص اندرونيكوس وابنه ووضع مكانهما جوان وامانويل ولده . ولكي يكافيا السلطان بيازيد على عمله هذا تعهد الملك الجديد ان يدفع له كل سنة جملة قناطير من الذهب والفضة غير ان جوان وابنه مانويل اللذين كانا محبوسين في برج هناك هربا ليلاً واتيا الى عند السلطان بيازيد وتعهد له جوان انه يقدم مقدار الذهب والفضة الذى وعده به ابنه اندرونيكوس وفضلاً عن ذلك يقدم له اثني عشر الف مقاتل . فقبل السلطان طلبه وارسل فاجلسه على كرسى الملك . وعوضاً عن ان يضع ابنه اندرونيكوس في السجن نفاه الى جزاير البحر الابيض * وفي اثنا ذلك عُقدت شروط الصُلح بين السلطان بيازيد والسرب بموجب طلبه ان يبني في بلادهم مايلزم من الجوامع والمدارس والمحاكم فابتدا (سنة ١٣٩١) في وضع اساسات ابنية شهيرة فى مدينة ادرنه وامر ببنا جامعه الشهير في هذه المدينة . وبما ان هذا السلطان كان محافظاً على مال بيت الاسلام حفظاً شديداً وكان يخصصه للحرب فقط *

واذ كان هذا الجامع يقتضى له مصاريف كثيرة افتكر انه يستولى على مدينة الاشهر التي كانت باقية بايدى اليونان في جهة اسيا

لكي يقدم مصاريف البنآء من مداخيلها ولما بلغ اهل تلك البلاد هذا الخبر قفلوا ابوابها . وحصنوا اسوارها فعلم بيازيد بذلك فغضب غضباً شديداً وامر جوان ملك القسطنطينية ان يهدم اسوار هذه المدينة فخاف الملك جوان من غضب بيازيد وامتثالاً لامره اخذ المدينة وسلمها له . فامر ان يُبنى فيها جوامع ومدارس وحمّامات من ايراد المدينة والذى يفيض عن ذلك يصرف لتكميل بناء الجامع المذكور . ولما بلغ صاحب ايدين ماحل بالاشهر الكاينة فى بلاده خاف خوفاً عظيماً وترك محل حكومته الى بيازيد وحلف له انه يحفظ الصداقة معه ويترك له السكة والخطبة ثم ذهب الى تيرا واقام هناك *

واما حكام مانتشا وصاروخان فانه لما بلغهم افعال السلطان بيازيد تركوا له بلادهم وهربوا من امامه . ثم انه هجم علي بلاد علآء الدين حاكم كراماني الذى كان حافظ الصداقة من ايام السلطان ارخان ففر من امامه وتملكت العساكر العثمانية علي مدينة قونية وعلى جملة بلاد غير هذه التي فتحت له ابوابها بدون حرب . فخاف علآء الدين من اخذ البلاد من يده . فطلب الصلح من بيازيد وصار الحد الفاصل لمملكة علاء الدين هو نهر شهرشنبه الذى يفصل الحدود عن بعضها

وبعدما اخضع البلاد في جهة الاناضول عبر البحر للجهة الثانية من قارة اوربا وطلب من ملك القسطنطينية ان يقدم ما وعد به من العساكر فتجهز مانويل بجانب من عساكره امام السلطان . وفى ذلك الوقت توجهت العمارة العثمانية واستولت على جزيرة رودوس وعلى جملة جزاير غيرها . ولما بلغ جوان بالالوغ خروج الملك مانويل من القسطنطينية جلس حالا على تخت المملكة وحصن اسوار القسطنطينية * ولما بلغ السلطان بيازيد ذلك ارسل يقول له اما انك تهدم اسوار

القسطنطينية واما اخي المفي نظر ولدك مانويل * فاضطر الملك جوان لامره وهدم اسوار المدينة، وبعد برهة قليلة مات بحالة مكربة من الهم والحزن والتعب . ولما بلغ مانويل موت ابيه غافل السلطان بيازيد وذهب الى القسطنطينية . فارسل السلطان قسماً من عساكره لحصار القسطنطينية وقسمًا اخر لمحاربة بلاد البلغارستان والفلاق فاستولوا على اكثرها وانما صدمته عساكر بوسنا والمجر لسبب تقدميه وقاومت هنالك العساكر العثمانية مقاومة عظيمة *

واذ كان السلطان مهتما بفتوحاته . لاحت الفرصة لعلاالدين وعلى الخصوص لما بلغه وعد تيمورلنك لملك الاروام . فجمع جانبا من اهل البلاد واظهر العصاوة ضد السلطان وتقدم الى قرب بورصة وانكره واستأسر بكلربك تيمورطاش . فلما علم السلطان بيازيد تقدمه غضب غضبًا شديداً واعتمد على الانتقام منه فقطع البحر واتي اليه ولما بلغ علاالدين ذلك ارتعدت فرايصه من هذا الامر وارسل رسولا يطلب منه الصلح فاجاب السلطان الرسول بانه لاصلح الا بالسيف * وحالا هجم على علاالدين فضربه وشتت عساكره اقطاعا . ووقع علا الدين وولداه على ومحمد اسيرين بايدى السلطان فامر بحبس ولديه المذكورين في بورصه، وسلم علاالدين الى تيمورطاش عدوه الذى قتله بعد برهة قليلة بدون اذن السلطان . وبعد هذه الواقعة استولت العساكر على مدينة اك سراى وقونية حتي على جميع بلاد كراماني * وبعدما اخضع السلطان بيازيد البلاد الجنوبية في جهة الاناضول تقدم الى جهة الجبال ليضرب قاضى بهران الدين الذى كان واليًا على قسم من التتر في تلك الجهات * ولكون صاحب هذه المقاطعة كان ضعيفا لايمكنه مقاومة السلطان بيازيد التزم ان يهرب الى جبال خربروط . وفي اثنا ذهابه

لاقاه قره يولوك فقتله واستولت العساكر العثمانية على طوقات وسيواس
وقيسارية وعلى كل بلاد بهران الدين وعلى المقاطعات العشر السلجوقية
وكان كوتروم بايزيد صاحب كستاموني قد حمى عنده رجلا من
غضب السلطان بايزيد فغزى بلاده حتي استولي على اكثرها * ووعده
ان يترك له مدينة سينوب اذا كان يسلمه ابن صاحب مانتشا وايدين
الذى كان حماه عنده فلم يقبل بهذا الشرط بل هرب مع ابن صاحب
كرامانى الى عند تيمورلنك تاركا للسلطان بايزيد جميع الشطوط
البحرية من سينوب الي بوغاز القسطنطينية التي هى اغني واظرف
مقاطعة فى جهة اسيا ومدنها الشهيرة كستاموني * هذا وفى سنة اربع
وتسعين وثلاثماية والف ميلادية الموافقة ست وتسعين وسبعماية هجرية
بعدما قهر العصاة الذين كانوا قد تحركوا لالقا الدسايس والفتن فى جهات
الاناضول امر بجمع الجيوش وتجهيز لوازم الحرب لحصار القسطنطينية
فقطع الى جهة اوروبا واستولى على مدينة سالونيك التى صارت له مركزا
ثم وجه جيوشه الى الجهة الشمالية . ولما بلغ سيزمان قرال البولغارستان
قدوم العساكر العثمانية ارتعب من هذا الامر واتي الى اوردوى على باشا
وزير بايزيد ومعه ولده واضعا كل واحد منهما في عنقه منديل الامان فامنهم
على حياتهما وارسل الاب الي مدينة فيليبولي وبقي ولده فى معسكر السلطان
ودخل فى دين الاسلام مع صاحب صمسون * فلما بلغ سيجموند ملك المجر
تقدم السلطان بايزيد وقعت الرعبة فى قلبه فارسل رسولا يقول للسلطان
من اين لك الحق ان تستولى على البولغارستان * فلما وقف الرسول بين
يدى السلطان اراه جزمة من القوس والنشاب * وقال له اذهب واخبر
مولاك بما نظرت * وهذا الجواب كان دليلا على الحرب
فلما رجع الرسول واخبر مولاه سيجموند صاحب المجر بما راه . وافتكر

على انه لا يمكنه مقاومة العساكر العثمانية ذهب حالا الى مدينة رومية وانطرح على اقدام البابا بونفياس الثانى طالبًا منه الاسعاف على محاربة الاسلام متوعدا له انه ينضم بجماعته الى الكنيسة الغربية فبناء على ذلك انجلك البابا وسعفه كارلوس السادس ملك فرنسا بعشرة الاف مقاتل تحت رياسة الشاب نافار ابن ملك بورغونيا * وانضمت اليهم ايضا شفالير سنجان في القدس ، وصاحب الفلاق وغيرهم من جهات البلاد فكانت عساكر الاعداء المتفقة نحو ثمانين الف مقاتل * وزحفوا على عساكر الاسلام واقاموا على حصار نيكو بولى . ولما بلغ السلطان بيازيد قدومهم اتي اليهم مسرعا بكل حكمة وهجم على معسكرهم المجتمع واشتبك الحرب والقتال بينهم وكانت النصرة للعساكر العثمانية وقتل في تلك المعركة مقتلة عظيمة من الطرفين واستاسروا من عساكر النصارى عشرة الاف اسيرا الذين قتلوهم بحضور السلطان لسبب كثرة ما فقد من عساكره * واحسن المعاملة مع الشاب نافار المذكور لكونه كان بطلا سجاعا لا يصطلى بناره * وبعد نهاية هذه الموقعة اراد السلطان ان يرى نافار المذكور واصحابه ضباط العساكر لعب الخيل * فامر ان يلعب امامهم بانواع الملاعب الشرقية على الخيل *

وبعد هذه النصرة التى انتصرتها العساكر العثمانية تحت اسوار مدينة نيكوبولى اغار بيازيد على بلاد المجر وفتح فيها جملة حصون منيعة * والزم جوان باليولوغ ملك القسطنطينية ان يدفع خراجًا سنويًا الى بيازيد عشرة الاف ريال * وانه يقبل بقيام جامع فى القسطنطينية وقاض للاسلام لانه تاكد ان لا نجدة له من الدول الافرنجية . فوجه امالا الى جهة تيمورلنك فارسل له رسلا يستنجده على السلطان بيازيد ، وكانت العساكر العثمانية تفتح البلاد فى جهة اسيا وتخضعها لسلطنة هذا الفاتح العظيم التى كانت

سطوته سايرة كالبرق الخاطف على كل بلاد الروم *

وبعد نصرات وفتوحات عديدة رجع الى مدينة بورصة ومكث هناك متمتعاً باللذات مدة من الزمان وبينما هو كذلك اذ وفد اليه رسول من قبل تيمورلنك ينبهه من هذه الغفلة * فاجابه جواباً غليظاً وانصرف الرسول مخجولاً * ولما بلغه تحزب ملك القسطنطينية مع بعض من الحكام الذين في جهة اوربا وطلبهم النجدة من تيمورلنك الذى كان يفتح البلاد فى جهة خوارزم وبين النهرين * امر السلطان بايزيد بجمع الجيوش فتقدم وقطع البحر الى جهة اوربا واقام الحصار على القسطنطينية وصمم النية على فتحها . ولكن لما بلغه قدوم عساكر التتر على اطراف البلاد وطارت اخبار اعمال تيمورلنك في بلاد السلطان . عظم ذلك عند بايزيد وتاثر منه الى غاية ما يكون وصار يحادث نفسه ويفتكر بما يفعله وعلى الخصوص لما بلغه خبر ما جرى على عساكره الابطال في مدينة سيواس وعلى ولده الذى قتله تيمورلنك . حالا رفع الحصار عن القسطنطينية وجمع جيوشه التي كانت في جهة اوربا واسيا وانضم اليه جانب من عساكر التتر الذين اجتمعوا اليه من جهات بلاد المسكوب ورجع الى بورصة . وكانت قد ارعبت قلوب العساكر العثمانية اخبار تيمورلنك التي شاع ذكرها . وكان من جملتها انه بنى برجا من اجساد الناس العصاة في سبزاوار وذلك انه اخذ نحو الفين من الرجال الاحيا ووضع بعضهم فوق بعض نظير الحجارة وبناهم بالطين واحداً فوق الاخر . وفي سيواس اخذ فرسان الارمن وربطهم عشرة عشرة مشدودة روسهم بين ارجلهم والقاهم فى خنادق واسعة وردمهم بالتراب . وكان لا يوفر احداً لا من النسا ولا من الاولاد ولا من الشيوخ . وفي تلك الايام وقع في يده ارتوغرول ابن السلطان بايزيد فحبسه عدة ايام حبساً مهيناً ثم امر بقطع راسه . ولما بلغ اباه

ذلك جرد عساكره والتقى بتيمورلنك في سهل بقرب انكورة. وكانت قواد عساكر تيمورلنك اربعة من اولاده . وقواد عساكر السلطان بيازيد خمسة من اولاده وهم موسى وسليمان ومحمد وعيسى ومصطفى فانتشب بينهما القتال من الصباح الى المسا وفعل السلطان بيازيد في ذلك اليوم افعالاً عجيبة . وكان في معسكره جماعة من اتباع ايدين ومانتشا اللذين هربا من كستاموني واحتميا عند تيمورلنك كما مرّ فخانت تلك الجماعة وتبعها جماعة من اصحاب صاروخان وكرميان وانحازوا الى عسكر تيمورلنك . وبقي مع السلطان بيازيد نحو عشرة آلاف من الينكشارية وبعض من عساكر التتر . فدافع كل ذلك النهار الى وقت المسا فكلّت عساكره من الكفاح . وكان يوماً مهولاً بهذا المقدار حتى ان الارض انصبغت بالدما . وتغلب بيازيد على تيمورلنك . فما كان من البعض من عساكره الذين جمعهم من نواحي التتر الا انهم خانوه ايضا وانضموا الى عساكر تيمورلنك . فلما نظر ذلك عوّل على الهزيمة وبينما كان هارباً سقط عن جواده فقبض عليه رجل من اقارب جنكيز خان واخذه اسيراً وكان ذلك في تاسع عشر يوم ذي الحجة سنة ٨٠٤ الموافق عشرين من شهر تموز (١٤٠٢) فلما راه ولده موسى انه قد اخذ اسيراً تبعه وانهزم اخواه سليمان ومحمد . واما مصطفى فانه اختفى ولم يعلموا ماذا جرى له ولذلك يلقبه المورخون بالضايع .

ولما وصل السلطان بيازيد الى امام تيمورلنك استقبله بالاكرام واجلسه الى جانبه وامنه على نفسه ولما نظره والتعب اعياه ووجهه واثوابه مغطاة بغبار الحرب ملطخة بالدما امر ان ينفض الغبار عنه وان يُنصب له ثلاثة صواوين تليق بمقامه السامي ووامر حسن برلاص ان يكون عنده نديما وكان تيمورلنك قد قدم الى تلك الاطراف بسبب احمد جلاير

جليار سلطان العراق فانه كان قد اغار عليه فهرب والتجأ الى السلطان بيازيد * ولما علم تيمورلنك بمكانه ارسل الى السلطان يطلبه منه فلم يسلمه . فاغار على بلاده منتقما منه وايضا حكام المقاطعات وملك القسطنطينية قد استنجدوه على السلطان بيازيد كما مر *

وقيل في بعض التواريخ الرومية انه بعد حبسه له امر بتعذيبه العذاب المهين وكانوا يجلسونه تحت المايدة يلتقط ما يسقط من الفتات ثم حبسه في قفص من حديد فقتل نفسه فيه . وهذا الزعم لا اصل له كما يتضح ذلك ولكنه مات بمرض وكان ذلك في رابع عشر شعبان سنة ٨٠٠ هجرية الموافقة تاسع اذار (سنة ١٤٠٣م) وحينئذ سمح تيمورلنك لولده موسى ان ينقل جثته الى بورصة فنقلها ودفنه بجانب ابيه السلطان مراد في تربة شكركي . واذ كان القارئ ربما يرغب ان يعرف حكاية تيمورلنك وسبب قدومه الى تلك الديار راينا ان نذكر طرفا من حديثه فنقول . ان هذا الرجل يُنسب الى بوغا خان بن جنكيز خان الذي من نسله تيمورلنك المنسوب الى جنكيز خان المنتسب الى ترك بن يافث بن نوح الذي من نسله آل عثمان * وان جد تيمورلنك الخامس المدعو قره جنكيز وزير جغتاى هو ابن جنكيز خان الثاني * وقد استوفينا تفصيل ذلك مع وقايع جنكيز خان في تاريخنا المسمى الروضة البهية في الحوادث الشرقية * فمن اراد الاطلاع على تفصيل ذلك فعليه بهذا التاريخ لان التطويل هنا بحكاية هذا الفاتح يخرجنا عن موضوعنا . وانما نذكر عن افعاله بوجه الاختصار فنقول * ان تيمورلنك ولد في سنة ٧٣٧ هجرية الموافقة سنة ١٣٣٢ ميلادية . وقيل ان المنجمين حسبوا له طالع مولده فكان اقتران الزحل مع المشترى ومن ذلك استدلوا ان هذا الرجل يكون من اعظم ابطال ذلك الزمان حتى انهم يفضلونه على اسكندر ذى القرنين * وكان

عمه سيف الدين واليًا على مدينة كش فلما توفي (سنة ١٣٦٠) قام
بالولاية مكانه تحت ادارة تيمور خان الذى كان حاكمًا يومئذ . فلما كان
(سنة ١٣٦٣ م) توفي تيمور خان وخلفه ولده . فنهض تيمورلنك بمعاضدة
صهره حسين وقتل ابن الملك واقتسما الملك بينهما . وفي (سنة ١٣٦٥ م)
تخاصما فتغلب تيمورلنك على حسين وخلعه عمّا كان بيده من الملك
واستقل به وحده . ولم يزل متسلطًا على تلك البلاد بالغلبة الى (سنة ١٣٧٠)
فطابت انفس الجمهور بملكه ونادوا باسمه . وفي هذه السنة نهض على
خوارزم والبلاد التي على شاطئ بحر كسبين فاستولى عليها وافتتح بلاد
العجم . وفي (سنة ١٣٩٠) توجه لمحاربة المسكوب ففتح ازوف ونهبها
ثم هدمها . وبعد ذلك انقلب على الهند وعبر بلاد السند وحارب ملوك
تلك البلاد واستولى على ممالكهم . ومن هناك شن الغارة على سورية وافتتحها
من سلطان مصر الملك الظاهر ابوسعيد برقوق . وفي (سنة ١٤٠١)
توجه الى بغداد فهدمها . ثم الى جزيرة العرب طالبًا والي بغداد احمد جلاير
الذى كان قد هرب منها واحتمى عند قره يوسف التركمان الذى كان واليًا
على الجزيرة بين النهرين . ولما اقترب من ديار بكر و بلاد الكلدان هرب
قره يوسف بنزيله الى بلاد الروم حيث كان السلطان بايزيد * فاقتبلهما
بكل اكرام . فلما علم تيمورلنك بذلك قصد تلك البلاد فاستولى على مدينة
سيواس وقتل هناك ثلاثة آلاف نفر من العساكر العثمانية التي كانت محافظة
قلعتها . ثم اخذ مدينة ملاطية . وفي تلك الايام رجع الى سورية التي كانت
تحت ولاية الملك الناصر فرج بن برقوق . فافتتح مدينة حلب وحمص
وحماه وبعلبك . ومن هناك توجه الى حصار دمشق ونصب خيام عرضيه في
الغوطة . فلما بلغ الملك الناصر قدومه الى هناك ترك المدينة وفر بعسكره الى مصر
فخرجت الاعيان الى تيمورلنك بالمفاتيح . فدخل المدينة ونهبها واحرق

منها جانبا لان اهلها كانوا اساءوا الادب مع عساكره في اول الامر و بعد ذلك انصرف الى بغداد وكان الوالي بها قد حصنها تحصيناً عظيماً فحاصرها اربعين يوماً ثم افتتحها وقتل كل من ظفر به من الرجال والنسا والاولاد وهدم جميع قصورها وحصونها . ومن هناك توجه لمحاصرة تخشوان التي على حدود بلاد ارمينية فاخذها مع البلاد المجاورة لها و رجع الى الاناضول لمحاربة السلطان بيازيد الذي كان يضايق اهالي المدن التي افتتحها تيمور وعلى ولاة كرساني الذين كانوا تحت حمايته . فافتتح عدة مدن على طريقه حتى وصل الى مدينة قيسارية وانكورة حيث كان ينتظره السلطان بيازيد . وانتشب القتال بينهما كما مر . وكان السلطان محمود خان ملك التتر تقدم بعساكره من حدود البحر الاسود لنجدة السلطان بيازيد كما تقدم . ولما راى قوة عساكر تيمورلنك الذين كانوا من جنسه اتحد معهم في تلك المعركة وهو الذي قبض على السلطان بيازيد واتي به اسيرًا الى تيمورلنك كما ذكرنا انفاً . ولما بلغ الملك الناصر في مصر ما فعله تيمورلنك في هذه الديار خاف من سطوته على الديار المصرية فارسل يستعطفه ويطلب منه الرضى . وفي تلك الايام ارسل تيمورلنك ابن ابنه مظفر الدين سيران شاه ليصلح خراب بغداد وديار بكر وبلاد الكلدان ويطرد قرا يوسف التركمان الذي كان قد حضر الى هناك في مدة حرب تيمورلنك في الاناضول . ثم وجه العساكر الى بلاد كردستان . فتغلب عليها ورتب على امرائها الخراج . ثم انصرف الى قره باغ يقضي بها فصل الشتاء و بعد ذلك رجع الى مدينة سمر قند التي هي مركز ملكه . وبعد برهة جرد من عساكره اربعماية الف مقاتل قاصداً بلاد الصين . وبسبب الابطار تربص في مدينة اوترار الكاينة على شاطي جيحون وهناك اعتراه مرض شديد فمات . وكان ذلك

سنة ١٤٠٥) وكان عمره احدى وسبعين سنة. فنقلوه الى سمرقند ودفن هناك تحت قبة شاهقة كان قد اعدها مدفناً له. وكان تيمورلنك اعرج الا انه كان شديد الباس عالي الهمة . وكان فاتكا سفاكا للدما متلافاً يحب الخراب فاخرب في جملة فتوحاته مدينة دلهي في هند ستان وذبح تحت اسوارها ماية الف من الاسارى الذين وقعوا في يده. وبنى هرماً من روس القتلى في بغداد وكانوا نحو تسعين الفاً . وفعل غير هذه افعالاً كثيرة هايلة لم نتعرض لذكرها حتى ان بعض المورخين افرد له كتاباً براسه *

* السلطان محمد خان *

وبعد وفاة السلطان بيازيد وقعت المنازعة بين اولاده فدامت احدى عشرة سنة * ومن جرى ذلك ضعفت الدولة العثمانية وتشتت شملها وتلاعب بها تيمورلنك تارة بالتعصب وتارة بالخداع وجرت عليها حوادث يطول شرحها. وفي تلك المدة قتلت الينكشارية سليمان ابن السلطان بيازيد لانه قطع لحية رييسهم فانتقم منهم اخوه موسى وقتل كثيراً منهم بحريق النار. ثم قتله اخوه محمد بعد واقعة جرت بينهما. وكان قد هرب بعد ما قطع يده احد عساكره لانه ضرب لقايد بالسيف فجرحه واراد ان يثني عليه بضربة اخرى فابتدره احد اصحابه بضربة قطع بها يده . وبينما هو في هزيمته سقط في بركة هناك فاخذ اسيرا الى اخيه فامر بقتله في الساعة . وكان ذلك (سنة ٨١٦ هـ) الموافقة (سنة ١٤١٣ م) وبعد ذلك استوى السلطان محمد على تخت السلطنة وطابت له المملكة واتت اليه رسل ملوك اليونان والافرنج يقدمون له التهنية بالملك فاكرمهم واتحفهم بالهدايا . ورد على اليونانيين بعض

اماكن كانت اخذتها اسلافه منهم * وعاهدهم معاهدة طويلة وعقد الصلح
مع مشيخة البندقية . ثم انه استولى على جملة بلاد . وفتح مدينة ازمير وهدم
قلعها . وكان صاحب كراماني قد اغار على بورصه فتسلمها واحرق قبر السلطان
بيازيد . فتوجه اليه واخرجه منها وعفى عنه . ثم تمرّد ثانية فسار اليه وبينما
كان في بعض الطريق مرض فارسل مكانه بيازيد پاشا فظفر باعدايه
واخذ مصطفى بك ابن صاحب كراماني اسيرًا . ولما احضروا مصطفى
المذكور امام السلطان محمد وضع يده على صدره وقال اقسم بالله العظيم
انني ما دامت هذه الروح في هذا الجسد لا اخون السلطان ولا اتعدّى
على شي مماله . فوثق بهذا وعفى عنه * واما مصطفى بك فانه كان قد وضع
في عبه حمامة وكان اياها يعني بقوله ما دامت هذه الروح في هذا الجسد
فلما خرج من عند السلطان اخرج الحمامة فذبحها وبرى من يمينه . ثم
مضى فساق قطعانًا من الاغنام كانت للسلطان محمد فغضب السلطان
من خيانته وارسل اليه جماعة فقبضوا عليه وحضروا به الى امامه فقال
انني اثلم شرفي اذا عاقبت لئيمًا مثلك . واذا كانت نفسك الخاينة
قد دعتك الى نقض عهدك فنفسي الشريفة لا تسمح لي بخيانة عهدي
فكن آمنًا على نفسك * وفي تلك الايام بعدما سكن وقهر اكثر العصاة
اذ ظهر رجل يدعي انه اخوه مصطفى الذي فقد في حروب تيمورلنك
كما مر . وتعصب له امير الفلاق فركب على تيساليا واخذها . فارسل
اليه السلطان محمد عسكرًا فاوقع به بالقرب من مدينة سالونيك فانكسر
ودخل المدينة واحتمى عنه واليها الذى احتفظ به ولم يقبل ان يسلمه
لبعدما يستاذن من الملك مانويل بهذا الامر فارسل الملك مانويل
للسلطان محمد يقول له ما جرت العادة بين الدول المتعاهدة انه اذا
انسان التجا اليها تسلمه ولكنه تعهد للسلطان انه يمسكه عنده ولا يطلق

سبيله ما دام السلطان محمد فى قيد الحيوة . فرضى السلطان بذلك و رتب له علايف مستمرة وعفى من جنيد وعن صاحب نيكوبولى . وجرى لهذا السلطان في مدة ملكه وقايع كثيرة لانطيل الكتاب بذكرها وفي ايامه رجع رونق الدولة العثمانية بعد الخراب الذى اصابها من حروب تيمورلنك وخلص بغداد من الامير قرمان واخضع بلاد السرب ورتب الجزية على بلاد الفلاق وحارب مشيخة البندقية وبعض ملوك النصارى وعقد الصلح مع الملك مانويل ملك القسطنطينية ونصب كرسى ملكه في ادرنة وهو اول من وضع العساكر البحرية . ثم توفى بمرض الاسهال الدموى (سنة ٨٢٤ هـ) الموافقة (سنة ١٤٢١ م)

وكان قد كتب قبل وفاته الى ابنه مراد الذى كان فى اماسيا يخبره بمرضه و يشير الى استخلافه * فلما توفي عزم كبراء الدولة ان يخفوا موته عن العساكر الى ان يحضر ولده مراد * وكان الديوان يجتمع كل يوم حسب العادة ويظهر اوامر للعساكر ان يتوجهوا الى بعض الجهات ويفتحوا حروبًا فطلبت العساكر ان تنظر سلطانها قبل توجهها لاجل الوداع * فاعتذروا لهم بان ذلك يزعجه و يثقل عليه المرض فلم يقبلوا وقالوا لابد من مشاهدته . فحينئذ امروهم ان يمروا من تحت كشك القصر ومن هناك ينظرون السلطان . وكانت جثته باقية لم تدفن بعد فاجلسوه في طاقة وجلس خلفه رجل يحرك له يده * فمروا من هناك وفرحوا فرحًا عظيمًا بسلامته وذهبوا الى الحرب بكل طمانينة . وبقى موت السلطان مكتومًا عن العساكر وعامة الناس مدة واحد واربعين يومًا حتى وصل ولده السلطان مراد وجلس على تخت السلطنة *

وكان هذا السلطان يحب بناء الجوامع فبني منها كثيرًا في هذه المدينة وكان يحب التفاخر والعظمة فصنع اوانى مايدته كلها من الفضة والكروا

عليه ذلك لكونه مخالفاً السُنَّة فصنع وليمة للفقرا ثلثة ايام في سرايته كفارة
عن ذلك وكان يصب لهم الطعام في هذه الاواني * ولم يستعمل بعده احد
من خلفايه اواني مثل هذه الا السلطان بيازيد الثاني الذي صنع اواني
نظيرهذه من الفضة والذهب * وكان السلطان محمد يحب المشايخ ويبذل
الصدقات الجزيلة * وهو اول من ارسل صرة من الذهب الى شريف مكة
لكي يوزعها علي فقرا مكة والمدينة * وكان ذكي العقل شديد البياض اسود
العينين عريض الحواجب فسيح الجبهة مرتفع الصدر طويل اليدين *
وكان مستقيم الاعمال عادلاً كريماً صادق المودة شفوقاً علي الجميع بدون
التفات الي المذاهب * وهو الذي خلص المملكة وثبتها حتى ان بعض
المورخين شبهه بنوح في تخليصه فلك المملكة من طوفان التتر *

* السلطان مراد الثاني *

وبعد وفاة السلطان محمد جلس مكانه ولده السلطان مراد الذي ولد
(سنة ٨٠٦) الموافقة (سنة ١٤٠٣م) وكان جلوسه (سنة ٨٢٤) وبعد جلوسه ارسل
فاعلم صاحب الجرو ملك الاروام وامير مانتشا وكرماني بجلوسه وطلب
امير كرماني وسيسمو ند الصلح منه علي مهادنة خمس سنين واما مانو يل
ملك القسطنطينية فارسل يطلب منه اخويه رهناً على اتمام المعاهدة التي
عاهده اياها ابوه السلطان محمد * وتوعده انه اذا لم يرسلهما يطلق
مصطفى ابن السلطان بيازيد الذي كان احتمى عنده في سالونيك كما
مر ويعرف به الدول الافرنجية . فاجاب الوزير بيازيد باشا عن لسان
السلطان ان شريعة الرسول لا تسمح لاولاد المومنين ان يتربوا عند الكفار
فلما بلغه هذا الجواب اطلق سبيل مصطفى بشرط ان يرد له كاليبولى وبعض

مدن اخرى . فخرج مصطفى بعشرة مراكب حربية تحت ادارة ضباط من قبل الملك مانويل وجماعة من العساكر ونزلوا بالقرب من كاليبولي فسلمت البلد لهم ماعدا القلعة لم تفتح لهم ابوابها فحاصروها * وحينيذ ارسل السلطان مراد بيازيد باشا الى ادرنة بثلاثين الف مقاتل فنزلوا بقرب المدينة * فتقدم مصطفى اليهم بعساكره التي كانت اكثر عددا منهم فتغلبوا عليهم ومسك بيازيد باشا فقتله واطلق اخاه حمزه * وبعد فتح كاليبولي طلبت ضباط الملك مانويل تسليمها حسب الوعد فاجاب مصطفى انه يجاهد لمنفعته لا لمنفعة الملك مانويل فلما سمعت الضباط كلامه هذا لما بواعن الصواب وخابت امالهم بما اوعدهم به ولما بلغ مانويل ذلك انغم غما شديدا وحدثته نفسه بعقد الصلح مع السلطان مراد لولا ما سبق له من الجواب الغليظ بطلب اخويه رهنا *

واما السلطان مراد فلما بلغه قتل بيازيد باشا وانحياز اصحابه الى اخيه مصطفى ركب بعساكره وقصد اخاه الذي كان قادما لمحاربته وانتزاع الملك منه . غير ان مصطفى في ذلك الوقت عرض له رعاف شديد فتوقف عن الحرب ثلثة ايام * وفي اثناء ذلك انضم اكثر عساكره الى اخيه السلطان مراد . ولما راى ذلك هرب الى كاليبولي فتبعه السلطان مراد ففر منها وذهب الى الفلاق . وبينما هو في الطريق خانه بعض اتباعه فقتلوه وبذلك خمدت نيران الفتن والحروب الداخلية واعاد السلطان مراد لدولته ماكان لها من الرونق والبهجة

ولما بلغ الملك مانويل ذلك خاف على نفسه من السلطان مراد فارسل اليه رسلا يتلطفون به . فلم يجبهم بشي حيث لحقه حنق فركب بماية الف مقاتل حتى صار تحت اسوار القسطنطينية ونادى بالحرب فقال للعساكر مهما وجد في المدينة فهو سباح لكم . فتشددت

مزايمهم واجتمع اليهم جمع غفير من تلك البلاد طمعا في النهب . وكانت العساكر العثمانية متقلدة بانوع الاسلحة الكاملة وكانت سطوتهم ترعب وترجف قلوب اليونان والافرنج . واشتعلت نار الحرب بين الفريقين فلم يظفروا بالغلبة علي المدينة لانها كانت منيعة واسوارها حصينة فتركوها وتوجه السلطان بعساكره الى بلاد اسيا لاجل تسكين الفتنة التي اضرم نارها الاروام بتلك البلاد *

واما الملك مانويل فاخذ يجتهد ان يقيم عدوا اخر للسلطان مراد . فدعا اخاه مصطفى الثاني وقواه بالعساكر فاخذ مدينة ازنك وتقدم من هناك الى بورصة . فارسل اليه اهلها هدية ثمينة وطلبوا منه ان يعذرهم لانهم لايقدرون ان يفتحوا له ابواب المدينة من اجل العهد الذى بينهم و بين اخيه السلطان مراد . فرفع الحصار عنهم و رجع الى اسيا *

وبينما كان السلطان مراد يتقدم لملاقاة اخيه مضى اخوه الى القسطنطينية ثم رجع الى معسكره وكان معه الرجل الذى كانت هذه الحركة عن يده وكان السلطان مراد قد غره بالمال فاخذه وسلمه اليه فامر بقتله حالا . وفي تلك الايام توفى الملك مانويل وتخلف بعده الملك جوان بالاولوغ وكان برضى السلطان مراد وضرب عليه جزية كل سنة جانبا من المال وعقد مع السلطان عهدا وارتفعت الحروب بينهما

وكان السلطان مراد قد استولى على عدد جزيل من المدن علي شاطى البحر الاسود واصطلح مع اهل السرب والفلاخ . فاغار على البلغار وهناك انكسر مرارا وقتل من المسلمين نحو عشرين الفا . وبعد ذلك جهز شهاب الدين باشا بثمانين الف مقاتل وارسله الى هناك فكسره صاحب البلغار بخمسة عشر الفا واخذه اسيرا واستاسر من جماعته نحو

خمسماية نفر واستولى على بيارقهم واسلابهم . وفي (سنة ١٤٤٣ م) في اخر تشرين الثاني جرد له عسكرا اخر وتولى الحرب بنفسه فانكسرت عساكره ايضا وقتل منهم نحو الفين وأسر نحو اربعة آلاف ورجع السلطان الى وراء جبل بلقان *

وفي اثنا هذه الحروب اتاه خبر بعصيان حاكم كراماني واستيلايه على جملة بلاد . فترك العساكر للضباط وتوجه الى كراماني واستخلص جملة مدن ثم رجع الى ادرنه ليمنع تقدم صاحب البلغار الى تلك البلاد . وفي ثاني عشر تموز (سنة ١٤٤٤ م) عقد الصلح مع اهالي البلغار على مدة عشر سنين وترك الملك لولده محمد الذي كان عمره اربع عشرة سنة ووكل الوزرا بادارة الحكم وذهب الى مونيزيا . وكان السبب في ذلك وفاة ولده علاء الدين الذي احزنه حزناً شديداً حتى زهد في الدنيا ورفض نعيمها ومجدها . ولما بلغ تنازله الاعدا الذين كانوا معه في الحرب ولاسيما صاحب البلغار نهضوا على ولده . واتى قوم من الفلاق فاحرقوا ثمانية وعشرين مركبا من المراكب السلطانية واستولوا على جملة قلاع وامتلكوا مدينة ورنا . فلما راى ارباب الدولة عدم صلاحية ابنه للملك ارسلوا يطلبون حضوره فاجاب طلبهم بخلاف ارادته وتوجه باربعين الف مقاتل الى حرب حاكم الجر وامر برفع صحيفة العهد الذي كان بينهما على سنان رمح لكي يذكره بخيانته . وفي اول هجمة هجمها ملك الجر على العساكر السلطانية وصل الى خيمة السلطان فاراد ان يهرب ولكن بعض قواده امسك بعنان فرسه ولم يمكنه من الهزيمة . وفي اثنا ذلك التقى بملك الجر فرماه بحربة فالقاه عن جواده واسرع اليه احد الينكشارية فقطع راسه ووضعه على سنان رمح ونادى بعساكر الجر هذا راس ملككم فانكسروا وانفصلت النوبة بينهم وبين العساكر الاسلامية . وبعد

ذلك رجع السلطان الى مونيزيا ومكث فى التكية متعبدا وما مضى لابرهة يسيرة حتى احتاجت المملكة اليه لان اليكشارية لاستخفافهم بحكم ولده قاموا واحدثوا شغبا في المدينة واحرقوا حريقة عظيمة وجعلوا ينهبون في الاسواق والمنازل * فتلافتهم الوزراء بما يرضيهم حتى سكن ذلك الهياج وارسلوا يطلبون حضور السلطان فحضر وارسلوا ولده الى مونيزيا وحينئذ وقعت الهيبة فى قلوب اليكشارية وكفوا عن ذلك التمرد السابق وبعد ذلك ركب السلطان على قسطنطين امير المورة وعلى بلاد الارناوط بستين الف مقاتل فاخضعهم ورتب عليهم الخراج * وجرت على اثار ذلك حروب كثيرة بينه وبين الارناوط والمجر الى ان توفي بدآ النقطة وكانت وفاته فى شهر شباط سنة ٨٥٥ هـ الموافقة سنة ١٤٥٠ م *

وقد اوصى قبل موته ابنه السلطان محمد الثاني خليفته بان يوجه جنوده على القسطنطينية ويستفتحها من الامبراطور قسطنطين دراغا ريس ابن الامبراطور مانويل خليفة جوان باللوغ

السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح

هو ابن السلطان مراد المتوفى كان مولده في ادرنة (سنة ١٤٢٩ م) وكان حين وفاة ابيه فى مونيزيا فلما بلغه ذلك حضر وجلس على تخت الملك مكانه وكان ذلك (سنة ١٤٤٨ م) الموافقة (سنة ٨٥٢ هـ)

وبعد جلوس هذا السلطان العظيم اخذ يفتكر فى توسيع الملك وتثبيته فى جهة اوربا والاستيلا على مدينة القسطنطينية

وفي تلك الايام ارسل ملك القسطنطينية يطلب منه دفع النفقة التي كان قد رتبها معاشاً لاخيه ارخان الذى كان محفوظاً عنده

وتهدده بانه اذا لم يرسل اليه ذلك الراتب مضاعفا يطلق سبيل اخيه فذهب من هذه الرسالة واضمر في نفسه الغارة علي القسطنطينية واخذ من هناك ان يتجهز لمحاصرتها . ولما بلغ الملك ذلك ارسل اليه يلاطفه فاصرف رسله مطرودين وجعل يبني قلاعا علي شاطي بوغاز القسطنطينية فلما بلغ الامبراطور ذلك بعث يقول له على ان بنا هذه القلع دليلاً على الحرب فان رجعت عن عزمك كان والا ادافع عن نفسي الى اخر نسمة من حياتي * واما السلطان محمد فانه لم يلتفت الي كلام الامبراطور بل رجع الى ادرنه وامر بجمع الجيوش وتجهيز المهمات ونصب مدافع عظيمة ترسل كللها الى مسافة ميل .

واما الامبراطور قسطنطين فانه ارسل رسلاً يطلب الامداد والنجدة من دول الافرنج ويعدهم كاسلافه بضم الكنيسة الرومية الى الكنيسة الرومانية وبناء على هذا ارسل له البابا عساكر ومراكب وملك نابولي ومشيخة جنوا والبندقية كل منهم ارسل جانبا من العساكر غير ان الاروام لم يكن لهم اهتمام بهذا الحرب لكراهتهم ضم الكنيستين الى بعضهما . ووقعت البغضة في قلوبهم لقسطنطين لانه هو الذى كان السبب بذلك وكانوا يزعمون ان الله سوف يسمح بخراب الامبراطورية لسبب ضم الكنيسة الرومية الى الكنيسة الرومانية . وان المحاماة في هذا الامر تعد من الكفر والالحاد . وكان يقول احد وزراء الامبراطور المسمى نوتاراس باعلا صوته في شوارع المدينة احب الي ان ارى في القسطنطينية تاج السلطان محمد من ان ارى بها اكليل البابا او قلنسوة كردينال وبسبب ذلك فترت همة الاروام وتخلوا عن المدينة حتى لم يبق فيها من يحامى عنها الا نحو ستة الاف من العساكر الرومانية مع الملك قسطنطين الذى تحضر لمقاومة عساكر المسلمين *

وكان رجل من طايفة الاروام يقال له اسكندر بك قد ضم اليه جمعاً من اهل البلاد وتقدموا لمحاربة العساكر العثمانية وحصل بينهم وقايع كثيرة يطول شرحها *

وفي اول شهر نيسان (سنة ١٤٥٣ م) تقدم السلطان محمد الى امام القسطنطينية بعسكر يبلغ مايتين وخمسين الفا واقام عليها الحصار الشديد وارسل عدة مراكب الى امام البوغاز وبسبب وجود سلسلة هناك كانت تمنع دخولها الى المدينة امر ببسط الواح على الارض ودهنها بالشحم وسحب المراكب عليها . ففعلوا كذلك وسحبوا ثمانين مركباً في ليلة واحدة مسافة ميلين . ولما اصبح الصباح نظروها من المدينة فاندهلوا متعجبين من دخولها الى الميناء . وتقدم القبطان ليحرقها فاطلقت عليه كلة اصابت مركبه فغرق بكل من فيه . وحينيذ امر السلطان محمد ببنا جسر من البراميل المنضمة الي بعضها بشناكل من الحديد وفوقها الواح مسمرة وشدد الحصار على المدينة . وبعد حصار خمسين يوما وخراب اربعة ابراج وخرق سور مار رومانوس وهو محل كنيسة شهيرة كانت للاروام وكان السلطان ارسل له شروطا ان يسلم بها فيسلم فلم يقبل تلك الشروط الموردة للخجل والعار بل فضل القتل على قبول تلك الشروط فعند ذلك امر السلطان بالهجمة براً وبحراً وعين لذلك اليوم التاسع والعشرين من شهر ايار . وفي عشية ذلك اليوم جمع الملك قسطنطين جميع اصحابه من الاروام واخذ يخاطبهم بكلام محزن متاسفاً على انقراض الدولة الرومية وصار يحرضهم ويحثهم على الذب والقتال لعلهم يحصلون على النصر . وبعد حديث طويل اخذوا بالبكا والعويل وصار يعانق بعضهم بعضا بقصد الوداع . ثم ذهبوا نحو الاسوار يتوقعون الموت وقد ذهب قسطنطين الى كنيسة ايا صوفيا ليزورها ويكون بذلك مستعدًا

للموت في المعركة شهيدًا مطهرًا من المعاصي . فلما كان اليوم الموعود الذى كانت عاقبته شوما على الاروام . وقد دخل الليل اوقدوا الانوار الساطعة ورفعوا اصواتهم بالضجيج وعولوا على الهجوم غير انه بلغهم حضور نجدة من المجر وايطاليا الى المدينة فتوقفوا . وبعد يومين شددوا الحصار على المدينة وفي اثنا ذلك دخل منهم نحو خمسين نفرًا من احد الابواب ثم تتابعت خلفهم الجنود فانكسر من كان هناك من الاهالى وقفلت الحراس الابواب والقت مفاتيحها في البحر . واما الملك قسطنطين الذى كان يحارب علي السور بنفسه فلما راى ان عساكره انكسرت غاب عن الصواب بعد ان بذل غاية جهده في الحرب بلا ثمرة وايس من الظفر وايقن بالقتل فتجرد من اسلحته المذهبة خوفا من ان يوسر والقي بنفسه بين صفوف اليكشارية فقتلوه ولم يعرفوه وبموته لم تقم للاروام قايمة ولم تصدر عنهم مقاومة * ومن ذلك الوقت دار النهب في المدينة والحريق والسبي . ودخل السلطان باحتفال عظيم وامر بقطع راس الملك قسطنطين المايت فقطعوه ورفعوه على عمود ثم اخذوه وطوفوه في جميع البلاد . ثم امر بقتل اولاده ما عدا الصغير منهم وقتل كثيرا من الامرا والاشراف . وبعد ثلاثة ايام دق طبول الاجتماع فاجتمع العسكر ورده عن النهب والتعرض للاهالى . وامر باقامة ابنية جديدة وترميم الابنية الشهيرة التي تهدمت من الحصار . واعطى الاهالى الامان وسمح لهم عن بعض الكنايس وجعل العقيرات منها جوامع وامر بجمع عشرة الاف بيت من ايالات مختلفة تاتي الى القسطنطينية وولى علي الاروام بطريقا واعطاه بنفسه عصا البطرقية وخاتمها حسبما جرت به عادة قياصرة القسطنطينية قديما . وكان ذلك الفتح العظيم في التاسع والعشرين من شهر ايار (سنة ١٤٥٣ م) الموافق للعشرين من جمادى

لاولى (سنة ٨٥٧ هـ) وهذه المدينة من حينما بناها الملك قسطنطين
الاكبر الى ذلك الوقت كانت قد حوصرت تسعاً وعشرين مرةً واخذت
سبع مرات والمرة الاخيرة كانت من هذا السلطان المشار اليه الذى
ضمها الى المملكة *

وقد ذكرنا انه في ايام ابيه السلطان مراد كان قد تولّى الملك
دفعتين وعزل لعدم قيامه بحفظ المملكة حينئذ . وكان ذلك بتدبير خليل
پاشا وزير ابيه . فلما فتح القسطنطينية اتهمه بانه تداخل مع طايفة
الاروام وامر بقتله . وارسل يعلم سلطان مصر وشريف مكة وشاه العجم
بفتح القسطنطينية ورتّب الخراج على النصارى . ثم زحف على السرب
فنكبها نكبة عظيمة ورجع الى القسطنطينية وشرع في بناء جامع ايوب
وقيل ان حضرة ايوب الذى نسب اليه هذا الجامع كان يحمل سنجق
الرسول وهو من الصحابة وقيل انه تنبّأ على فتح القسطنطينية بسيف
المسلمين . فبنى هذا الجامع باسمه وحينما تمّ بناؤه ذهب اليه بموكب
عظيم واقام فيه الصلوة وقلده الشيخ شمس الدين شيخ الاسلام سيفاً
بيده . ومن ذلك الوقت جرت العادة ان السلطان الذى يجلس على
تخت الملك يذهب الى هذا الجامع ويتقلد بالسيف الذى هو بمنزلة
التتويج عند ملوك النصارى . وفي هذا الجامع حجرة كبيرة عظيمة وماء
ذهب وفوق الحجرة بيرق ملفوف بغاشية خضراء رمزا عن وظيفة ايوب
عند الرسول . وبنى ايضاً في مكان تربة ملوك اليونان وكنيسة الرسل سراية
عظيمة وهي المعروفة باسكي سراى . وبعد فتوحات عديدة حاصر قلعة
بلغراد بماية وخمسين الف مقاتل وثلثماية مدفع . وبعد جهاد عظيم
انكسرت عساكره وفقد منهم جمع غفير وعدد كثير من المدافع وانجرح
السلطان في خده فرجع عنها وذهب الى ادرنة *

وبعد اخذ القسطنطينية بسبع سنين فتح دوكة اثينا وهى المدينة الشهيرة في بلاد اليونان وذلك (١٤٥٦م) ثم اقليم السرب وذلك سنة (١٤٥٨) وكان فى ذلك الوقت وقعت المنازعة بين الملك توما والملك ديمتريوس بالالوغ وهو اخو امبراطور الروم الاخير فى شان مملكة المورة التي كانت تحت حكمهما وكانا يدفعان للسلطان الجزية عنها فتقوى توما على ديمتريوس واقامه من البلاد فطلب الاعانة من السلطان محمد وزوجه ابنته فيلبي فانجله السلطان على توما الذى فر هاربا من المملكة واما السلطان فلم يراع حقوق ختنه بل حمله الطمع على نفي ديمتريوس الى احد الاديرة وضم مملكة المورة الى مملكته *

وفي (سنة ١٤٦١) فتح ايالة طرابزون التي كانت نهاية انقراض دولة الاروام وفتح ولاية سينوب وقتل صاحبها اشنع قتلة حيث اتهم بمراسلات خفية مع شاه العجم وكان له ثمانية اولاد فامر السلطان بقتلهم وفي (سنة ١٤٦٢) فتح جزيرة نسبوسه وتملك علي اقليم بوسنا وحارب الفلاق والبغدان والصقالبة . والذى كان يوخر تقدم فتوحاته اكثر من ذلك هو اسكندر بك وصاحب المجر اللذان كان يحرضهما البابا على ذلك ولما مات البابا بيوس الثاني واسكندر بك استولت العساكر العثمانية على بلاد الارنابود وقد حزنت الاروام بموت هذا الرجل لانه كان اكتسب شرفاً وفخراً عند ابناء النصرانية وفى (سنة ١٤٦٥) حرقوا مدينة اسبرطه الجديدة ونهبوا مدينة اثينا و بالاختصار نقول انه استولى على جميع بلاد السرب واليونان والذى لم يرضخ منهم للجزية قد هرب ملتجيا بمملكة نابولى وكلابرا . وكان هذا السلطان العظيم لا تكل له همة ولا تفتر له قوة وما كان يرتضى بما فتحه من البلاد فاخذ في (سنة ١٤٨٠م) الموافقة (سنة ٨٨٥هـ) بتجهيز تجريدة لافتتاح جزيرة رودس فارسل لها عمارة بحرية بماية

الف مقاتل من فرسان عساكر الاسلام وفي راسهم ميشطس باشا الذى هو من عايلة جوان بالالوغ اميرالطور القسطنطينية فحاصروا الجزيرة ثلاثة اشهر . ثم رحلوا عنها لانها كانت حصينة بمناظرة حاكمها اوليسون الشهير ثم اخذ في تجهيز جيشين عظيمين اعد احدهما لقتال جزيرة قبرص والثاني لمحاربة الاعجام وبينما هو كذلك عرض له مرض فمات بمدينة ازنكميد * وكان ذلك في جماد الاول (سنة ٨٨٦ ﻫ) الموافقة (١٤٨١ م)

وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة وعمره اثنتين وخمسين سنة . وفي مدة ملكه قلب مملكتين وافتتح اثنتي عشرة ولاية واستولى علي اكثر من مايتي مدينة . والذى عاقه عن التقدم هونياد واسكندر بك وامرأة جزيرة رودس وقد بالغ مورخو العثمانيين في مدحه حتى لقبوه اعظم سلطان من سلاطين الدنيا * وكان يعتبر العلما ويغمرهم بالانعام . وكان احدب لانف كثيرا طويله ضخم الوجه كثيف اللحية اشقرها عظيم الجثة . وكان يحب رمى السهام * وقد اعقب ولدين يسمى اكبرهما بيازيد والاخر يقال له جم *

* السلطان بيازيد الثاني *

وبعد وفاة السلطان محمد اخذ وزيره محمد باشا القرماني يجتهد في استخلاف ولده الصغير لان اخاه بيازيد الاكبر كان في اماسيا . ولما بلغ اليكشارية ذلك حضروا الى القسطنطينية وقتلوا الوزير المذكور واقاموا مكانه اسحق باشا . وفي اثناء ذلك حضر بيازيد ومعه اربعة الاف فارس . وعند وصوله الى البوغاز التقوه وطلبوا منه ان يعزل مصطفى باشا الذى كان عدوا لاسحق باشا فعزله خوفا منهم وزاد لهم في النفقات

والروادب ومن الغد دفنوا اباه الذى حمل بذاته فى نعشه . و بعد ذلك
نركث اثواب الحزن والبسوه الثوب الملوكى واخذوه الى السراية باحتفال
عظيم *

وحينيذ اخذ اخوه جم ينازعه على الملك بدعواه انه ولد قبل
ان يجلس ابوه على كرسى الملك فهو كاحد الرعايا لان مولدك كان سنة
(٨٥١ * الموافقة * ١٤٤٧ * وذلك بعد جلوس ابيه بسبع سنين . و بنآ
على ذلك جمع فرقة من العساكر وتوجه بها الى نواحى بورصة . فارسل
بيازيد الفين من اليكشارية والتقوا هناك وانتشب القتال بينهم فكانت
الغلبة لجماعة جم . وحينيذ دخل الى المدينة واشهر نفسه انه سلطان
بورصة وامران يخطبوا باسمه . واما بيازيد فلما راى انكسار عسكره
خرج للحرب بنفسه . فارسل اخوه يطلب ان يقسم المملكة بينهما فابي
وبعد ذلك التقى الخصمان فى سهل ايگى شهر فكانت الغلبة لعسكر
بيازيد . وانهزم اخوه باصحابه . و بينما كان فى هزيمته التقى بجماعة
من التركمان فسلبوا ثيابه وسلاحه . فاستعار ثوبا من وزيره ومضى
في طريقه الى مصر . فتلقاه السلطان چركس قايد بك بكل اكرام وانزله
احسن منزل . واما التركمان الذين سلبوا ثيابه في الطريق فحضروا
واخبروا اخاه بذلك وطلبوا منه الانعام على عملهم هذا فامرهم ان يحضروا
الي القسطنطينية وهناك ينعم عليهم . فتوجهوا الى هناك وفى حال وصولهم
امر بصلبهم قايلا هذا جزا العبيد الذين يرفعون ايديهم علي ساداتهم

واما جم فانه بعد اربعة اشهر ذهب من مصر للحج * وبعد رجوعه
عزم ايضا على منازعة اخيه . فارسل اخوه يقول له بما انك اليوم قد قمت
بواجباتك الدينية فى الحج لماذا تجتهد في الامور الدنيوية * و بما ان
الملك كان نصيبي بامر الله فلماذا تقاوم الارادة الالهية * فاجابه يقول

بينما انت تضطجع على مهد الراحة وتقضي ايامك بالتنعم واللذات
لماذا يكون جم خاليا من كل راحة و يضع راسه علي وسادة من الشوك
وما زال على عزمه حتي التقت عساكرهما فانكسر عسكر جم وهرب ثانية
الى مكان يدعى طاش ايلي . فارسل اليه اخوه يعرض عليه الصلح فطلب
ان يسلمه بعض اقاليم فى بلاد الاناضول . فاجابه الخطيبة لا يمكن ان
تنقسم بين خطيبين . وانه عوض ان يصبغ قوايم جواده واطراف ردايه
بدماء المسلمين يذهب الى مدينة القدس و يقنع بالمعيشة من ايراداته
فحينيذ قام جم وتوجه الى جزيرة رودس فلاقوه الشفالرية الذين كانوا
يتولون على تلك الجزيرة بكل اكرام ونصبوا له جسرًا مفروشًا بالنسايج
الثمينة من الشاطى الى المركب ليخرج من البحر بحصانه . ولما خرج اخذه
الى القصر الذى كان قد اعده له باحتفال عظيم *

فلما بلغ السلطان بيازيد ذلك ارسل الى حاكم رودس يقول انه
اذا اراد ان يبقى الصلح بينهما فليسلمه اخاه جم و يدفع الخراج فابى
عن تسليمه * وانما خوفا من غضب السلطان بيازيد انزلوه فى مركب
وارسلوه الى مدينة نيس من اعمال ايطاليا ثم الى مدينة روسليون من
اعمال فرنسا وبقى هناك مدة طويلة نحو سبع سنين ينقلونه من مكان الى اخر
واخيرًا اسجنوه في برج هناك . وبعد موت الملك لويس ايمبراطور فرنسا
ارسل يطلبه البابا اينوشنسوس رهنًا عنه ليأمن من اغارة العثمانيين
على ايطاليا فارسله له ولما قابل البابا طلب منه حمايته وحكى له عن
مقدار التعب والعنا الذى كابده فى مدة اسره الطويل عند الفرنساويين
وبعده عن اولاده وعياله فوضعه البابا بمكان تحت الترسيم في الدستنجلو .
وبعد موت هذا البابا خلفه البابا اسكندر السادس . (سنة ٨٩٢)
وقيل انه ارسل رسولا الى بيازيد يقول له اذا كان يدفع له جانبا من المال

المال يربحه من حياة اخيه جم فوعك السلطان بيازيد بدفع ثلاثمائة ذهب دوكة وارسل له تحريرا بخصوص ذلك وهو مذكور في تاريخ البابا اسكندر وبناء علي ذلك ارسل بيازيد المبلغ المذكور صحبة رسول من طرفه الى البابا. ولما وصل الرسول الى مدينة انكونا من اعمال ايطاليا وقع بايدى الكردينال جوليانوس الذى كان عدواً خالصاً الى البابا اسكندر واخذ منه الدراهم فلما بلغ البابا هذا العمل ارسل فاعلم السلطان بيازيد فاوعك بمبلغ اخر وبناء علي ذلك ارسل البابا رجلا الى جم واعطاه سماً قاتلاً فمات ذكر ذلك بعض مورخوا الافرنج المتعصبين علي البابوات وهو من جملة الاقاويل التي جرت عادتهم بها *

وفي حواشي تلك الملك بعد جلوسه كان قد استولى على جانب من البغدان وجملة بلاد غيرها في تلك الاطراف . وفي (سنة ٨٩٧) كان قد ارسل عمارة الى بلاد الارنبود ثم خرج في اثرها قاصداً بلاد السرب وبلاد الارنبود عن طريق منستر . وبينما كان ماراً في طريق ضيق قابله رجل بهيئة درويش وتقدم اليه واراد ان يضربه بخنجر فابتدره من كان حوله من الجنود ودفعوا ذلك الدرويش عنه وقتلوه . ومن جرى ذلك صارت العادة ان لا احد يواجه السلطان بسلاحه ولم تزل جارية الى يومنا هذا . وفي (سنة ٩٠٣ هـ) حارب بلاد بولونيا واخذ منها عشرة آلاف اسير ثم عاد اليها ثانية فنكبها نكبة عظيمة ثم توقف عن الحرب لهجوم الشتاء *

وفي (سنة ١٥٠٩ م) في رابع عشر ايلول حدثت زلزلة عظيمة في القسطنطينية لم يحدث مثلها من قديم الزمان . فانها اخربت الفاً وسبعين بيتاً ومائة وتسعة جوامع وجانباً عظيماً من السراية الملوكية واسوار المدينة وعطلت مجاري المياه وصعد البحر الى البر وكانت امواجه تندفق

الى فوق الاسوار . وبقيت هذه الزلزلة تتردد مدة خمسة واربعين يوماً واقام السلطان اياماً فى خيمة نصبها داخل الجنينة ثم توجه الى ادرنة غير انها لم تكن مامونة اكثر من القسطنطينية لانها فضلاً عن الزلازل كانت تعصف فيها زوابع شديدة تحمل ماء البحر وتصبه فى المدينة . ولما سكنت الزلازل جمع خمسة عشر الفا من المعلمين والفعلة لاجل اعادة ما هدم واصلاحه *

وفي (سنة ١٥١٢ م) الموافقة (سنة ٩١٨ ﻫ) توفي السلطان بايزيد وكان عمره (٦٧ سنة) ومدة ملكه (٣٢ سنة) وكان جسيما قوى البنية احدب الانف اسود الشعر لطيف الطبع محباً للعلوم مواظباً للدرس شاعراً اديباً . وكان متورعاً فى العبادة حتى انه كان يقضي العشر الاخيرة من شهر رمضان فى خلوة وحده او مع الشيخ محيي الدين ياوز في التعبدات الدينية . وكان في اول عمره يستعمل الشراب ثم تركه في اخر ايامه . واقام في مدة ملكه جملة مدارس وجوامع وبنى ثلثة جسور عظيمة فى تلك البلاد . وكان يرسل الى الكعبة كل سنة مبلغا وافرا من المال وكان بارعا في رمى السهام ولم يكن يحب البدع في الملابس . وكان يباشر الحروب بنفسه و بعد رجوعه من الغزوات يجمع الغبار عن رجليه وثيابه حتي صنع منه لبنة واوصى ان توضع بعد وفاته تحت راسه تمسكاً بحديث الرسول القايل من تغطت رجلاه بغبار طرق الله لا تمسه النار في الاخرة

السلطان سليم

وبعد وفاة السلطان بيازيد جلس مكانه ولده السلطان سليم الذى كان مولده (سنة ١٤٦٧ م) الموافقة (سنة ٨٧٢ هـ) وبعد جلوسه بلغه ان ابن اخيه علآء الدين اتي الى بورصة فتملكها وطلب من اهلها مطاليب باهظة فاستخلف ولده سليمان وركب على علآء الدين بسبعين الف مقاتل وارسل عمارة فى البحر نحو ماية وخمسة وعشرين مركبا . وفي اثنا ذلك نهض اخوه احمد ابو علآء الدين واخذ اماسيا غفلة وكان مصطفى اخو السلطان سليم قد خرج معه فى معسكره فارسل اخوه احمد يعرض عليه الوزارة فقبلها . ولما علم السلطان بذلك ارسل جماعة من الخيالة ليخطفوا حريم اخيه مصطفى فالتقاهم اخوه احمد الى الطريق واستخلص الحريم منهم واخذهم اسارى . فلما بلغ السلطان ذلك غضب غضبا شديداً غير انه كتم غضبه وجمع رجال دولته وكان كلما دخل واحد يامر له بقفطان شرف حتى دخل اخوه مصطفى فالبسه ثوباً اسود وكان ذلك علامة الحكم بموته فقبضوا عليه حالاً وخنقوه وطرحوا جثته على الارض * وبعد ذلك قتل جملة وزرا فكان الوزير الذى يطلبه للوزارة يكتب وصيته قبل ان يصير وزيراً . ثم قتل اولاد اخوته وكانوا خمسة وفي برهة قريبة قتل جميع اخوته حتي لم يبق من ينازعه على الملك . وارسلت اليه جميع الدول رسلا تهنيه بالظفر وتجدد معه الشروط ماعدا اسمعيل شاه العجم لانه كان يتعصب لاخيه احمد الذى قتله . فغضب السلطان غضبا شديداً وتجدد الحقد في قلبه على شاه العجم لانه كان قد حمي عنده اولاد اخوته وارسل الى والي مصر يتعصب معه على الدولة العثمانية . وكان السلطان سليم شديد التعصب علي اهل الشيعة ولاسيما انه كان في تلك

الايام قد انتشرت بين رعاياه تعاليم شيعية تنافي مذهب اهل السنة وكان قد تمسك بها جماعة من الاهالي فامر بقتل كل من كان يدخل في هذه الشيعة فقتلوا نحو اربعين الف رجل واخرج فتوى من شيخ الاسلام بانه يوجر علي قتل الشيعية واشهار الحرب ضدهم ٠ ولما بلغ ذلك اسمعيل شاه تقدم بجيش جرار ومعه مراد ابن اخي السلطان سليم * فكتب اليه السلطان كتابا يستهزي به وارسل له عصا ومسواكا وطيلسانا يعني بذلك انه ليس من سلالة الملوك بل من سلالة المشايخ الذين يتمسكون بالبدع * فاجابه ان كلامك هذا كلام سكر وجهالة وارسل له مع الجواب علبة ذهب مملوة من الافيون فغضب السلطان من هذا الجواب غضبا شديدا وامر بقتل الرسول ثم ركب بمايتين واربعين الف مقاتل وستين الف جمل تحمل الاثقال والمهمات واردف تلك العساكر باربعين الف كون معقودة خلفها * فلما راى شاه العجم ان ليس له طاقة بمقابلة هذه الجيوش احرق ما حوله من البلاد واخلاها من الاطعمة والمنافع وانهزم برجاله * ولما وصلت العساكر العثمانية لم تجد لها ماوى ولا ماكلا للناس والخيل والجمال فتضايقوا من ذلك وتقدم حمدان باشا الي السلطان بهذه الشكوى فامر بقتله وكتب الى اسمعيل شاه يعيره بهذه الهزيمة وارسل له ثياب امراة يشير بها الى جبانته التي لا تليق بالرجال. فثبت اسمعيل شاه بعد ذلك وارسل اليه يقول انه منتظره في سهل شليدران. فاسرع السلطان سليم حتى التقى به في غرة رجب (سنة ۹۲۰هـ) وانتشب القتال بين العسكرين فانكسرت الاعجام كسرة هايلة وانجرح اسمعيل شاه في يده ورجله وسقط عن جواده فانقض عليه احد الخيالة العثمانية واراد قتله فطرح نفسه عليه وزيره مراد وقال انا هو الشاه فقبضوا عليه واخذوه اسيرا. واما اسمعيل شاه فاغتنم الفرصة وركب جوادا قدمه اليه احد الجنود وانطلق مسرعا حتى وصل الى تبريز * ثم لم

يامن على نفسه فاستمر في هزيمته الى درغازين. واغتنم السلطان اسلاب الاعجام وحريم الشاه واموالد وقتل جميع الاسرى الذين وقعوا في يده *
ومن الغد نهض الى تبريز فدخلها وحضر اليه بديع الزمان الذى كان من سلالة تيمورلنك فخلع عليه واكرمه واجلسه على كرسي بجانب كرسيه وفرض له نفقة يومية اكراماً لتيمورلنك الفاتح الشهير . وكان لاسمعيل شاه اموال كثيرة في تبريز وجواهر ثمينة وتحف واقمشة واسلحة فاغتنمها السلطان سليم وتوجه من هناك الى اماسيا وتسلم في طريقه بعض مدن الاعجام واقام بها محافظين . فارسل اليه اسمعيل شاه هدية عظيمة وطلب منه ارسال امرأته التي سباها . فامر بحبس الرسول وزوج امرأة الشاه برجل من جنوده يقال له جعفر چلبي *

وفي (سنة ٩٢١ هـ) رحل السلطان سليم من اماسيا وبعد شهر وصل الى مدينة كوماخ التى اخذها بهجمة عظيمة . ثم ارسل فريقا من العساكر لمحاربة علا الدولة كبير التركمان فنازله سينان پاشا قايد العساكر السلطانية وقتله في ميدان الحرب وحينئذ انهزمت التركمان الى الجبال وارسل سينان پاشا راس علا الدولة الى السلطان سليم فارسله الى مصر كانه يقول الى سلطانها انظر حالة العصاة *

وبعد ذلك بلغ السلطان انه حدثت فتنة من الينكشارية في القسطنطينية ونهبوا دار الصدر الاعظم * فرجع الى هناك وامر بقصاص المذنبين منهم وقتل الذين كانوا السبب في ذلك * واقام عليهم روساء يضبطون اعمالهم وامر بتقوية العمارة البحرية وجلب اليه مقاطعات كثيرة من بلاد الاكراد ومابين النهرين الذين خلصهم من تسلط الاعجام . وكان في تلك الايام قد استولى على جميع بلاد ديار بكر وماردين التى عجز تيمورلنك عن افتتاح قلعتها المنيعة لانها مبنية على قمة جبل عال ويحتمها

واد عميق وحولها صخور عظيمة محددة الرووس ولها طرق ماولبة لايمكن سلوك العدو فيها . فتسلمها وقتل كل من كان بها واستولى على حصن كيفا وسنجار وازغنا وبربجك وغير ذلك . ثم اخذ الموصل ودوجا وصارت كل تلك البلاد تحت تسلط الدولة العثمانية *

وفي (سنة ٩٢٢) عزم السلطان سليم على محاربة قانصو الغورى سلطان مصر وارسل اليه رسلاً ينذره بذلك فامر بحبسهم * ولكنه لما علم بقدوم السلطان نحوه اخرجهم من السجن وارسلهم لكي يتكلموا معه بالصلح * وارسل بعدهم رجلا من اكابر دولته يقال له موغول بك * فلما وقف امام السلطان امر بقتله حالا وقتل كل من كان معه من اصحابه . فترامى على اقدامه ونس پاشا وساله العفو عنه فسمح عن قتله ولكن امر بحلق لحيته والبسه طربوش اقرع واركبه حمارا جربانا اعرج وارسله الى سيده الغورى فاشتعلت به نار الحمية وخرج لمحاربته حتى التقى به في مرج رابيك من بلاد سورية . ولكن لم تطل برهة الحرب حتى انتصرت العساكر العثمانية فانكسرت عساكر المصريين وتشتتت وسقط ملكهم الذى كان عمره ثمانين سنة عن جواده فمات . وحينئذ قطع احد الضباط راسه وطرحه على اقدام السلطان سليم . فغضب السلطان من اهانة الدم الملوكي واراد قتله فتشفعت فيه الوزراء حتى عفا عنه ولكن عزله عن وظيفته *

وبعد ما استولى على حلب صلى في جامعها الكبير واعطاه الخطيب لقب خادم الحرمين الشريفين الذى كان يختص بسلاطين مصر . فخلع عليه حلته التى كانت تساوى خمسين الف غرش * وبعد ان مكث في حلب ثلاثة ايام توجه الى حماه وسلم مأموريتها الى كوزلجي پاشا وجعل حمص سنجقا * ونصب العلم السلطاني في دمشق واقام بها نحو اربعة اشهر

فحضرت اليه امراء العرب واصحاب مقاطعات سورية واوجه جبل لبنان وكان يطوف متفرجا على الاثار القديمة التى هناك ولا سيما الجامع الاموى الذى هو من اعظم الجوامع لان طوله يبلغ خمسماية وخمسين قدما وعرضه ماية وخمسين قدما وهو مبني على اعمدة عظيمة من الحجر السماقى والرخام المختلف الالوان . وكان في قبته ستماية قنديل معلقة بسلاسل من الذهب والفضة * وفى ليالى شهر رمضان كان يشعل فيه اثنا عشر الف قنديل * وفيه اربعة محاريب لاصحاب المذاهب الاربعة وهم الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية . وكان فيه خمسة وسبعون موذنا يوذنون فى منارات الثلاث وقيل ان هذه العمارة العظيمة كلفت ثلثة الاف الف دينار فى الزمان القديم الذى بنيت فيه . وهذا اعظم مايكون فى ابنية العرب

وبعد ذلك توجه الى مصر لمحاربة طومان باى الذى جلس بعد الغورى وقبل افتتاح الحرب ارسل اليه اثنين من رجال دولته يعرض عليه الصلح بشرط ان يخضع للدولة . فقبلها بكل اكرام ولكن بعد خروجه من الديوان امر بقتلهما ونادى بالحرب والتقى بالعساكر السلطانية فى نواحي غزة . فجرى بينهم قتال شديد ثم انكسرت العساكر المصرية ودخلت العساكر السلطانية الى غزة . وكان السلطان سليم قد مر فى طريقه على القدس ليزور قبور الانبيا والاثار القديمة التي هناك وبينما هو راجع التقى بسنان پاشا الذى كان قايد الجيوش العثمانية فانعم عليه بسيف ثمين وفرق مواهب كثيرة على العساكر . ثم عزم علي المسير في البرارى الى مصر فنهاه حسين پاشا عن ذلك السفر لانه لا يخلو من الاخطار فامر بقطع راسه ونادى بالرحيل *

وفى اليوم التاسع والعشرين من شهر ذى الحجة (سنة ٩٢٢ ﻫ) التقى بعساكر طومان باى . وعند انتشار الحرب انقضت فرقة من الخيالة

المدرعة على سنجق السلطان سليم وكان معهم طومان باى بنفسه . فطعنوا سينان باشا بالرمح وقتلوه وهم يظنون انه السلطان سليم . وحينيذ اشتعلت بينهم نار الحرب وقتل من المماليك نحو خمسة وعشرين الفا وكانت النصرة للعساكر السلطانية . فارسل السلطان سليم محافظين الى مدينة مصر غير ان طومان باى كان قد رجع سرا الى مصر فقتلهم عن اخرهم . فحضر السلطان وحاصر المدينة وجرت بينهم وقايع شديدة . و بعد ثلثة ايام هجمت عليها العساكر السلطانية فاخذتها * وحينيذ اشهر السلطان العفو والامان فحضر اليه منهم نحو ثمانين الفا فقبض عليهم وامر بقتلهم جميعا وقتل كل من ظفر به من اهالى المدينة *

واما طومان باى الذى كان هرب الى شرقى الديار المصرية فجمع من بقى من المماليك وجمع معهم نحو ستماية الف من العرب والتقى بالعساكر العثمانية فتغلب عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واخرجهم من القاهرة *

وكان السلطان سليم قد ضجر من طول مدة الحرب فارسل مصطفى باشا يطلب الصلح من طومان باى بشرط ان يكون تحت سلطة الدولة فلما وصل مصطفى باشا بهذه الرسالة امر بقتله وقتل جماعته . ولما بلغ السلطان ذلك جدد الحرب علي المماليك فظفر بهم وهرب طومان باى الى الجهة البحرية . فارسل اليه ثانية يدعوه الى الصلح فابي * فركب السلطان بنفسه علي الجيزة ومعه نحو اربعين الف مقاتل فاوقع به وكسره كسرة هايلة فانهزم والتجا الى حسن مرى الذى خاصه قبل ذلك من الحبس في ايام الغورى * فقبله بكل اكرام ولكنه بعد ايام سلمه الى السلطان سليم فامر بقتله . وكان ذلك (سنة ٩٢٥ هـ) وبعد اقامته في الديار المصرية اياما رجع الى القسطنطينية واخذ

في تكثير المهمات الحربية فجدد ماية وخمسين مركبا وجمع ستين الف عسكري الا انه بعد برهة قليلة ادركته الوفاة * وكانت وفاته في ثامن شهر شوال (سنة ٩٢٦ هـ) فاخفوا موته الى ان يحضر ولده سليمان الذي كان في سروخان محل ولايته * وكان عمر السلطان سليم اربعا وخمسين سنة وملك ملكه تسع سنين * وكان طويل القامة قصير الرجلين عظيم الجثة احمر اللون كبير العينين غليظ الحاجبين * وهو اول سلطان لم يطلق لحيته وكانت رجال الدولة تعيبه لذلك . وكان يحب الصيد والحرب والقراة فكان يقضي اكثر ليله في الدرس والتاليف . وكان شاعرا حسن النظم وله ديوان اشعار بالتركية والفارسية والعربية *

السلطان سليمان

ولما بلغ السلطان سليمان وفاة ابيه حضر من ساروخان الى القسطنطينية وجلس على تخت السلطنة بعد دفن ابيه فقام بحقها وقدم السلطنة العثمانية الى اوج العظمة وافتتح الفتوحات العظيمة وباشر الحرب بنفسه ثلاث عشرة مرة واقام جملة ابنية عجيبة وفعل كثيرا من الافعال الغريبة في مدة ملكه التي كانت ثماني واربعين سنة وكان هو العاشر من ملوك آل عثمان وكان محبوبا من جميع الناس لانه ابتدا بالحلم والرافة فاطلق ستماية نفر من اهل مصر المحبوسين وعاقب جملة اناس ظالمين وكفهم عن المظالم *

وفي ايامه قام اهل المجر على المباشر الذي كان يجمع الخراج من طرف الدولة وقتلوه فركب بعسكر جرار وعمارة عظيمة وتولى الحرب بنفسه . فاستظهر عليهم واستولى على بلادهم بعد خراب بلدان كثيرة

منها . واخذ قلعة بلغراد الشهيرة بعد هجمات عديدة واقام بها محافظين
ثم رجع الى القسطنطينية و بعد رجوعه بعشرة ايام مات له ثلثة اولاد
وكان هذا السلطان متولعا بالفتوحات وكانت الفرصة مساعدة له
فى الهجوم علي الدول النصرانية الذين كانوا فى الانشقاق والمنازعة فكان
شرلكان ملك سبانيا ولويس الاول ملك فرنسا يتنازعان على دوكة
ميلان وكانت هرطقة لوتير الجديدة شاغلة بال البابا ليون العاشر فاغتنم
السلطان الفرصة واراد الهجوم على اوربا وكان المتولي على تلك
الجزيرة حينيذ والتى كان يملكها من منذ مائة وخمسين سنة شوالرية
ماريوحنا الاورشليمى وكانت مانعا قويا لمصادمة العثمانيين ومنعهم
عن اوربا . فارسل (سنة ١٥٢٢) مصطفى باشا صهر السلطان وبيرى باشا
وكان تحت قيادتهما مايتا الف رجل وثلثماية مركب فيها عشرة الاف
بحرى * وكان فى المدينة خمسة الاف عسكرى وستماية من الشوالرية
الذين طلبوا النجدة من ملوك النصارى فلم يجبهم احد لذلك فاظهر
الشجاعة والثبات والتجلد فوق الطاقة البشرية وبعد محاصرة طويلة
بدون نتيجة اتي السلطان سليمان بنفسه وامر العساكر بالهجوم علي
القلعة فاشتدت المقاومة ومكث على ذلك ستة اشهر التى بها قاوموا
المحاصرين مقاومة فايقة الحد لانهم اهلكوا من المايتى الف مقاتل
العثمانين ما ينيف عن اربعين الفا وهلك مثل هذا العدد بالتعب
والامراض . وكان قد ضرب على رودس اكثر من مايتين وعشرين الف
مدفع فصارت بذلك تلا من الوساد . ولم يبق مع المحصورين شى من
البارود والمونة وكان اغلبهم قد قاربوا الى الموت ورادوا بقبول الشروط
التى كانت عرضت عليهم فانحط الراى علي ان الكنايس لاتدنس ولاتلوث
بشى وان يرخص في استعمال الدين النصرانى مع الحرية وان الاهالى

لاتتكلف الى شي في مدة خمس سنين وكان الريس عليهم رجل فرنساوى يسمي ليل ادم فطلب السلطان رويته وبعد ما راه مدحه على شهامته وسلاه علي مصيبته ثم بعد ان دخل السلطان المدينة وتملك سراية هذا الريس الاكبر قال لاحد روسا عساكره انه يصعب علي جدا اخراج هذا البطل من بيته *

ثم ان ليل ادم ركب البحر وتبعه اربعة الاف من اهل رودس ليتخلصوا من حكومة المسلمين فذهبوا الى ايطاليا ومنها الى مالطة ومكثوا هناك وصاروا يلقبون شفالرية مالطة *

ولما بلغ الجزاير القريبة من رودس ما حل بها سلمت من غير حرب فاستولى عليها . وفي ذلك الوقت عزل الصدر الاعظم بيرى پاشا واقام مكانه نديمه ابراهيم پاشا . وكان هذا الرجل من اولاد الفقرا فاحبه السلطان لشهامة حصلت منه وجعله نديما له واعطاه اخته ثم رفعه الى رتبة الصدارة ثم الى رتبة السرعسكرية وصار صاحب الكلام والعمل وكان رجلا نجيبا ففتح جملة بلدان في نواحي بلغراد وغرق ملكهم فى احدى البرك . وقتل من المجر نحو خمسة وعشرين الفا وصف روس القتلى امام خيمة السلطان نظير الاهرام . وسبي نحو ماية الف من السرارى والمماليك واغتنم الخزينة الملوكية . وكان الذين قتلوا من المجر فى هذه النوبة يبلغون مايتى الف نفر *

وبعد ما فرغ السلطان سليمان من هذه المهمة رجع الى القسطنطينية بعد غيابه عنها سبعة اشهر . وكان ابراهيم پاشا المذكور قد جلب معه ثلثة اشخاص حجرية من بلاد المجر واقامها فى ساحة ات ميدان باذن السلطان تذكارا لفتحهم تلك البلاد . فانكرت جماعة المسلمين ذلك لانه بخلاف عوايدهم واخذوا يتحدثون ضد السلطان ونظم بعض الشعرا

قصيدة في ذلك وكان منها بيت يقول فيه ان ابرهيم الخليل قرض الاصنام وابرهيم هذا يريد اعادتها . فلما وقف السلطان على كلام هذا الشاعر امر بقطع راسه *

وفي شهر شعبان (سنة ٩٣٤ هـ) قام اهل حلب على المنلا والقاضي فقتلوهما في الجامع . ولما بلغ السلطان سليمان ذلك غضب غضبا شديدا وامر بقتل اهالي حلب جميعا . فاخذ ابرهيم باشا يتلطف بالوسايل في تسكين غضبه حتى عفا عن الجمهور واكتفى بقتل كبار المذنبين وكان عددهم سبعة ونفي الباقين منهم الى رودس *

وفي هذه السنة عقد الصلح مع المجر الذين كانوا في الحرب مع ملك النمسا . فارسل ملك النمسا الى السلطان يطلب منه مطاليب باهظة فغضب من ذلك وحبس رسوله تسعة اشهر . وبعد ذلك اطلقه وقال له قل لمولاك انني قريبا ازوره ان شا الله واعطيه مطاليبه بيدي فليستعد لزيارتنا له وفي ذلك الوقت سمى ابرهيم باشا قايد الجيوش العثمانية وعين له رواتب وافرة وخلع عليه خلعا فاخرة *

وفي ١٠ ايار (سنة ١٥٢٩ م) خرج السلطان سليمان من القسطنطينية بماية وخمسين الف مقاتل وثلثماية مدفع . ونصب خيامه في سهل واسع بالقرب من فيلبي . وفي ذلك الوقت حدثت امطار غزيرة ففاض النهر واخذ الخيام وجملة انفار من العسكر . وكثيرون منهم صعدوا الى الاشجار واحتموا بها من الما يومين وليلتين حتى انكشفت المياه عن الارض . وبعد ذلك وصلت العساكر الى مدينة موهكز من بلاد المجر فاتى حاكمها زابوليا وقدم الطاعة للسلطان . فاقتبله بكل اكرام واجلسه على يمين كرسيه . ولما اراد الانصراف خلع عليه خلعة ثمينة واعطاه ثلثة افراس من جياد الخيل عليها سروج مرصعة . وكان الملك فرديناند رجع

وفتح مدينة بود كرسي بلاد المجر . فحاصرتها عساكر السلطان وبعد ستة
ايام تسلموها عفوا عن المحافظين الذين كانوا بها . غير ان اليگشارية لما راوا
ان املهم خاب من النهب اخذوا يوبخون اوليك المحافظين على جبانتهم
فغضب واحد منهم وضرب احد اليگشارية بالسيف فقتله . فانقضت
اليگشارية عليهم وقتلوهم عن اخرهم . وبعد اخذ هذه المدينة اجلس
زابولياعلي كرسي المجر *

وفي اواخر هذه السنة وصلت العساكر العثمانية الى تحت اسوار
فينا واخذوا بعض اسارى من هناك ونصب السلطان خيامه بالقرب من
المدينة . وكان حول الصيوان الملوكي اثنا عشر الف يگشاري ومماية
وعشرون الف مقاتل وار بعماية مدفع وعشرين الف جمل لنقل المهمات
وكانت عمارته البحرية ثمانماية قطعة في نهر الطونا تحت رياسة قاسم
باشا . واما الاعدا فلم يكن عندهم سوى عشرين الف مقاتل واثنين
وسبعين مدفعا وخوفا من وقوعهم في ايدى العساكر العثمانية كانوا
يتصلبون امامهم بمقاومة شديدة فخمدت قوة اليگشارية بعد هجمات
كثيرة . ولما راى السلطان ذلك قام عن المدينة في رابع عشر تشرين
الاول وقتلت اليگشارية جميع الاسارى الذين كانوا عندهم وانصرفوا *
وكان السلطان لا يريد ان يقرر الجبانة في انفس العساكر ليلا تنكسر
قلوبهم فيجبنوا عن الحرب بعد ذلك فعقد ديوانا وفرق عليهم انعامات
كثيرة . ودخل القسطنطينية في اليوم السادس عشر من شهر كانون
الاول وامر بتطهير اولاده الثلثة مصطفى ومحمد وسليم ودعا جميع اكابر
المملكة وريس مشيخة البندقية *

وفي (سنة ٩٣٢ هـ) حضر اليه كتاب من الملك فرنسيس الاول ملك
فرنسا يشكو اليه من تغلب الاعداء على مملكته ويستغيث به فارسل

اليه الجواب بهذه الصورة *

* الله *

بنعمة الله الذى تجل قدرته وتمجد الى الابد وتتعظم كلمته الالهية. وبركة
شمس سموات النبوة وكوكب برج الاولياء ريس طغمة الابرار
محمد الطاهر صلى الله عليه وسلم. وبظل انفس صحابته الاربعة
الطاهرين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي صلوات الله عليهم
شاه سلطان سليمان خان
ابن السلطان سليم خان
الغازى

انا سلطان السلاطين وملك الملوك وواهب الاكاليل لملوك العالم
ظل الله على الارض. باد شاه وسلطان البحر الابيض والاسود وبلاد
الروم ايلى والاناضول وقرماني وارزروم وديار بكر وكردستان وادربيجان
والعجم ودمشق وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس الشريف وساير
بلاد العرب واليمن وايالات شتى التي سلفاونا العظام واجدادنا
الشرفاء قد افتتحوها بقدرتهم المنصورة. وكذلك عدد كثير من البلاد
التي عظمتى الملوكية قد اخضعتها لسيفى الساطع. انا ابن السلطان
سليم ابن السلطان بيازيدشاه السلطان سليمان خان اكتب اليك
يافرنسيس
ملك مملكة فرنسا

ان الكتاب الذى اعرضته الى سدتي الملوكية التي هى ملجا الملوك
مع فرنكيبان الرجل المستحق امانتك والالفاظ الشفاهية التي حملته
اياها قد اعلمتني ان العدو حاكم في مملكتك وانك الان قد صرت
اسيرا وتطلب من طرفى خلاصك. فجميع ما قلته قد عرض على اقدام

كرسي عظمتي الذى هو ملجا العالم. وقد فهمت جميع الشروح وعلمي الشريف قد احاط بجميعها كافة. ففي ايامنا هذه اذا انكسرت الملوك وصارت اسارى فلا عجب. فليتشدد قلبك ولاتخمد نفسك. وفي مثل هذه الاحوال قد راينا سلفاءنا الممجدين واجدادنا المعظمين ما تاخروا عن الدخول في قتال الاعداء وعمل الفتوحات. وانا ايضا تابعا اثارهم قد اخضعت في كل الايام ولايات كثيرة وحصونا قوية يتعسر الاقتراب اليها. ولست انام ليلا ولا نهارا وسيفي لا يفارق جانبي. فليسهل علينا العدل الالهي اتمام عمل الخير. وفضلا عن ذلك اسال رسولك عن جميع الاحوال والحوادث واقنع بما يقول لك واعلم انه هكذا. حرر في العشر الاولى من هلال ربيع الثاني (سنة ٩٣٢ هـ) من السدة الملوكية في محروسة الاستانة العلية *

وحينئذ ارسل السلطان عمارة بحرية تحت قيادة بربروس ينجدبها ملك فرنسا ولما وصلت الى مرسيليا انضمت الى عمارة الملك فرنسيس الذى كان يقودها اچيان وساعده في اخذ مدينة ينسة ونهبها قهرا عن الفرنساوية ثم ركب سفنه وعاد الى القسطنطينية *

وفي (سنة ٩٣٥ هـ) حضر كتاب من الملك فرنسيس المذكور يطلب منه استرجاع كنيسة في القدس الشريف * فكتب اليه الجواب بهذه الصورة

الله

بنعمة الله تعالى الى اخره كما في فاتحة الجواب الاول

شاه سلطان سليمان خان

ابن السلطان سليم الدايم النصر

اليك يا فرنسيس بك

بلاد فرنسا

قد ارسلت الى سدتي الملوكية مقر السلاطين السعيد الذى هو مُشرق حسن الادارة والسعادة ومحل اجتماع الملوك تحريرا تعرفني به انه يوجد في مدينة اورشليم المحروسة التى هى فى مملكتى السعيدة كنيسة كانت قديما في ايدى امة عيسى ثم تغيرت اخيرا فصارت جامعا فانا اعلم بالتفصيل كل ماذكرت بهذا الخصوص . واذا كانت الحالة هذه فنظرا الى الصداقة التي بين عظمتنا الملوكية و بينك نحن نجيب سوالك الذى طرحته بحضرتنا الملوكية التى توزع مواهب السعادة . غير ان سوالك هذا لا يعد من جملة السوالات التى تتعلق بالاموال والعقارات بل بما يختص بمتعلقات الاديان . لانه بموجب امر الله الطاهر وتطبيقا لسنن نبينا شمس الكونين صلى الله عليه وسلم هذه الكنيسة من زمان غير معلوم قد صارت جامعا لاقامة صلوة المسلمين . وبنا علي ذلك يكون تغيير حالة موضع قد تسمى جامعا واقيمت فيه الصلوة مغايرا الدين الاسلام و بالاجمال اقول ولوكانت شريعتنا تاذن بذلك فانا لايمكنني ان اجيب سوالك هذا بوجه لاطلاق . ولكن ماعدا الاماكن المعدة لاقامة الدين كل مكان يكون في ايدى النصارى لااحد في حكمي العادل يقدر ان يشوش راحتهم به . لانهم ماداموا تحت ظل حمايتى المانعة وجناحى السامى لهم الرخصة ان يمارسوا امور دينهم وطقوسهم في معابدهم التي بايديهم من غير معارضة فى ادنى شى * حرر فى العشر الاولى من هلال محرم الحرام سنة خمس وثلاثين بعد التسعماية من الهجرة النبوية فى السدة الملوكية في الاستانة العلية المحروسة *

وفي تاسع عشر شهر رمضان (سنة ١٥٣٢م) خرج السلطان من القسطنطينية بمايتي الف مقاتل لمحاربة بلاد السرب فافتتح فى طريقه اربع عشرة قلعة حصينة واستولى على اكثر حدود بلاد النمسا حتى وصل

لامام كرانزوكان قايد العساكر قاسم بك و بعد حروب كثيرة رجعت
العساكر الى بلغراد منضمة الى عساكر ابرهيم پاشا وهناك انعم على روسا
العساكر والمامورين بخلع ثمينة وارسل يعلم حكام المقطعات بالنصرات التى
انتصرها فى مدة حروبه ثم رجع الى القسطنطينية وفي (سنة ١٥٣٣م) ارسل
رسولا الى مدينة ڤينا يطلب المهادنة فقبل قبولا حسنا من شرلكان ومن
فرديننذوهذا الاخير قد ارسل الى السلطان مفاتيح كران وبعد ما عقد الصلح
بين ملوك اوربا وجه اماله لمحاربة العجم فوجه عسكره الى فتح بغداد
ولما علم ذو الفقار خان الذى كان حاكما فيها من قبل طوهماز شاه ارسل
مفاتيح المدينة الى السلطان سليمان وقبل ان تصل اليه نهضوا جماعة
الشاه وقتلوا ذو الفقار على خيانته هذه واما السلطان فانه سار بقسم من
العساكر وفى راسهم ابرهيم پاشا الى بغداد وقسم اخر وفى راسهم الصدر
الاعظم الى تبريز التي دخلها بعد فتح جملة قلاع حصينة وذلك فى
١٣ تموز (سنة ١٥٣٤ م) وابرهيم پاشا كان يتقدم بالعساكر جهة بغداد
وفي ١٣ حزيران (سنة ١٥٣٤م) خرج السلطان من القسطنطينية
بالعساكر تابعا الصدر الاعظم حتى دخل تبريز ومن هناك سار جهة
بغداد الذى كان فتحها ابرهيم وارسل المفاتيح الى السلطان ثم دخل
السلطان مدينة بغداد وكانت اعلام النصرة تتموج علي ابراج اسوارها
و بعد ان مكث فيها مدة من الزمان توجه الى تبريز وقبل دخوله خرج
لملاقاته الچى العجم والچى فرنسا الاول يطلب منه الصلح والثانى
يهنيه بفتوحه لمدينة بغداد و بعد ان اقام في تبريز مدة رجع الى القسطنطينية
وهناك اوشوا له علي وزيره ابرهيم پاشا فقتله وانعم على خير الدين پاشا
المعروف بالبربوس برياسة العمارة البحرية الذى استولى بها على
جملة جزاير وبلاد فى حدود ايطاليا

وفي (سنة ١٥٣٤ م) تقدم خير الدين المذكور الى تحت اسوار مدينة تونس . وكان الوالي بها المنلا حسن الثاني والعشرين من بني حفص . وكان في مدة ولايته قد قتل اربعة وعشرين من اخوته وكان مشتغلا بتكثير نسايه عوض عن تحصين بلاده من العدو فافتتحها خير الدين وطرده من البلاد . غير ان هذا الفتوح لم يطل امره الا مدة قليلة لان المنلا حسن التجا الى ملك اسبانيا كارلوس الخامس فركب على تونس واسترجعها له بالحرب *

وفي شهر ايار ركب السلطان ومعه ولداه مصطفى وسليم على مدينة والونا من مقاطعة البندقية . وكان معه خمسة وعشرون الف مقاتل وثلثون مدفعا فحاصر هذه المدينة وبعد حصار اربعة ايام وثماني هجمات لم يقدر على افتتاحها فقام عنها بعساكره ورجع الى القسطنطينية وكانت البغدان تحت حماية الدولة منذ اثنين وعشرين سنة . وكانت تدفع خراجا سنويا اربعين فرسا واربعة آلاف ريال *

وفي (سنة ١٥٣٨ م) افتتح خير الدين خمسة وعشرين جزيرة من جزاير البنادقة . وفي شهر ايلول ضرب عمارة البندقية التي كانت مماية وسبعا وستين قطعة فشتتها . وبعد حروب كثيرة سلمت البندقية الى الدولة قلاع نابولي ورومانيا وسلغازيا وغيرها ودفعت الى الدولة ثلاثماية الف ريال *

وفي (سنة ١٥٤٧ م) حضر الى القسطنطينية رسول من عند علا الدين سلطان الهند يطلب نجدة الدولة على البرتكال والكاسب مرزا الذي كان قد عصى على ابن شاه العجم . وفي عاشر رجب حاصر مدينة وان واخذها في تسعة ايام . وبعد ذلك اخذ عثمان باشا عدة افراس وربط في اذنابها جملة من الغربان واطلقها ليلا في وسط معسكر الاعجام

فكانت تلك الغربان تنعق والخيل تنذعر من اصواتها فتشتد في الركض والهياج حتى خاضت بين القوم فاعتراهم خوف عظيم وظنوا ان عسكر الدولة قد اغار عليهم فصاروا يقتلون بعضهم بعضا حتى هلك منهم جانب عظيم . فسر السلطان بهذه المكيدة وانعم علي عثمان باشا بولاية حلب وكان ابن شاه العجم قد احتمى قبل ذلك عند السلطان خوفا من ابيه فلما اقبل السلطان على تلك الديار توجه الى نواحي اصفهان واغتنم غنايم عظيمة وارسلها اليه وانطلق من هناك الى نواحي كردستان فقبض عليه اخوه زهران وسلمه الى ابيه فحبسه حبسا موبدا *

وفي (سنة ١٥٥٣ م) بلغ السلطان ان ابنه مصطفى تداخل مع اليگشارية وانه يريد الخروج على ابيه فامر بقتله . وكان ذلك امرا فظيعا احزن جميع اهالي المدينة وكثيرون من الشعرا رثوه بقصايد محزنة . واثر ذلك في قلب اخيه جيهان كبر فمرض من شدة حزنه على اخيه ومات بعد ايام *

وفي تلك المدة ظهر رجل يدعي انه مصطفى ابن السلطان الذي امر بقتله وجرد عساكر كثيرة . فقبضوا عليه وارسلوه الى السلطان فامر بشنقه *

وفي (سنة ١٥٥٦م) تم بناء الجامع المعروف بالسليمانية . وفي اثنا ذلك حضر اليه كتاب من شاه العجم يقول فيه *

ايها الملك المحبوب من الله . والذي غمرك الباري تعالى بمواهبه والذي سقيت من ندا الخالق المحيي . سلطان البرين وخاقان البحرين . انت الذي اسمك نظير اسم نبي الانس والجان . وانت مركز الفلكين وخادم الحرمين الشريفين انت الذي جمعت في شخصك القوة والجد والفخر والقدرة والخلافة والفطنة والعدل والشرف والانصاف

والاستقامة السلطان سليمان خان . فلترفع سناجقك فوق السموات وتنقش اسماء سلطنتك على الواح الابدية *

فاجابه السلطان سليمان يقول

يامن بيدك العظمة السامية مثل السماء واللامعة مثل الشمس والحاطة بشعاع المنظر المهيب والمشتملة علي حذاقة دارا ونجابة خسرو وسعادة المشترى واكليل كوكباد وقضيب فريدون وشاه كرسى العظمة وقمر سماء القدرة . انت مشرق نجوم السجايا البديعة ومغرس الفضايل الجسيمة الجامع فى شخصك المناقب الحميدة واللامع باشعة العواطف الشريفة والذى عندك نظر الحامى الصادق والمالك محبة من بنعمته يفرق السعادة انت مطلع السعود تامصب شاه فلتحط بك النعم الالهية وتضى لك الانوار السماوية *

وفي اثناذلك عصى بيازيدابن السلطان سليمان وجمع جملة عساكر فانكسر وذهب الي اماسيا ومن هناك الى بلاد العجم فقبله شاه العجم بكل اكرام . فكتب اليه بيازيد ان يسلمه الى المامورين الذين ارسلهم فسلمه لهم فقتلوه وقتلوا معه اربعة اولاده . وكان ذلك (سنة ٩٦٩هـ) فارسل اليه السلطان سليم اربعماية الف دينار مكافاة على ذلك . وكان قد بقى لبيازيد ولد اخرفى برصا عمره ثلاث سنين فامر بقتله *

وفي (سنة ٩٦٧هـ) توجه القبطان شابالى بعمارة عظيمة الى جزيرة جربا في نواحى افريقيا وتملكها بعد حصار ثلثة اشهر واخذ حاكمها اسيرا واتي به الى القسطنطينية . فلما بلغ ملك اسبانيا ذلك ركب علي بلاد الجزاير واخذ بعض قلاع ومراكب تخص الدولة . فغضب السلطان من ذلك وعزم على فتح مالطة . ففي اول شهر نيسان (سنة ١٥٦٥م) خرج القبطان شابالى من مينا القسطنطينية بعمارة تحتوى على ماية وواحد

وثمانين مركبا ومعه السرعسكر مصطفى باشا . وفي اليوم العشرين
من ايار خرجت العساكر الى الجزيرة واخذوا في عمل خنادق امام
قلعة سنتن واقاموا عليها الحصار الشديد فاخذوها بعد سبعة ايام .
واخذ السرعسكر الاسارى وسمرهم على اخشاب وطرحهم في البحر امام
المدينة . وكان قد وقع في يد حاكم المدينة اسارى من اليكشارية فلما
راى ذلك امر بقطع روسهم ووضعها في المدافع وضرب بها المحاصرين
فارسل مصطفى باشا الى حاكم المدينة يطلب منه التسليم . فاخذ الحاكم
الرسول واراه عمق الخنادق وقال له هذه هي الارض التي اسلمها الى
سيدكم الذي ياتي ويملاها من جثث اليكشارية . فحينئذ ابتدا مصطفى
باشا يضرب المدينة . وفي حادي عشر ايلول (سنة ١٥٦٥ م) بعد عشر
هجمات وفقد عساكر كثيرة قطع الامل من اخذ المدينة فرفع الحصار
عنها وقد فقد من عساكره ما ينوف عن عشرين الفا *

وفي اثنا ذلك كان قد وقع الحرب بين الدولة والمجر واخذت عساكر
الدولة جملة بلدان من تلك المملكة . فارسل المجر يطلبون الصلح من غير
ان يرسلوا الخراج المكسور عليهم . فغضب السلطان وامر بحبس رسولهم
وعزم على السفر اليهم بنفسه . واذ كان مريضا بدا المفاصل لم يقدر على
الركوب فسافر في العربانة . وبعد مشقة عظيمة من كثرة الامطار وصل
الى بيلغراد ومنها الى سملين فتسلمها وافتتح جملة قلاع وبلدان ثم مات في
تلك الديار . وكانت العساكر محاصرة قلعة الزيجات فاراد محمد سقلي
قايد الجيش ان يخفي موته خوفا من انكسار قلوب العساكر واقام على
حصار القلعة . فلما راى صاحبها انه لابد من اخذها عزم ان يموت
بشرفه فلبس اثوابا فاخرة واخذ معه مفاتيح القلعة وتقلد بسيفه ونزل
الى دار القلعة وامر ان يطلقوا بعض المدافع فاطلقو وسقط من هناك تحت

دخان البارود في وسط العساكر العثمانية . فتناولوه وقطعوا راسه وارسلوه الى قايد العساكر النمساوية وهجموا على القلعة فاخذوها بعد ما قتل نحو ثلثة آلاف نفر . وما زالوا كاتمين موت السلطان مدة ثلثة اسابيع حتى وصل ولده السلطان سليم من كوتاهية الى القسطنطينية . وكان السلطان سليمان اسمر اللون فسيح الجبهة عبوس الوجه عالي الهمة ركب بنفسه الى الفتوحات ثلث عشرة مرة ورتب في مملكته شرايع وقوانين كثيرة ولذلك تلقب بالقانوني وبنى ابنية جميلة واقام مدارس كثيرة وكانت مدة ملكه ثماني واربعين سنة ومدة حياته اربعا وسبعين سنة *

السلطان سليم الثاني

كان مولد هذا السلطان (سنة ١٥٢٤ م) الموافقة (سنة ٩٢٩ ھ) وجلوسه (سنة ١٥٦٦ م) الموافقة (سنة ٩٧٤ ھ) . وكان لما بلغه خبر وفاة ابيه توجه من القسطنطينية الى بلغراد وارسل يخبر ملك فرنسا وشاه العجم وريس مشيخة البندقية بجلوسه على تخت الملك . وكان قد امر باحضار جثة ابيه الى القسطنطينية ودفنها هناك * وفي اثناء ذلك نهض وجاق اليكشارية وهاجوا في القسطنطينية . فاخمد تلك الفتنة بتوزيع الاموال عليهم وعلى الذين كانوا يحركونهم لذلك . وكان الحرب لم يزل بين العساكر العثمانية وملك النمسا فوقعت الهدنة بينهم على ثماني سنوات . وكان ملك النمسا قد تعهد بدفع ثلاثين الف ريال دوكا الى الدولة *

وفي اثنا ذلك حضر رسول شاه العجم واحضر معه هدية الى السلطان

سليم لولوتين وزن الواحدة منهما يبلغ اربعين درهما و ياقوتة بقدر التفاحة الصغيرة . وجدد العهود بين الدولة وشاه العجم . وكان صاحب اليمن في تلك الايام قد ادعى بالخلافة فارسل السلطان سليم عسكرا لمحاربته فقهروه واخذوا صنعا و بعض اماكن في تلك البلاد *

وكان للسلطان سليم قبل جلوسه نديم يهودى يقال له زوسفناسى وكان يحب شرب الخمر فاطغى السلطان على ذلك واخبره عن جزيرة قبرس انه يوجد فيها خمر جيد في الغاية . فوعده السلطان انه اذا جلس على تخت الملك ياخذ هذه الجزيرة ويجعله حاكما عليها . فلما جلس السلطان سليم وخلا باله من مهمة النمسا واليمن ذكره ذاك اليهودى بوعده فارسل يطلبها من مشيخة البندقية ونقض عهد الصلح معهم . ولما بلغ هذا الطلب مشيخة البندقية غضبت واشهرت الحرب فارسل السلطان عمارة تحتوى على ثلثماية وستين مركبا . و بعد حروب كثيرة تغلبت العساكر العثمانية على جزيرة قبرس وفتحوا اكثر القلاع والمدن ونهبوا اموالا جزيلة واستاسروا نحو الفين من البنات والصبيان و بعد ذلك حاصروا مدينة فاماغوست من هذه الجزيرة مدة طويلة وهجموا عليها ست هجمات ولم يقدروا على الدخول اليها حتى تضايق المحاصرون بها من الجوع فسلموا تحت شروط معلومة . وكان ريسهم برغاريتى قدوبخ مصطفى پاشا على نقض الشروط القديمة فلما ظفر به قبض عليه وعلى ثلثة من الضباط فامر بقتلهم امامه ثم امر بقطع انفه واذنيه . وفي خامس عشر ايلول (۱۵۷۱ م) رجع مصطفى پاشا من قبرس الى القسطنطينية وقد فقد من العساكر التي كانت معه نحو خمسين الف نفر *

وفي تلك الايام اتحدت مشيخة البندقية مع البابا وملك سبانيا

على الدولة العثمانية ، وخرجت عمارة من مسينا تسعة وسبعين مركبا وكان قايد الجيش دون جوان بن كارلوس الخامس ملك اسبانيا . واجتمعت مراكب البابا مع مراكب اسبانيا حتى كان يبلغ عددها فوق المايتين وارست على سواحل بلاد الارنبود . وما مضى الا برهة قليلة حتى حضرت عمارة الدولة ووقفت امام مراكب الافرنج مدة ايام بدون حرب . ثم امر قبطان باشا باطلاق مدفع علامة الحرب فاجابه مدفع من مراكب الافرنج واتصل بينهم ضرب المدافع نحو ساعة فقتل قبطان باشا وفقد من عسكره نحو ثلاثين الف نفر ومن المراكب مايتان واربعة وعشرون مركبا منها تكسر ومنها احترق . واخذت الافرنج منها اربعماية مدفع وثلثة الاف اسير ومهمات كثيرة غير ذلك . وقتل من عساكر الافرنج في تلك الوقعة ثمانية الاف منهم تسعة وعشرون رجلا من اشراف البندقية . وحينيذ رجعت العساكر الى القسطنطينية باربعين مركبا وهي التي سلمت من تلك العمارة . فكان عند الافرنج فرح عظيم بتلك الغلبة وصنعوا لها عيدا يعيدونه في اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الاول .

ولما بلغ السلطان ذلك غضب غضبا شديدا وامر بتجهيز عمارة عظيمة . وفي اثنا ذلك ارسلت مشيخة البندقية تطلب الصلح على شروط تعود الى شرف الدولة فصدر الامر بالقبول وتوقف الحرب . وفي تلك الايام كان حاكم البغدان قد اظهر العصيان وامتنع عن دفع الخراج المرتب لخزينة الدولة . فارسل اليه العساكر واخذوه اسيرا . ولما حضر امر بقطع راسه *

وبعد ذلك اصابت السلطان حمى شديدة فتوفي بها . وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول (سنة ١٥٧٤ م) الموافق

اليوم الرابع والعشرين من شهر شعبان (سنة ٩٨٢ هـ) وكان عمره خمسين سنة ومدة ملكه ثمان سنوات . وكان هذا السلطان منهمكا في شرب الخمر وسماع الغنا وحب النسا . واما الفتوحات التي حصلت في ايامه فكانت بتدبير وزيره محمد صقلي الذي كان متخلقا باخلاق ابيه السلطان سليمان *

السلطان مراد الثاني

وبعد وفاة السلطان سليم بتسعة ايام حضر ولده السلطان مراد الي القسطنطينية وجلس علي تخت المملكة مكان ابيه في اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الاول . وفي ذلك اليوم امر بقتل اخوته الخمسة وكان ابوه مدفونا في جامع ايا صوفيا فدفنوهم معه هناك وامر المشايخ ان يقراوا عليهم وفرق جانبا من المال على اليكشارية واطلق اربعماية اسير من النصارى وعزل جملة رجال من ارباب الدولة . ومنع الاسلام عن شرب الخمر فنهض عليه اليكشارية وقاوموه فابطل هذا المنع للتسكير ثم عزل اغة اليكشارية ووضع مكانه رجلا ايطالياني الاصل وجدد الشروط مع دول الافرنج *

وفي (سنة ١٥٧٦ م) مات شاه العجم مسموما وجلس ابنه مكانه فقتلوه يوم جلوسه وحدث من ذلك اضطرابات عظيمة في بلاد العجم ولما رات الدولة العثمانية ذلك اغتنمت الفرصة فارسلت العساكر الى نواحي تفليس . فتغلبوا على عسكر الاعجام وامتلكوا كرجستان وصدر الامر السلطاني ببناء قلعة الكرز لاجل حمايتها وجعلوا مشتى العساكر في ارض روم *

وفي (سنة ١٥٩٥ م) توفي السلطان مراد في اليوم السادس عشر من شهر كانون الثاني . وكان متوسط القامة خفيف اللحية اصفر اللون صغير العينين . وكان مشغوفا في حب النسا فكان عنده ما ينوف عن خمسماية جارية *

* السلطان محمد الثالث *

وبعد وفاة السلطان مراد باثني عشر يوما حضر ولده السلطان محمد من مانيزيا وجلس مكانه . وكان له تسعة عشر اخا فامر بقتلهم جميعا ودفنوهم الى جانب ابيهم . وكان عشر نساء حوامل من نساء ابيه فطرحهن في البحر وارسل يعلم جميع الدول بجلوسه . وكان يسلم اكثر القضايا والاحكام بيد امه صفية سلطانة التي كانت اخفت موت ابيه حتى عن الوزرا وارسلت تخبره عنه وتطلب حضوره من سانيزيا *

وفي تلك الايام حدث في القسطنطينية جوع عظيم فامر السلطان بطرد الروم من مملكته من غير مهلة للخيانة حصلت منهم وفي اثناء ذلك اجتمعت ترنسلفانيا والفلاخ والبغدان ومعهم ملك النمسا على محاربة الدولة وبعد وقعة عظيمة انكسرت عساكر الدولة ورجعت الى القسطنطينية * وفي الحال امر السلطان بقتل قايد الجيش فرهاد باشا واقام مكانه سينان باشا وكان عمره نحو ثمانين سنة وارسله الى القوم فكسروه ايضا كسرة هايلة بالقرب من نهر الطونا حيث كسروا الجسر وقتلوا اكثر عساكر الدولة التي كانت هناك . ثم كسروه كسرة اخرى في مكان اخر واخذوا منه مهمات ومدافع كثيرة . ثم اجتمعت عساكر الدولة فتملكت بترينيا واحرقت مدينة وتزن . ولما رجع سينان باشا امر السلطان بنفيه وبعد

برهة امر بارجاعه فاشار على السلطان ان يركب بنفسه مع الجيوش حسب عادة اسلافه وصدر الامر بتجهيز العساكر . وفي ذلك الوقت توفي سينان پاشا وترك اموالا جزيلة *

وفي اليوم الرابع والعشرين من شوال (سنة ١٠٠٤ هـ) الموافق للحادي والعشرين من حزيران (سنة ١٥٩٦ م) سافر السلطان الى بلاد المجر وحاصر مدينة ارلو. وبعد سبعة ايام افتتحها . غير ان عساكر ملك النمسا وملك ترنسلفانيا صدموا عساكر الدولة ووقع بينهم وقعة عظيمة فاستظهروا على عساكر الدولة وقتلوا منهم نحو الف نفر واخذوا اربعين مدفعا ونهبوا خيام السلطان الذي كان قد تحول عنها الى خيمة الوزير في الجانب الاخر وكان ذلك ناتجا من عدم تدابير ضباط العساكر وعدم معارفهم الحربية في ذلك الوقت . غير ان الوزير جنكالا لما راى جسارة الافرنج وجبانة عسكره وخيانة البعض منهم نهض حالا واخذ فرقة من العسكر انتخبها وهجم على الافرنج فاستظهر عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة فتشتتوا . وحينئذ انعم عليه السلطان برتبة وزير الصدارة عوض ابرهيم پاشا . ولكن بعد رجوع السلطان الى القسطنطينية نفى هذا الوزير واعاد ابرهيم پاشا الى رتبته *

وفي (سنة ١٥٩٨ م) نهضت عساكر المجر والنمسا واستولت علي قلعة رعب بالحيلة . واذ كان محافظ هذه القلعة لم يرد ان يسلم قبضوا عليه وقطعوه قطعا . وحينئذ ارسل السلطان جانبا من العساكر لمحاربتهم . وفي (سنة ١٦٠٣ م) وقع الحرب بين عساكر الدولة والعجم . وفي اثنا ذلك توفي السلطان وكان عمره سبعا وثلاثين سنة ومدة ملكه تسع سنين وشهرين وكان هذا السلطان يحب العلوم والصنايع وكان يشرب الافيون ويكره الخمر ولذلك صدر امره بابطال الخمارات وقصاص من

يتعاطى بها . وكان دايما يزيد فى الاموال السلطانية و يغير اسعار المعاملة وكان يامر بالعدل والاستقامة غيران المملكة ضعفت فى ايامه لاجل عدم طاعة العساكر و مخالفة القوانين التى وضعتها اسلافه *

السلطان احمد الاول المعروف بالقانونى

وبعد وفاة السلطان محمد جلس ولده السلطان احمد على تخت السلطنة وكان عمره ثلاث عشرة سنة وبعد استقراره على تخت المملكة اخذ في التجهيزات اللازمة لحرب الاعجام ولاسيما عند ما بلغه تقدم الشاه عباس لمحاصرة اريغان التى فتحها بعد مافقد من عساكره جانب عظيم واقيم حاكما عليها امير غون خان الذى استولى على جملة اماكن فى تلك الجهات واخذ قلعة القرص ووان . وبعد مضايقة طويلة رجعت العساكر العثمانية بعد ان فقد منهم جانب بالبرد والامراض فاشاروا على السلطان ان يخرج للحرب بنفسه . واذ كانت اهالى المجر تحت مظالم كثيرة من دولة النمسا ارادوا ان يدخلوا تحت حماية الدولة العثمانية فقبلهم السلطان بالكرامة والرغبة واقام عليهم رجلا منهم لقبه ملك المجر وارسل له تاجا وسنجقا وسيفا مرصعا واصحبه بالعساكر وارسله الى بلاده وبهذه الواسطة استرجع من النمسا البلدان التى كانت استولت عليها *

فركب من القسطنطينية فى شهر رجب (سنة ١٠١٤ ﻫ) وسار الى مدينة بورصة وهناك زار قبور سلاطين ال عثمان . غير انه بلغه قيام اليكشارية وهيجانهم في القسطنطينية فاقتضى رجوعه اليها *

وفي عشرة شعبان (سنة ١٠١٥ ﻫ) حصلت متاركة الحروب بين الدولة والملك اورد لف ملك النمسا تحت شروط وهى ان الخراج السنوى

الذي كانت تدفعه مملكة النمسا الى الدولة وقدره ثلثون الف دوكة يبطل ولكن ملك النمسا يلتزم ان يدفع مرة واحدة الى الدولة مايتين الف غرش وتحصل المساواة الكاملة بين السلطان وملك النمسا وان التحارير التي ترسل له تكون محتوية على الاعتبار والحب ككتابة اب لولده وانه يصير ارسال الالاچي من الطرفين وان السلطان من الان وصاعدا يلقب ملك النمسا بالقيصر الروماني عوضا عن لفظة قرال اى ملك *

وبعد ذلك توجه مراد پاشا الصدر الاعظم لقهر العصاة الذين كانوا قد اجتمعوا في جهة الاناضول وهم كلندر اوغلو وقره سعيد وكينالي وجمشيد وجان بولاد حاكم الاكراد والامير فخر الدين حاكم جبل لبنان ولما وصل مراد پاشا الى قونية قبض على اكثرهم وردمهم بالتراب وكان من جملتهم رجل يدعى احمد بك جلبه اليه وقال له ان مرادي اسير لمحاربة جان بولاد واريد ان اقيمك محافظا على قونية وانما اذا لزم لي اسعاف بماذا يمكنك ان تنجدني من العساكر اذا طلبت منك فقال له احمد بك بثلاثين الفا وربما اكثر فمدحه مراد پاشا على غيرته هذه وبعد خروجه من عنده قال في نفسه اذا ذهبت وتركت خلفي هذا الانسان الذي يمكنه ان يجمع ثلاثين الفا من العسكر في اقرب وقت فبلاشك يعصى في مدينة قونية ويكون الشر الاخير اعظم من الاول فبالحال امر بقتله والصدر الاعظم هذا ضرب باقي العصاة وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى انه بنى اهراما مرتفعة من روس القتلى وهرب جان بولاد الى حلب فطرده الاهالي ولحقوا بجماعته فقتلوا منهم نحو الف نفر وارسلوا روسهم الى مراد پاشا . واما الامير فخر الدين الذي كان في تلك المعركة فهرب بجماعته ثم رجع مراد پاشا الى القسطنطينية * وفي (سنة ١٠٢١ هـ) توجه مراد پاشا بالعساكر لمحاربة الاعجام فتسلم تبريز وهرب الشاه عباس الى جبال

صوداب وارسل الشاه يطلب من مراد باشا الصلح. فاجابه بشرط ان يذكروا السلطان فى خطبة جوامع بلاد العجم، وان الشاه يرجع الخسارة التى احدثها فى بلاد الدولة فيقدم للدولة سنويا مايتين حمل حرير فلم يقبلوا بذلك اولا ولكن بعد مدة قبل شاه العجم بذلك وطلب الصلح من الدولة *

وفى (سنة ١٠٢٠ هـ) توفى مراد باشا وكان رجلا جليلا شجيعا واقيم مكانه نصوح باشا الذى قتله السلطان من دسايس المفتى والقزلراغاسى واقيم محمد باشامكانه وكانت الاعجام تاخرت عن ارسال الحرير الذى تم عليه الصلح فصدر الامر بحربها فسار الصدر الاعظم محمد باشامن القسطنطينية فى ٢١ ربيع اول (سنة ١٠٢٤ هـ) فدخل حلب ومنها توجه الى نكشيڤان واستولوا عليها بعد اربعين يوم وحاصروا اريغان ونهفند ولكثرة الامطار والثلوج امتنع تقدم العساكر لانه فقد منهم جانب عظيم وبسبب ذلك عزل محمد باشا واقيم مكانه خليل قبطان باشا *

وفى (سنة ١٦١٦م) موافق (سنة ١٠٢٥ هـ) حضر الجى النمسا المسمى بارون هرمان الى القسطنطينية ولما خرج الى البر اخذوه الى منزله وكانت منشورة امامه بيارق وامامها الات الموزيقا وهذه الحادثة احدثت قلقا وغما عند الاسلام فى القسطنطينية ولئلا يحصل تشويش من الشعب فى المدينة صدر امر السلطان بالانتباه الكلى لذلك وارسل يطمن الالجية على حياتهم وامر ان تفتش بيوت النصارى حيث كانوا يزعمون انها مشحونة بالسلاح فمسكوا اربعة رهبان يسوعية وصدر الامر بحبسهم لانهم كانوا من جملة المحركين وطرحوا ريس الكبوشية فى البحر وفى برهة قليلة سكنت الفتنة *

ولما بلغ السلطان ما حل بالعساكر وتقدم الاعجام اخذ يتجهز للخروج الى الحرب بنفسه غير انه توفي بعد ذلك ببرهة يسيرة وذلك (سنة ١٠٢٦ هـ) وكان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة جلوسه اثنتى عشرة سنة . وكان هذا السلطان عادلا لكنه كان قصير الهمة وكان تحت حكم المفتي والقزلراغاسي وكان يفتكر بمقاصد حسنة ولكن لا يتجاسر على اتمامها لانه كان يفضل شهوات نفسه على نظام المملكة ولذلك ضعفت الدولة في ايامه . وكان يعتني بامر مكة والمدينة وانفق عليهما اموالا جزيلة وجلب منها ذخاير كثيرة للتبرك . وفي ايامه بنى جامع الاحمدية الذى له الست منارات وقد حسبوا نفقة بنا هذا الجامع فوجدوا ان كل اوقية من الحجر كلفت درهما من الفضة . وبنى ايضا بركة الطوبخانة وفي ايامه ابتدا شرب التبغ في القسطنطينية . وذلك ان اهل هولاندا جلبوه الى القسطنطينية (سنة ١٦٠٥ م) وعلموا العثمانيين شربه فتولعوا به ولعا شديدا . فاخرج المفتي امرا بابطاله ومن جرى ذلك هاج الشعب لانه لا يعد من المسكرات كما زعم المفتي . ولما جلس غيره ابطل تلك الفتوى خوفا من وقوع الفتنة

السلطان مصطفى الاول ابن السلطان محمد الثالث

وكان السلطان احمد لما حضرته الوفاة اوصى بتفويض الملك الى اخيه مصطفى لان ولده عثمان كان ابن ثلث عشرة سنة . فلما توفي احضروا اخاه واقاموه على تخت السلطنة . وكان هذا السلطان قد اقام اربع عشرة سنة في الملاهي بين النسا وكان ضعيف العقل فلم يقدر على التصرف بامور الملك . ولذلك عزلوه واقاموا مكانه ابن اخيه عثمان الذى مع صغر سنه كان انجب منه في سياسة المملكة . واما السلطان

مصطفى فحجروا عليه في مكانه الاول • ومن ذلك الوقت ترتيب العادة في سجن اخوة السلاطين وقتل الاولاد الذين يولدون لهم في مدة سجنهم

السلطان عثمان الثاني ابن السلطان احمد الاول

ولما جلس السلطان عثمان قام بحق الملك وسرت الناس بجلوسه وكان السلطان احمد قد اعد عساكر لمحاربة العجم فركب وزير الصدارة خليل پاشا بتلك العساكر حتى وصل الى ازدبيل فارسل عباس شاه يطلب الصلح على شروط موافقة للدولة فاجابه الى ذلك ورجع الى القسطنطينية وكان ذلك (سنة ١٦١٨ م) ثم عزله واقيم مكانه چلبي علي پاشا وهذا كان رومي الاصل وكان صاحب حيل بارعا في الحروب

وكان صاحب البغدان غرثياني قد القى الفتنة بين اهل بولونيا والدولة وحرضهم على العصاوة فارسلت لهم اسكندر پاشا فاستظهر عليهم وقتل منهم في سهل البغدان عشرين الفا ومسك عشرة الاف اسير فامر بقتلهم جميعا وقطع راس غرثياني الذي طغاهم على العصيان وارسله الى القسطنطينية والزم اهل بولونيا ان تدفع ماية الف دوكة مصروف الحرب وضاعف عليهم الخراج السنوي *

وكان الصدر مريضا بعلة حصاة المثانة فمات بها واقيم مكانه حسين پاشا اوخري الاصل الذي اشار على السلطان ان يفتح الحرب مع اهل بولونيا ويخرج بنفسه • وكانت اليكشارية تميل الى اخيه محمد فخاف انه اذا توجه في هذا السفر يقيمونه مكانه فامر بقتله ووضع جثته في جامع السلطان احمد لتنظره الناس • ثم امر بجمع العساكر لحرب بولونيا فساروا ومعهم عساكر التتر وبعد حرب شديدة دافعت بها اهل بولونيا في كوكيم

قوة عساكر الدولة مدافعة عظيمة فصدر الامر بعزل حسين باشا واقيم مكانه دلاور باشا وكانت اهل بولونيا ارسلت تستنجد بملوك الافرنج فانجدتهم دولة المسكوف وفرنسا والبابا والمجر والنمسا وبعد محاربة طويلة فقد من الطرفين نحو مايتا الف وعقدت شروط الصلح ورجع السلطان للقسطنطينية

وكان عند السلطان جارية اسمها ميليكليا كانت مسكوفية الاصل فقيرة الحال كانوا اختطفوها التتر ونظرا لحسنها وجمالها اهدوها الى الصدر الاعظم مراد باشا في ايام السلطان احمد الاول وبعد موت هذا الوزير قدمت الى مصطفى القزلراغاسي فاعتقها واذ كان السلطان يوما عند القزلراغا المذكور نظرها فوقعت عنده موقعا حسنا وطلب ان يسمح له بها فلم يقبل القزلراغا بذلك لمخالفة العادة وهو ان الجارية المعتوقة لا توهب ولا تباع واما السلطان فلم يلتفت الى كلامه بل اشتد غرامه بها واخذها فولدت له ولدا فزاد حبه لها ورفعها الى اعلى المراتب حتى جعلها اعظم نساء السراية واذ كان قد توفي ولده وخشي من انقطاع نسل ال عثمان عزم ان ياخذ لنفسه اربع نسا من كبار اعيان المدينة فتزوج ابنة پرتو پاشا . وبعد ذلك طلب ابنة المفتي واخذها . فاخذت العساكر وكبار المملكة يتذمرون من هذا الامر الذي ما حدث من اسلافه السلاطين لانهم اذا تزوجوا من بنات الاهالي تختلط سلالة العايلة الملوكية ولا تعود محصورة في طايفة واحدة . وكان يوميذ مزمعا على السفر للحج ولمحاربة الامير فخر الدين وكان ذلك براي خوجا عمر افندي مربي السلطان والقزلراغاسي المذكور فلما بلغ المفتي ذلك اخذ يقاوم عزم السلطان وتعصب معه جمهور غفير ليمنعوه عن قصده واخرجوا فتوى ان السلاطين لا يتكلفون للحج . فلما بلغ السلطان ذلك غضب غضبا شديدا ولم يلتفت الى كلام المفتي وامر ان تنصب خيام السفر في اسكودار *

فاخذ المفتي واصحابه يهيجون العساكر اليكشارية والصباهية قايلين
لهم ان السلطان يريد ان يتوجه الى سورية ليجمع عساكر من تلك
الاطراف و يقرض بها وجاقكم فلما بلغ ذلك هولا العساكر الذين كانوا
من دون سبب يقومون و يقتلون و يفعلون افعالا كثيرة تجمعوا فى فسحة
ات ميدان . فلما بلغ السلطان تجمعهم اخذ يسال العلما عن سبب
ذلك فقالوا له ان سفرك الى الحج واصغاك الى خوجا عمر افندى
والقزلراغاسى فى جميع اعمالك هو السبب لذلك . ولما اصبح الصباح
وكان ذلك فى ١٩ ايار (سنة ١٦٢٢ م) تجمعت اليكشارية والصباهية
فى الطرقات والشوارع وفي فسحة جامع السلطان محمد الثانى وارسلوا
رسلا الى العلما يطلبونهم للاجتماع لاجل المداولة . فجاوبت العلما بانهم لا
يحضرون ابدا جمعية هكذا غير منتظمة وغير مجتمعة فى مكان معلوم بل ان
شاؤا يوافوهم الى فسحة ات ميدان وهناك يتفاوضون . فتجمعت العساكر
وساروا الي ذلك المكان فوجدوا المفتي مع البعض من المشايخ واقفا في
ذلك المكان ينتظرهم . ولما تم ذلك اظهروا ورقة مكتوبا فيها اسما ستة
اشخاص يطلبون قتلهم وهم خوجا عمر مربي السلطان والقزلر اغاسي
سليمان . وصغبان باشا . ونصوح باشا . واحمد القيمقام . والخزندار
باكي . وفى الاخير يطلبون راس الصدر الاعظم ديلاور باشا

وبعد محادثة طويلة بين العساكر والعلماء توجه المفتى مع اصحابه العلماء
الى السراية ليعرضوا علي السلطان مطلوب العساكر فغضب السلطان من
ذلك ووبخ المفتى واصحابه *

وفى اثنا ذلك تقدم اليه الصدر الاعظم سابقا حسين باشا وانطرح
على اقدامه باكيا وقايلا ياسلطاننا المعظم ماذا نحسب نحن امام جلالتك
اذا كان العصاة يطلبون ايضا راسي حالا اقطعه واطرحه لهم فلا تفتكر

بنا بل افكر بصحتك فقط . فامر السلطان ان تحبس العلما والمفتي في
جنينة السراية رهنا • وكان البعض من العصاة يصرخون من خارج السراية
منتظرين خروج المفتي والعلما ولما طال الانتظار هجم البعض على السراية
حيث كان محبوسا السلطان مصطفى وبايديهم العصى والفوس وصعدوا
على حيطان السراية ومنها سقطوا على الجنينة الى ان وصلوا للمحل المحبوس
فيه السلطان مصطفى فلم يجدوا له بابا من جهة الجنينة فاخذوا يجمعون
من الحطب على جدران ذلك المكان . ثم صعد منهم ثلاثة الى اعلى القبة
وكسروا زجاجها وشعاريها وتدلوا بالحبال الى داخل المكان واخذوا
يفتشون على السلطان مصطفى فوجدوه في احد الحجر نايما على فراش
بال وعنده خادمان اخرسان جالسين امامه ومملوك يدعى درويش اغا . فلما
نظرهم ظن انهم يريدون قتله فمد لهم عنقه بكل خضوع • واما هم
فانطرحوا على اقدامه يقبلونها قايلين له ياسلطاننا عساكرك ينتظرونك
خارجا قم فانهض بنا • ورفعوا السلطان مصطفى وانزلوه الى فسحة
الجنينة وركبوه على حصان المفتي وساروا به الى جامعهم . واما المفتي والعلما
لعلمهم بعدم لياقة مصطفى للاحكام اشاروا على السلطان عثمان ان
يدخل الى الحريم وان يسلم للجمهور خوجا عمر افندى مربيه والصدر
الاعظم • ولما تاكد انه ما عاد يمكنه ان يحمى نفسه ويحميهم سلمهم الى
العساكر فقتلوهم وقطعوهم اربا . ثم رجعوا يصرخون حول السراية قايلين
يعيش السلطان مصطفى فخرجت اليهم العلما وقالت لهم ماذا تريدون
هاانتم قد حصلتم على مرغوبكم وغايتكم فاجابت العساكر نحن لانريد
الا السلطان مصطفى فرجعت تقول لهم العلما ياخواننا وارفاقنا ان
السلطان عثمان يسلم عليكم ويقول لكم هو قابل بكلما تقولونه واذا ما
رجعتم عن غايتكم توجبون الدولة الى اضرار بليغة فاجابت العساكر ان

هذا الكلام لانريد ان نسمعه ونحن لانريد غير السلطان مصطفى كما
يلزمكم انتم ايضا ان تعرفوه سلطانا عليكم فقالت . العلما كلا لايمكن
ذلك مادام السلطان عثمان جالسا على كرسي السلطنة يلزم جميعنا ان
نقدم له الطاعة المفروضة علينا . فهاجت اليكشارية من هذا الكلام
وهجموا على المفتى والعلما ليقتلوهم فمنعهم البعض منهم ومات البعض
من العلما خوفا . وحالا صعد المؤذنون الى المواذن يصرخون
ويعلمون الناس بجلوس السلطان مصطفى واخذوه مع العبدين والمملوك
درويش الذى كان بخدمته فى الحبس الى والدته فلما نظرته عانقته
وشكرت الله على مشاهدته وخلاصه من ايدى السلطان عثمان ووالدته
ماه فيروز . وكانت العساكر مضطربة لسبب عدم وجود السلطان عثمان وكان
البعض منهم يظن انه عبر الى اسكودار ليحضر بفرقة من اليكشارية الذين
كانوا يميلون اليه ويهجم بهم على السراية ليلا ويمنع جلوس السلطان مصطفى
على كرسي السلطنة . فخافت العساكر من ذلك واخذوا السلطان مصطفى
ووالدته حالا واتوا بهما الى جامعهم ليحموهما هنالك فى مدة الليل *

واما السلطان عثمان فمكث حتى اظلم الليل وانحدر الى شاطى البحر
حيث كان البعض من عساكر البستنجية ينتظرونه بالقايق ليعبروا به
الى اسكودار وقبل وصول السلطان اليهم ارتفعت ضجة العصاة خارج
حايط البستان فهرب الذين كانوا بانتظاره خوفا من العصاة ولما وصل
السلطان الى الشاطى لم يجد احدا فى تلك السفينة ليسعفه برفع مرساها
وتحريك مجاديفها فرجع الى سكانه واذا بالصدر الاعظم السابق حسين باشا
قابله وتحدث معه فى طريقة تنجيهما من ايدى اوليك الاشقيا فتم رايهما
على الخروج من السراية فهرب بحسين باشا المذكور من باب السراية
السرى وتخباء فى محل مرتفع فى جامع الامير الذى كان قريبا من قشلة

اليگشارية لكي يدبر امره معهم ويطلب اسعافهم وكان حسين پاشا
يتبعه ومعه اكياس من الذهب لكي يغر بها اليگشارية وفي وصوله الى
ذاك الجامع دعا اغة العساكر الذى كان مغموما باطنا من ضلال عساكره
وكان يميل الى السلطان عثمان . ولما حضر تمثل بين يديه وفوضه السلطان
ان يعطي خمسين ذهب دوكة لكل نفر من العساكر ونيشانا من الجوخ الاحمر
ويعدهم بزيادة ماهياتهم بشرط انهم يخلعوا السلطان مصطفى عن كرسي
السلطنة فتوجه الاغا المذكور ليلا وتكلم مع بعض الضباط فاظهروا له ميلهم
حسب مرغوبه وفي صبيحة تلك الليلة بعدما تجمعت اليگشارية في داخل
فسحة قشلتهم صعد ذلك الاغا على سلم من الحجر لكي يسمع كلامه
الجمهور غير ان البعض من الضباط الذين كان كلمهم ليلا خانوه واعلموا
بعض العساكر بما كان حدثهم به . واول ما ذكر اسم السلطان عثمان
صرخت عليه اليگشارية قايلين له انزل انزل واحاطوا به ومنعوه عن التكلم
ودفعه احدهم فرماه من اعلى الدرج الى اسفل ولما وصل بينهم انقضوا
عليه بسيوفهم المسلولة كالذياب الكاسرة وقطعوه اربا . ولما نظر
ذلك احد اتباعه المحبين له ذهب حالا الى المحل الذى كان مختفيا به
السلطان عثمان في وسط الجامع حيث كان يعلم مكانه واخبره بما جرى
وبينما كانوا يتاسفون على موته واذا بفرقة من اليگشارية توجهوا الى
اسكي سراى ليعلموا والدة السلطان مصطفى ببلادة ابنها وترجوها ان
تسمي من عندها صدرا اعظم يكون فيه اللياقة ليمسك عنان الاحكام
ويحمي المملكة فقالت لهم هل يوجد بينكم من يعرف الكتابة واذا بنفر
خرج من بين صف اليگشارية يقال له قره موسى وقال لها انا اعرف
القراة والكتابة فدعت داود پاشا صدرا اعظم ودرويش اغا وهو ذاك
المملوك الذى كان يخدم ابنها في مدة حبسه دعته امير اخور واما قره

موسى صاحب القلم فرفعته الى رتبة الوزارة ومن هناك توجهوا فقتلوا جميع الذين كانوا يظنون انهم اعدا اليگشارية وقالوا ان جميع الاحكام تيكون تحت ادارة ذلك الصدر الاعظم وان كبير اليگشارية يكون مساعدا له في الاحكام و يكون له الحكم المطلق لان السلطان مصطفى كان مستترا في السراية عن اعين الناس لا يعلم شيا من تدبير الاحكام *

واما هولا اليگشارية الذين قتلوا كبيرهم فاخذوا يفحصون عن مكان السلطان عثمان فاعلوهم بمكانه ولما دنوا منه وجدوه في مطبخ خراب متصل بذلك الجامع متخفيا تحت حصيرة قديمة لابسا اثوابا باليا وعلى راسه طربوش عوض العمامة فتقدم اليه احد اوليك العساكر والبسه عمامته متشفقا عليه . ثم تقدم اليه البعض من العساكر وجروه على الارض وطرحوه في ارض صحن الجامع بالشتايم والاهانة . ثم اتوا له بكديش عريان وكان ظهره مقرحا وركبوه عليه . واما حسين پاشا الذي كان مرافقه ومحمود كبير العساكر البستنجية فعندما شاهدا هذه الاهانة تعجبا من وقاحة هذه العساكر ولم يريدا ان يتركا السلطان وحده في سيره فهجم بعضهم على حسين پاشا لانه كان قد وبخهم في مدة حرب بولونيا الاخير وقطعوا راسه وطرحوه تحت ارجل ذلك الكديش الذي كان السلطان راكبا عليه فلما نظره السلطان تاسف عليه جدا لانه كان مرشدا ومدبرا *

ثم ان احد العساكر كان مشهورا بالقبايح والخصال الذميمة وكان تابعا السلطان عثمان في سيره على جانب حصانه فكان يمسك فخذ السلطان عثمان ويضغطه بين اصابعه حتى كان يتالم منه جدا وكان يقول لذلك العسكري الشقي ياردى اما تذكر انني البارح كنت مولاك وكنت تقدم لي الطاعة والخضوع . ولما اوصلوه الى الجامع الذي

يعرف باسمهم وكان السلطان مصطفى قد احضرته العساكر الى ذلك الجامع ايضا وضعوا السلطان عثمان في حجرة هنالك وكانت العساكر محيطة بتلك الجهات وكان صراخ وضجيج عظيم فبعضهم كان يصرخ يعيش السلطان مصطفى و بعضهم يشتم السلطان عثمان بكلام غليظ وكانت ساعة محزنة مخيفة حتى ان الشفقة والرحمة كانت تحرك قلوب اكثرهم وتنبههم للرجوع عن عزمهم الفاسد وافكارهم السية . ولما سمعوا صراخ الموذنين الذين يدعون الناس لصلاة الظهر ظنوا ان هذا الاذان هو علامة قتل السلطان عثمان فانقلبت وجوههم وتغيرت الوانهم وارادوا التوجه الى القشل لينهوا انتصارهم هذا الشنيع في قتل بعض الذوات الذين كانوا يمنعوهم عن ارتكاب المعاصي والسيآت وكان البعض منهم يصرخون باصوات عالية ويشيرون الى العساكر الذين كانوا محافظين السلطان عثمان ان لا يصنعوا به ادني اذية وان السلطان مصطفى يكون علينا الان سلطانا وتحفظ حياة السلطان عثمان للمستقبل فتقدم اليه الوزير داود باشا الذى كان وصل فى ذلك الوقت الى الحجرة المحبوس فيها السلطان عثمان ودفعه بيده الى الشباك لينظروه الصارخين وقال لهم ها هو باق حيا *

فهذا الكلام الغير المنتظر سماعه من أوليك العساكر فى حق السلطان عثمان قد سكن روعه وامل بالحيوة وتقدم الى الشباك واخذ يتكلم معهم قايلا ماذا تريدون ان تعملوا بسلطانكم من الذى يمسك لكم الاحكام ورفع تلك العمامة التي كانت على راسه وطرحها بعيدا عنه وكان باعين دامعة وبصوت منخفض قايلا لهم سامحوني اذا كنت اغظتكم . امس كنت سلطانكم واليوم اصبر عريانا اجعلوني مثلا لكم لانكم ايضا لابد ان تكابدوا مصايب هذا العالم وتحتاجوا الى الرحمة والشفقة *

ومن كلامه هذا رقت قلوب العساكر وكان في ذلك الوقت حضر
داود باشا وصعد الى الغرفة التي كان ماكثا فيها السلطان عثمان
وكان يريد ان يمنعه عن التكلم مع الشعب فكان يهجم على السلطان
مرارا عديدة واضعا يده على فمه ثم طرح الحبل في عنقه واراد ان يخنقه
غير ان السلطان الذى كان ناظرا اليه كالذبيحة امام الجلاد ادخل
كلتا يديه بين الحبل وعنقه ليمنع انقفال الحبل فانحلت عقدة الحبل وتاخر
موته في ذلك الوقت . اما روسا العساكر الذين كانوا حاضرين فصرخوا
على السياف ان يتوقف عن قتله في ذاك المكان وامام الناس لكون
ذلك مما يوجب المسولية عليه في موت السلطان لانه كان يظهر من
البعض عدم التسليم في قتله . واما داود باشا فكان يجتهد في تعجيل قتله
وتجليس السلطان مصطفى على تخت السلطنة وكان يشير الى السياف
بان لا يتوقف عن قتله واما السلطان فعندما لاحظ شدة رغبة الوزير في قتله
التفت الى هذا الشقي قايلا له ما هو ذنبي معك حتى تحرض عبيدى
على قتلي اما انتشلتك مرتين من الموت بكلمة واحدة عند ما كان الصدر
الاعظم يريد قتلك اما ارجعتك رغما عن ارباب الديوان جميعهم الى
الوظيفة التي كانوا نزعوها عنك فمن اين تولد بقلبك هذا الحقد الاليم علي
ولما نظرت والدة السلطان مصطفي التي كانت في الجهة المقابلة للمكان
الذي كان فيه السلطان عثمان عدم عزمهم على قتله صرخت عليهم
باعلى صوتها قايلة لا تصغوا الى كلام السلطان عثمان فانه اذا افلت من
ايديكم يهلككم عن اخركم . فداود باشا الذي كان يسمع صراخها اشار
الى السياف ان يقفل الحبل على عنق السلطان غير ان البعض من روسا
العساكر هجموا على ذلك السياف ووقفوه عن قتل السلطان ولما نظر
السلطان عثمان عملهم هذا اطمان على نفسه والتفت الى الاوضه

باشي وقال له من اقامك في هذه الوظيفة وكان السلطان عثمان يظن
بسواله هذا انه يتذكر الاوضه باشي انعامات السلطان عثمان عليه
واقامته في هذه الوظيفة فكان جوابه على خلاف ما يعهده السلطان
قايلا ان السلطان مصطفى قد رقاني الى هذه الوظيفة * فقال له افتح لي
هذا الشباك ودعني اتكلم قليلا مع عساكري وخدمي. ففتح له الشباك
الذي كان يشرف على قشلة العساكر اليكشارية وكان يظن بجديته مع هولا
العساكر ان يرق قلبهم عليه لاسباب كثيرة فنظر اليهم وقال ياروسا
عساكري امانتم الذين خدمتموني من صغرسني ودافعتم عني في
ميادين الحرب. فاذا كنت اصغيت وملت بطريق الغلط او لصغر السن
للذين كانوا يشيرون علي بعمل ما تشتكون منه فلماذا تذلوني
بهذا المقدار وتدوسون شرف السلطنة * فاذا كنتم لاتريدون ان اكون
سلطانا عليكم فاتنازل عن كرسي السلطنة بدون ان تجلبوا هذا العار على
دولة ال عثمان * فلما سمعوا منه هذا الكلام الذي يجرح القلوب الصخرية
اخذ البعض منهم بالبكا والضجيج صارخين السماح السماح عن هذا
السلطان ونقله من ذلك المكان الى السراية * وكانت والدة السلطان
مصطفى لما سمعت كلام السلطان عثمان وضجيج العساكر خرجت الى
رواق هناك واذا بولدها السلطان مصطفى اخذ بالبكا فكانت ترتعد
جميع مفاصله من الخوف * فرجعت اليه والدته تشجعه وتنشطه وانه
يترك تلك الحركات الصبيانية التي كانت لاجل تاكيد عدم اقتداره على
ضبط الملك امام اوليك العساكر . وبعد ما سكن روعه خرجت والدته
ثانيا فوقع مغميا عليه * فنبهوه الذين كانوا حوله وانما كان كلما سمع
صوتا من اوليك العساكر الذين كانوا مجتمعين خارجا فكان يضطرب
كالمجنون ظانا ان اصحاب السلطان عثمان يريدون ان يكسروا الابواب

ويهجموا عليه ليقتلوه فكان يعالج الشبابيك والشعارى التى كانت مجاورة
له ليكسر زجاجها ويسحب حديدها الذى كان غليظا بهذا المقدار غير
ان اصابعه تجرحت من تكسير زجاج الشبابيك قبل ان يصل الى الحديد
وكان جالسا على جانبيه جاريتان من السود كانتا ترجعانه الى مكانه
وتشجعانه على التجلد والصبر وكان البعض من العساكر الذين كانوا وقوفا
فى ذلك المحل وناظرين لتلك الحركات السخيفة يتاسفون عليه وتضطرب
افكارهم فى تسليم المملكة لمثل هذا الاحمق الساقط. ولما عاينت والدته تلك
الحركات الناشية من جهالته اسرعت اليه وضمته الى صدرها قايلة له لكى
تشجعه تعال الى يااسد الاسود وسكن روعك فانا موجودة امامك
ياولدى وباد شاهى تشجع وكن اهلا لشعبك ومملكتك انظر الى كيف انى
ثابتة القلب لا ارتجف نظيرك ماهذه الحركات السخيفة الغير معهودة فيك.
واما السلطان عثمان الذى كان فى الجهة الثانية امامه فكان يصنع جميع
الحركات التى كان يقرع بها قلوب اوليك العساكر لكى يتشفقوا عليه وكان
واقفا يحدث داود باشا والذين كانوا محيطين به لكى يقتلوه ويوبخهم على
اعمالهم هذه الشنيعة لاسيما عندما كان يتصور له الخراب الذى سوف يحصل
فى الدولة اذا كان يجلس السلطان مصطفى على كرسى السلطنة فكان كلام
السلطان عثمان وحركات السلطان مصطفى وصراخه واشارات والدته
الى العساكر قد توازعت ميل قلوب العساكر فيما بين هولا الثلثة. واما
ذلك اللئيم داود باشا الذى كان مجتهدا فى كل دقيقة ان يسلب حيوة
هذا السلطان فكان واقفا خلفه ينظر الى جموع تلك العساكر منتظرا
اذنى اشارة ليامر السياف باتمام مرغوبه الفاسد ثم التفت الى السياف
وامره ان يطرح البند بعنق السلطان عثمان ففعل كما امره الوزير انما
تقدم حالا الاوضه باشى وفك البند من عنق السلطان كما فعل سابقا

وطرحه بوجه الچاويشية الذين كانوا محيطين بالسلطان عثمان ليساعدوا
علي قتله . ولما نظر ذلك الوزير داود پاشا تلك الحركات وسكون
هيجان العساكر علي السلطان عثمان انسحب عنه خانيا واخذ في تحريك
البعض الذين كانوا يميلون له . وجمهور من العساكر ذهبوا بالسلطان
عثمان الى قشلتهم . واما البعض من اشقيا العساكر واسافل الشعب
الذين كانوا يتعصبون للسلطان مصطفى لغايات كالنهب والسبي ونحوهما
فوضعوا السلطان مصطفى في عربانة مع الجاريتين وذهبوا به الى السراية
وكانت الجموع تنظر من الطرفين الى تلك العربانة المكشوفة وجلوس
السلطان مصطفى متشجعا ومتجلدا مابين هاتيك الجاريتين . وكان
داود پاشا مجتهدا بعمل الدسايس والحيل ليشتت جموع العساكر
من قشلتهم وبعد ذلك يحصل على غايته الردية فارسل دسايس تقول لهم
انه يوجد خزاين من المال مكنونة في منزل اغتهم ولسخافة عقول اوليك
العساكر اثرت بهم تلك الدسايس فذهبوا بجموعهم ليملكوا تلك الكنوز
وكان في منزل ذاك الاغا الذى قتلوه اليگشارية اثنا عشر نفرا
مقسلحين بالسلاح الكامل قد دافعوا قوة اوليك العساكر ورجعوهم عن
المنزل ولما خاب املهم ساروا في الشوارع يسكرون و يحشون الى
الصباح ولما تمت دسايس ذلك الپاشا وتاكد ماهم عليه اليگشارية فى
تلك الليلة وتخليتهم القشلة والسلطان عثمان حضر اليها ليلا بالمشاعل
يريد نقل السلطان عثمان من ذلك المكان الى حبس اخر يليق بجلالته
فنقلوا ذلك السلطان الجليل الى حبس على اطراف المدينة معد لحبس
بعض الناس يقال له يدى قله اى سبعة ابراج فوضعوه هناك وقفلوا
عليه الابواب ورجعوا ليلا على ضو المشاعل الى اماكنهم فشاع الخبر بين
الجموع انه اذا كان السلطان مصطفى يبان غير اهل للحكم لايقتلوا

السلطان عثمان بل يرجعوه الى الاحكام نادما على ما فعله فلما بلغ داود
باشا ووالدة السلطان مصطفى هذا الخبر خافا من ان يقتلهما اذا رجع
الى الاحكام لكونهما كانا من اعظم اعدايه واكبر المحركين لقتله * ولما نظر
داود باشا ان الشعب قد تفرق وخلاله المكان دخل الحجرة التى كان
محبوسا فيها السلطان عثمان و بيده بند من الحرير وصحبته كبير الجبجية
واثنان من الجاويشية القادرين وارادوا ان يدخلوا البند فى عنقه * اما
السلطان عثمان الذى كان يبلغ من العمر حينيذ ثمانى عشرة سنة وكان
على جانب عظيم من القدرة فانه دافع زمانا طويلا عن حياته وكان
يسمع من تلك الحجرة صياحا عظيما وكان يومل بذلك ان الغفر
الذين كانوا يحرسون السبعة الابراج عند سماعهم هذا الصياح يسرعون
لانقاذه او ان الشعب عند استماعه صوته يكسر الابواب و يدخل فينجيه
من ايديهم * غير ان الغفر كانوا من جملة الخامرين فى قتله والشعب كان
غايبا * واخيرا اخذ كبير الجبجية البند وادخله بجهد عظيم فى عنق
السلطان عثمان وقفل العقدة * وكان داود باشا والاثنان الجاويشية
راكعين على صدره ماسكين يديه ورجليه . ومع هذا كله كانوا غير قادرين
ان يضبطوا ذلك الاسد . فحينيذ تكاثروا عليه وقبضوا على يديه و رجليه
وحينيذ صرخ السلطان صرخة عظيمة من شدة المضايقة التى حصلت
له * وفى ذلك الوقت شدوا ذلك البند على عنقه وخنقوه * و بعد
ذلك استل داود باشا المذكور خنجره وقطع اذن السلطان ولفها فى
محرمة من الحرير واحضرها الى والدة السلطان مصطفى لتكون
شاهدا على قتل السلطان عثمان وتنصيب ابنها السلطان مصطفى
على تخت الملك بدون منازع *

ولما جلس السلطان مصطفى ثانى مرة تاسفت العساكر على ابن

اخيه السلطان عثمان لماراوا من سوء تصرفه . وبعد جلوسه بيومين جمهرت
العساكر الصباهية امام سراية داود پاشا وزير الصدارة اذكان السلطان
مع والدته في ذلك اليوم عنده وصرخوا قايلين لماذا قتلت لنا السلطان
عثمان الذى سلمناك اياه واوصيناك بحفظه . فقال انى قتلته بامر
السلطان مصطفى سلطان العالم . فانصرفوا الى حين . ثم قاموا مرة ثانية
واجتمعوا فى الجامع الذى اخذ منه السلطان عثمان للقتل وكتبوا الى
السلطان مصطفى يسالونه ان كان هو الذى امر بقتل ابن اخيه ويطلبون
منه ان يبرءهم من هذا الذنب الذى ينسبه الشعب اليهم . فاجابهم انه
لم يامر بذلك اصلا وان داود پاشا قد كذب فى قوله واذا كان الذين
قتلوه مازالوا موجودين فليقتلوا . فلما سمعوا هذا الجواب اسرعوا الى داود
پاشا وكلندر اوغلى واخذوهم بجمهور غفير وحكموا على داود
پاشا بالقتل عن امر الديوان وارسلوه الى مكان القتل . وحينيذ اخذ
يعترض القوم فابرز خطا شريفا من السلطان مصطفى بقتل
السلطان عثمان . وكان السياف حينيذ قد هم بقطع راسه فتوقف وصرخ
الجمهور عليه من كل جانب فمنهم من كان يقول ارفع يدك ومنهم
من يقول اضرب . وفى اثنا هذا الاضطراب خطفت اليگشارية داود پاشا
واخذوه الى جامعهم ولقبوه وزير الصدارة . ولكن بعد ذلك تم راى
الديوان على قتل داود پاشا وجميع الذين اشتركوا فى قتل السلطان عثمان
فاخذوه الى السبعة ابراج وادخلوه الغرفة التى خنق فيها السلطان
عثمان وهناك سقوه كاس الحمام وبعد قتله هجموا عليه وقطعوه بسيوفهم
قطعا . ومن هناك ذهبوا يفتشون على الاشخاص الذين كانوا يتداخلون
في قتل السلطان عثمان فهجموا عليهم والحقوهم بداود پاشا واصحابه
ولما بلغ الاعدا ما حل بالسلطان عثمان ونظروا قصور

السلطان مصطفى تقدموا بعساكرهم واخذوا جملة بلاد فان العجم كانت
استولت على اكثر البلاد التى فتحها السلطان سليم كبغداد وبصرة واريفان
ونحو ذلك . فعزلوه وارسلوه الى دار الحريم وكان ذلك فى اليوم العشرين
من شهر اب (١٠٣٠ ه)

السلطان مراد الرابع الغازى ابن السلطان احمد الاول

ولما عزل السلطان مصطفى قام مكانه السلطان مراد ابن السلطان
احمد وكان عمره اذ ذاك خمس عشرة سنة ومع صغر سنه كان له عقل
ثاقب وراى سديد . وكانت تظهر عليه امارات الشجاعة وقوة القلب
فكان من اعظم ابطال ذلك الزمان وكان اسكندر الثانى في تلك الايام
ففرحت به رجال الدولة واستبشروا باصلاح الخراب والانشقاق اللذين
حصلا فى ايام جلوس السلطان مصطفى لان الدولة كانت فى اخطار
حروب داخلية شديدة بسبب قتل السلطان عثمان الثانى
وكانت مملكة فرنسا ايضا فى خطر عظيم بسبب قتل ملكها هنرى
الرابع *

وفى اليوم الثانى من جلوسه توجه الى جامع ايوب وتقلد بالسيف
حسب العادة . وكان وزيره كمانكش پاشا الشهير بجودة الراى والتدبير
واتفق انه فى اثنا جلوسه وقعت بغداد فى يد الاعجام ومحمد غراى
وشاهين غراى اللذان هما من خانات التتر حدثتهما انفسهما باظهار
العصاوة فجمعا من العساكر جانبا واقاما صاحب القرم الذى
اجلسته الدولة وقتلا الچى المسكوب اذ كان اتيا الى القسطنطينية
واخذا منه الهدايا التى كان محضرها للسلطان . وفرقة من

القزق تقدموا الى اطراف القسطنطينية ونهبوا بعض البلاد ٠ وابازا
باشا والى ديار بكر نشر بيارق العصاوة فى نواحى اسيا الصغرى وضرب
عساكر السلطان محمد وحلف انه سوف ينتقم من اليكشارية الذين كانوا
السبب فى قتل السلطان عثمان حتى انه كان عندما يقع فى يده نفر اوضابط
من اوليك العساكر كان يضع بين اكتافه فتيلا شاعلا ويربط يديه ويركبه
على بعير ويطوفه فى شوارع المدينة ويمشى امامه رجل يصرخ هذا
جزاء من يخون بسيك وكانت بغداد تحت محافظة رجل من طرف الدولة
يدعي بكر الصوباشى وكان قد اظهر العصاوة فارسلت الدولة جانبا من
العساكر لتاديب هذا العاصى تحت رياسة حافظ باشا ولما بلغه ذلك
كتب الى شاه العجم عباس ان يحضر لكى يسلمه بغداد فارسل شغاى
خان ومعه ثلثماية نفر ليتسلم مفاتيح المدينة وانعم على بكر بعمامة قزل باش
وقبل وصول الاعجام الى بغداد وصلت عساكر الدولة واقامت عليها
الحصار فارسل يطلب من حافظ باشا ان يلقبه بكلر بك لكى يطرد الاعجام
فلم يقبل حافظ باشا بذلك ٭

وفي اثنا ذلك وصل رسول العجم الى بغداد وارسل يقول لحافظ باشا
ان بكر صار يخص شاه العجم فاذا كنت تريد حفظ الصداقة بيننا فارحل
عن بغداد فغضب الوزير من كلامه هذا واجابه جوبا غليظا واشتبك
القتال بين عساكر الدولة والحاصرين . ولما راى حافظ باشا انه لايمكنه
فتح بغداد لانها كانت حصينة وتكاثرت بها عساكر الاعجام قام عنها
وذهب على طريق الموصل بعدان لقب بكر والى بغداد ولما راى بكر انه بلغ
غايته قتل جماعة الشاه واخذ العمامة التى كان اهداه اياها الشاه عباس
وداسها تحت رجليه وارسل رسولا الى حافظ باشا يشكر فضله على ذلك
واما الشاه عباس فلما بلغه مافعله بكر من الخيانة حضر بعساكر جرارة الى

تحت اسوار بغداد وارسل يطلب من بكر تسليم المدينة فاجابه انه لا يسلمها
ولا يقدر على فتحها اذا حصر الى حصارها عشرة شاهات نظير شاه العجم ، وامر
بكر باطلاق المدافع من الابراج على الاعجام واشتبك القتال بين الفريقين
وارسل بكر الى حافظ پاشا يعلمه بتقدم الاعجام و يستنجده فانجده بفرقة
من العساكر تحت راية كور حسين پاشا الذى عندما وصل الى قرب بغداد
نزل بعساكره فى محل يقال له قروان سراى ، ولما علم قايد عساكر العجم
بقدوم عساكر الدولة ارسل يطلب كور حسين ليتحادث معه فى امر الصلح
فذهب ومعه البعض من الضباط واذ كان اتيا في الطريق وثبت عليهم
جماعة من الاعجام كانوا كامنين لهم فى الطريق فقتلوهم و قدموا روسهم
الى الشاه عباس عوضا عما فعله بكر بقتله الاعجام الذين علق روسهم على
شرافات السور * ومكث الحصار على بغداد ثلثة اشهر وكانت الاهالى
تشكى من الجوع فخرج كثير منهم الى معسكر الاعجام *

وكان لبكر ولد يقال له محمد وكان يخلف اباه فى الخيانة ونقض
الذمام وكان هو المتسلم محافظة قلعة المدينة فارسل الشاه عباس يغره
بانه يلقبه حاكم بغداد عوض ابيه * فقبل وعد الشاه وفى الليلة الثانية
والعشرين من شهر تشرين الثانى (سنة ١٠٣٢ هـ) فتح ابواب القلعة
ليلا للاعجام فهجموا ودخلوا المدينة بضجة عظيمة * واذ كان بكر راقدا انتبه
منذعرا من ذلك الضجيج وصراخ الاعجام الذين كانوا يصرخون في
المواذن قايلين قد انتصر الشاه عباس على بغداد فلتطمان الاهالى
وتفتح الاسواق وترجع الناس الى اشغالها * وذهب منهم جماعة الى
منزل بكر وقبضوا عليه واتوا به الى الشاه * ولما وصل الى امامه راى ولده
جالسا الى جانب الشاه فاخذ يوبخ اباه على الخيانة التى
حصلت منه فى حق الشاه الذى امر بان تسلب جميع امواله وتعطى

اولاده ثم انهم اخذوه ووضعوه في قفص من حديد ووكلوا بحراسته ولده
الذى كان يتنعم امامه. وفى اليوم السابع طرحوا ذلك القفص الذى
فيه بكر فى موقد نار لكى يقرروه عن المكان الذى اخفى فيه امواله * ثم
اخذوا ذلك القفص ووضعوه فى قارب مشحون بالزفت والكبريت
واضرموا فيه النار ليلتهب فى وسط الدجلة امام الناس * وبسبب
الاختلاف الذى بين الاعجام واهل السنة حدث بين الاهالى والاعجام
قتال شديد حتى جرى الدم فى ازقة المدينة وكان فى بغداد خطيبان
شهيران احدهما يدعي نورى افندى والاخر عمر افندى فدعتهما الاعجام
بعد اخذ بغداد والزموهما ان يجدفا على عمر وعثمان فلم يقبلا بذلك
فعلقوهما فى نخلة هنالك واطلقوا عليهما الرصاص وماتا من ذلك *

واما الشاه عباس الذى كان قد وعد ابن بكر بالولاية مكان ابيه
فخاف من خيانته وارسله الى خراسان وهناك سقاه كاس الحمام * وبعد
ذلك اقام الشاه عباس مدة ايام في بغداد ثم سار بالعساكر لمحاربة حافظ
پاشا ونزل على الموصل واقام عليها الحصار. وحكى انه كانت امراة كردية
زوجة رجل من حراس القلعة نظرت في النهار رجلا من عساكر الاعجام
فاعجبها وتحدثت معه من احد منافذ السور ووعدته انها تفتح له باب
القلعة السرى لتدخل عساكر الاعجام الى المدينة ولما هجم الليل تقدمت
تلك الامراة لتفتح باب القلعة فوجدت رجلها مضطجعا هناك من
جملة الحراس فعمدت الى فاس كان هناك وارادت ان تهرس به
راسه وكان له كلب لا يفارقه فلما نظر حركات تلك الامراة
وثب عليها فوقعت على الارض واخذ بالنباح فانتبه زوجها واجتمعت
الحراس ولما تاكدوا ما كان من امرها قتلوها وخلصت المدينة والعساكر
بواسطة ذلك الكلب الذى قبره لم يزل موجودا فى احد خنادق الموصل

وكانت عساكر ابازا نحو ستين الفا من التركمان يتقدسون لمحاربة اليگشارية لكي ياخذوا ثار السلطان عثمان حتى انه كان يرسل الى اغوات العساكر ويتهددهم بالقصاص نظرا لخيانتهم في حق السلطان عثمان . وبعد ما حاربه حافظ پاشا مدة طويلة ولم ينجح رجع الى القسطنطينية . ثم عاد بجانب من العساكر نحو عشرين الف مقاتل الى ديار بكر ومنها الى بغداد ليخلصها من العجم وكان يومل اخذها في اقرب وقت واقام الحصار عليها ستة اشهر * ولما بلغ الشاه عباس ذلك تقدم اليها بعساكره وانتشب بينهم القتال . ولما نظرت اليگشارية تهاون كبير عساكر السباهية هجموا عليه وقطعوا رجليه . وبسبب طول مدة الحصار على بغداد تدمرت العساكر وقاموا على حافظ پاشا فعزلوه وحبسوه فى قلعة خارج بغداد واقاموا عليهم مراد پاشا . ثم عزلوه ورجعوا حافظ پاشا ثم قاموا عليه ايضا ليقتلوه فهرب منهم واحتمى فى محل يقال له قلعة الامام ولما بلغ الشاه عباس ماهم عليه توقف عن الصلح واجاب انه لا يصالح عسكرا منهزما فنهض حافظ پاشا بعساكره ورجع عن حصار بغداد وكان معهم مدفع يسمى مدفع سليمان من عجايب ذلك الزمان فعند رجوعهم عن بغداد ردموه بالرمل فى بعض الجهات ولما علم الشاه عباس بمكانه اخرجه وارسله الى مدينة اصفهان ثم انه سير جانبا من عساكره فى اثر حافظ پاشا ليضربوه فى الطريق واما حافظ پاشا فجمع عساكره وضرب الاعجام فكسرهم كسرة هايلة وقليل من رجع منهم الى بغداد فقام على مراد پاشا وقتله لانه كان السبب في جميع تلك الحركات ثم سار بجماعته الى الموصل واقام هناك مدة ثم حضرت له الاوامر ليتقدم الى حلب ويشتى هناك الى ان تاتي اليه نجدة من العساكر . وبعد مدة عزل حافظ پاشا واقيم مكانه خليل پاشا الذى سار بجانب من

العساكر الى مدينة حلب ليجتمع مع العساكر التى كانت مع حافظ باشا وبعد وصوله الى حلب ارسل يطلب حضور ابازا الذى كان يجمع اليه عساكر من اكثر الجهات. وكان فتح مدينة ارض روم وقتل من كان فيها من اليكشارية نحو عشرة الاف ولم يترك منهم الا رجلا واحدا ليذهب ويخبر فى القسطنطينية بما حل بهم *

ولما بلغ خليل باشا الذى كان فى حلب اعمال ابازا تقدم لحصار ارض روم و بعد مدة رجع عنها الى طوقات ليشتى هناك . وكان فى تلك المدة قد تلف جانب من العساكر بسبب البرد والتعب والحروب فتذمرت عليه العساكر وعزلوه واذ كان عايدا الى القسطنطينية توفى فى الطريق واقيم مكانه خسرو باشا فسار بالجيوش من القسطنطينية ونزل على حصار ارض روم . ولما نظر ابازا الذى كان محاصرا فيها قوة عساكر الدولة وعجزه عن المدافعة هرب وحاصر في القلعة فظفر به خسرو باشا واتي به الى القسطنطينية . ولما تمثل بين ايدى السلطان مدحه على غيرته فى حق الدولة وانعم عليه ودعاه والى بورصة *

واذ كانت العساكر تتاهب للذهاب الى محاربة الاعجام وصل الى القسطنطينية خبر موت الشاه عباس فسار خسرو باشا بماية وخمسين الف مقاتل الى مدينة حلب وكان فى اثنا طريقه يفعل افعالا قاسية من القتل وغيره . وحكي انه كان رجل يدعى ترمش بك حاكم مدينة قونية وكان ارنبودى الاصل نظير خسرو باشا وقد خدم الدولة فى كل ايام حياته خدامة صادقة . فكتب اليه خسرو باشا يقول له ارسل لى اموالك والا ارسل اقطع راسك فاجابه اذا كانت الساعة لم تحضر فتخويفك لى باطل واذا كنت تلطخ يديك بدمى الطاهر فتكون يدى كالطوق فى عنقك يوم الحساب وانا ابلغ

من العمر ثمانين سنة ولا اتاسف على موتي ولكن الخاين نظيرك الافضل ان يموت ٠ ولما بلغ خسرو پاشا كلامه ارسل فقتله وضبط امواله و بعد ذلك قتل ابا بكر الدفتردار وفرق ماله على العساكر وكان رجل من الاكراد يقال له الامير محمود دعاه خسرو پاشا اليه في احد الايام فاحتسب من ذلك ولبس درعا تحت اثوابه ولما حضر امام خسرو پاشا اخذ يوبخه بالشتايم ودعا السياف وامره بقتله فاستل الامير محمود سيفه وضربه به فاستتر بعمود الصيوان ودخل بينهما بعض اتباعه فقطع السيف يده ونصف العمود ولم يصل الى الباشا فهجمت الجنود وضربوا ذلك الكردي بالخناجر فالقوه قتيلا على الارض وانثنوا على جماعته الذين كانوا يحامون عن اميرهم وقطعوا روسهم وطرحوها علي الارض امام ذلك الوزير ٠ وكان خسرو پاشا يتقدم بالعساكر العثمانية الى بلاد الاعجام فاخرب سراية حصن باد وهمدان وجملة اماكن غيرهما ومن جرى ذلك هربت الاعجام امامه وحاصرت في مدينة بغداد وهم قد انكسرت عزايمهم بموت الشاه عباس فهجم عليها وبعد حصار ايام وفقد جانب من عساكره بدون نتيجة رجع عنها وقطع نهر الدجلة واخرب الجسر خلفه وعاد الى الموصل ثانيا بعد مسير ثلاثين يوما و بعد وصوله دعا روسا العساكر الى وليمة عنده * ولما دخلوا عليه قتلهم عن اخرهم زاعما انهم كانوا السبب في تلك الغلبة وارسل يطلب اربعين الفا من التتر من نواحي الكرم وجعل مشتاه في ماردين ٠

وكان الديوان في ذلك الوقت مشتغلا بمصلحة السوب والفلاق والبغدان مع النمسا بخصوص اقامة حاكم على المقاطعات الثلاث فارسلت الدولة تامر عساكر التتر الذين كانوا في الحرب مع بولونيا والمسكوب ان ترجع وتذهب الى اسعاف خسرو پاشا واذ تاخر

وصولهم اليه رجع الى حلب و بلغ الدولة سوء افعاله فصدر الار
بعزله واقيم مكانه حافظ پاشا فهاجت العساكر وعادت الى القسطنطينية
واجتمعوا فى فسحة ات ميدان واخذوا يطلبون قتل الذين كانوا السبب
في عزل خسرو پاشا وهم الصدر الاعظم والمفتى يحيى افندى والدفتردار
مصطفى افندى ونديم السلطان حسن افندى الذى كان اقيم من برهة قليلة
اغة اليكشارية وموسى چلبي وجميع ذلك كان ناتجا بسبب دسايس
داخلية *

وفى اثنا ذلك وقع فى يدهم الصدر الاعظم حافظ پاشا فقبضوا عليه
واتوا به الى السلطان وطلبوا منه ان يعزله فعزله . ثم رجعوا يطلبون
من السلطان روس بعض الوزرا فاخذ يوبخهم على عملهم هذا غير انهم
لم يزالوا يصرخون و يتهددون السلطان بالعزل . وكان حافظ پاشا
مستترا ورا ستار داخل القاعة الكبيرة التى كانوا مجتمعين فيها امام
السلطان . فلما راى اصرارهم على عزمهم الخبيث رفع ذلك الستار وخرج
الى وسطهم وسجد امام كرسى الجلالة الشاهانية . ثم نهض وقال ياايها
البادشاه العظيم يهلك الف عبد نظير عبدك حافظ ولا يسقط شعرة
من راسك او مسمار من كرسيك فاتضرع اليك بحق سلامة قلبك
وجلالتك ان تتركهم يقتلونى لكى اموت شهيدا ودمى المسفوك يسقط
على روسهم ولكن الطلب من احسانك الملوكى ان تامر بدفن جثتى
فى اسكودار . ثم انثنى وقبل الارض وقال بسم الله الذى لا اله الا
هو انا لله وانا اليه راجعون *

وبعد نهاية كلامه هذا تقدم بوجه بشوش وقلب منكسر الى امام
العساكر ليقتلوه وكانت ساعة محزنة فكان السلطان متاسفا علي هذا
العمل والواقفون يبكون بدموع غزيرة وروسهم منحنية الى الارض

والوزرا متعجبين من هذا الوزير الذى قدم ذاته ضحية *

وفى الحال هجم عليه البعض من العساكر وضربوه بالخناجر وطرحوه على الارض قتيلا . ثم جثا رجل من اليگشارية على جثة الوزير وقطع راسه ورفعه بيده علامة لهذا النصر الشنيع . ثم دعوا حسين اغا فقتلوه ايضا واما الدفتردار فهرب وارتضوا بعزل المفتى وسكن الاضطراب واما خسرو باشا الذى كان سبب كل هذه البلايا فكان ماكثا في مدينة قونية ينتظر نتيجة اعماله الخبيثة *

وكان قد صدر الامر الى مرتضى باشا ان يذهب بالعساكر واليا على ديار بكر وانه يقتل فى طريقه خسرو باشا وياخذ امواله غير ان خسرو كان يبلغه سريعا ما يحدث فى القسطنطينية فلما بلغه ذلك الخبر اخذ يتحصن في منزله مع جماعته *

ولما وصل مرتضى باشا الى قونية اعلم القضاة بامر السلطان واخذ يطلق المدافع على منزل خسرو باشا فجزع من ذلك وارسل اليه يقول له انه مطيع لاوامر السلطان ويلتمس منه ان يحضر الى منزله لينظر الفرمان وكان قد اخفى جماعته خلف حايط لكى يهجموا على الباشا المذكور وياخذوا منه الفرمان ويقتلوه فارسل له الفرمان مع رجل من اتباعه يقال له ذو الفقار ومعه جماعة ليقتلوه * ولما وصل ناوله الفرمان فقراه وقال حياتنا للسلطان ولكن اذا كان والى ديار بكر اصحب معه فرمانا من السلطان بقتلى فلماذا ما اظهره حالا وما هو المقتضى ان يضرب على منزلى القنابر كانى عاص على السلطان حاشاى من ذلك * وبعد كلامه هذا صلى وطلب بدموع غزيرة رحمة الله تعالى لا رحمة البشر وسلم نفسه للقتل فقتلوه واستولوا على امواله التى بلغت نحو مايتين الف

ذهب دوكة وارسلها مرتضى پاشا الى السلطان *

ولما وصل خبر هذا الوزير الى القسطنطينية هاجت العساكر وقاموا والزموا السلطان ان يقتل جملة اشخاص كانوا السبب فى قتله والا يعزلوه فدافعهم مدة طويلة ولم يقنعوا * فغاد البعض من اوليك الاشخاص قدم نفسه للقتل لكى يفدى السلطان وهم هجموا على الذين كانوا يطلبونهم فقتلوهم وعلقوهم فى شجرة فى ات ميدان وكانوا ينسبون هذه الحركات الى محمد پاشا الرومى والى والدة السلطان كوسم لانها كانت متفقة مع الوزير فى جميع الاعمال والتدابير * ثم امر السلطان بقتل رجب پاشا الصدر الاعظم وحلف انه سوف يقتل جميع المفسدين وجمع العساكر وحدثهم بخطاب ومواعظ عظيمة فعاهدوه انهم لايسمعون كلام المفسدين العصاة وانهم يكونون كل وقت تحت اوامر السلطان واثبتوا ذلك بالاقسام العظيمة *

و بعد ذلك امر حضرة السلطان بقتل كثيرين من اصحاب المفاسد من العساكر وغيرهم وطرحهم فى البحر فما كان يشاهد الا جثث وروس عايمة على وجه البحر ومن هذا العمل ارتدعت اصحاب المفاسد والغايات وانقطعت الموانع التى كانت توقف اوامر السلطان ثم صدر الامر بقتل محمد پاشا الرومى لانه كان من جملة المفسدين وكان الصدر الاعظم فى ذلك الوقت في حلب يستعد لضرب الاعجام والسلطان في القسطنطينية يتجهز لحربهم *

وكان فى تلك الايام الامير فخر الدين معن حاكما على جبل لبنان منذ ثلاثين سنة * وكان قد عاهد ملك توسكانا وسافر الى فيورنسا لكى يثبت هذا العهد بشخصه * وفضلا عن ذلك انه كان قد حارب العساكر السباهية التى كانت مع خسرو پاشا في دمشق

فنفرت الدولة منه وعزمت على تاديبه . فجردت عساكر كثيرة تحت رياسة كوشك احمد باشا والي دمشق . وفي تلك الايام كان قد حارب العساكر العثمانية بقرب المزاريب فكسرها . فتقدم الحاج فيروق اوغلي وضرب عساكره . وكان القايد الامير علي فقتل وتشتت عساكر الامير فخر الدين . وكان له عساكر في بلاد صفد فتوجه كوشك احمد باشا اليها فكسرها واضطر الامير فخر الدين ان يهرب ويختفي في مغاير نيحا وهي في اطراف الشوف من جبل لبنان . فحاصره احمد باشا هناك وجعل يحتال على فتح منفذ لتلك المغاير فصنع حراقات عظيمة على تلك الصخور الحاجزة وصار يصب الخل عليها حتى تفتتت وامكن فتح المنفذ منها فجعل يرسل الدخان من ذلك المنفذ الى الداخل وحينيذ التزم الامير فخر الدين ان يسلم . فاخذه احمد باشا الى القسطنطينية فعفا عنه السلطان ووضع ولديه وهما الامير مسعود والامير حسين في مكتب المماليك في غلطة سراى . واقام الامير فخر الدين مدة من الزمان فورد الخبر بان الامير ملحم معن ابن ابن الامير فخر الدين نهب مدينة بيروت وصيدا وصور وعكا وحارب عسكر احمد باشا والي دمشق فكسرها . فامر السلطان بقتل الامير فخر الدين فقطعوا راسه وعلقوه علي باب السراية وكتبوا فوقه هذا راس فخر الدين العاصى . ثم امر بقتل ولديه فقتلوا الامير مسعود واما الامير حسين فانه اختفى في اوض احد المماليك ولما ظهر عفا عنه ثم ارسل رسولا من طرف الدولة الى الهند *

وفي ٢٣ شباط (سنة ١٦٣٨ م) سار السلطان بالعساكر وكان لابسا لبس امرا العرب القدما وكان لجام حصانه من الحديد وكان على راسه خوذة من البولاد اللامع محاطة بشال احمر اطرافه مسدولة على اكتافه * و بعد ذلك بثلاثين يوما تقدم بماية الف مقاتل على

بغداد وفي اثنا الطريق مات وزيره بهرام باشا واقيم مكانه طيار
باشا والي الموصل وعندما كان السلطان مراد في الموصل حضر له الجي
من طرف صاحب الهند يهنيه بولد كان قد ولد له وكان معه هدية
ثمينة تساوي خمسين الف ذهب دوكة وترس متين جدا لا يوثر به
النشاب ولا يقطعه السيف مصنوع من اذان الفيل ومن جلد الكركدان
ولما تقدم الى السلطان اراد ان يجربه فضربه بالسيف فقطعه وارجعه
الى صاحبه مستخفا به * ولما وصلوا الى بغداد احاطوا باسوارها التي
كان محيطها عشرة الاف خطوة ونصبوا صيوان السلطان امام مزار الامام
الاعظم رضي الله عنه الكاين علي شاطي الدجلة وامر السلطان ان كل واحد
من روسا العساكر يتسلم جانبا من ابراج المدينة وكانت شجاعته
تزداد يوما فيوما ولما بلغ ذلك شاه العجم تقدم بعساكره لينجد
عساكر بغداد والتقى بعساكر الدولة على شاطي الدجلة وكان يوما
مهولا وتعيسا على الاعجام *

وفي اليوم الثاني هجمت العساكر على المدينة وكانوا يصعدون
على الاسوار من جميع الاطراف والنيران تتساقط عليهم من داخل
المدينة ومازالوا على ذلك حتى صعدوا الى اعلى الاسوار ونصبوا عليها
بيارق النصر واما ذلك البطل طيار باشا فاصابته رصاصة في دماغه
فرمته على السور قتيلا *

ولما بلغ السلطان ماحل بطيار باشا تاسف عليه جدا واقام مكانه
مصطفى باشا وتعاظم ضرب الكلل على الابراج فخرقت مدافع العثمانيين
الابراج التي على داير سور بغداد وكانت مايتي برج ومن جرى ذلك
انهزمت الاعجام وتجمعت في المدينة ولما دخلتها عساكر الدولة ذبحت
في عساكر الاعجام مذبحة عظيمة وبعد ذلك اتوا اليه بمفاتيح المدينة

على صحن من الذهب وكانت العساكر العثمانية مشتغلة بذبح الاعجام
الذين تجمعوا وحاصروا فى برج الظلام فاطلقوا عليهم المدافع وهدموا
ذلك البرج وكان الذى قتل فى تلك المعركة خمسين الفا من الاعجام
وبقى منهم ثلاثون الفا طرح البعض منهم نفسه في نهر بغداد والبعض
تشتتوا فى القفار وامر السلطان بقتل كل من يخفى عنده رجلا عجميا
فجمعوا منهم بعد ذلك الف رجل واتوا بهم الى امام السلطان فامر
بقتلهم عن اخرهم وكان الذى فقد من عساكر الدولة نحو عشرة الاف
وبعد ذلك رجع السلطان مراد تاركا فى بغداد عشرة الاف من
العساكر لمحافظتها واقام عليها واليا حسن باشا الصغير اغة اليگشرية
وبعد ذلك ارسل السلطان مراد كتابا الى شاه العجم يقول له
اذا كنت رجلا فاظهر نفسك لانه لاينبغى للذين يتامرون بظل الحيطان
يستترون والذى يخاف من ركوب الخيل القوادم لا يعلو عليها ولا
يصادم والذى يندهش من نظر الفولاذ الالمع لا يحمل السيف ولا
يطمع والذى قد كتب من الازل لابد من وقوعه *
وكان دخول السلطان مراد الى القسطنطينية باحتفال عظيم وكان
معه خمسون من خانات العجم مقيدين بالسلاسل وكان حاملا بيده
حزمة من الاسلحة واكتافه مغطاة بجلد نمر كما كان يفعل اسكندر عندما
فتح مدينة بابل * وكان اهل المدينة جميعهم عند مرور هذا السلطان
العظيم الشان واقفين وروسهم مطرقة الى الارض *
وبعد رجوعه ببرهة مرض لسبب ما كابده من الاتعاب والمشقات
في تلك الفتوحات وعندما كان فى شدة بحران المرض امر بقتل اخيه
ابرهيم الاخير من اخوته فخفته امه تحت حمايتها وقالت للسلطان
مراد ان الامر قد نفذ وقتل السلطان ابرهيم فطلب ان ينظر جثته

فقال له الطبيب ان منظرا مثل هذا انما يقوى المرض ولم يمكث بعد ذلك الا قليلا حتى توفي رحمه الله تعالى وكان ذلك في تاسع شباط (سنة ١٦٤٠ م) الموافق لسادس عشر شوال (سنة ١٠٤٩ ﻫ) وكان عمره ٢٩ سنة ومدة ملكه ١٧ سنة وكان مهيبا وقورا انيس المحاضرة وهو من اعظم ملوك ال عثمان وكان يحب البذخ فكانت معالف الخيل من الفضة الخالصة والسلاسل والارسان من الفضة ايضا وكان عنده من الخيل لمركوبه نحو ثمانماية حصان من جياد الخيل وكان عنده ثمانماية من الخيل لاجل حمل امتعته وقت السفر وخمسماية جمل لنقل امتعة دايرته وستماية لحمل خزينة مصروف الحرب وثمانماية بغل لشيل الخيام وكل واحد من مماليك السراية كان له ثلاثون فرسا من جياد الخيل وغير ذلك مما يطول شرحه *

السلطان ابرهيم ابن السلطان احمد خان الاول

واذ كان السلطان مراد الرابع لم يترك ولدا كان حق السلطنة لاخيه ابرهيم الذى كان قد بقي من نسل ال عثمان * فلما توفي السلطان مراد اسرعت كبار المملكة الى الحبس لتخبر اخاه بذلك وكان عمره عشرين سنة * ولما علم بقدومهم خاف خوفا عظيما لظنه انهم يريدون ان يقتلوه فلم يفتح لهم الباب ولم يصدق كلامهم الذى كانوا يخبرونه به عن موت اخيه ويطمنونه على سلامته فاضطروا اخيرا ان يكسروا الباب ودخلوا اليه وجعلوا يهنونه بالملك * واما هو فكان لم يزل خايفا من ان تكون حيلة من اخيه لكي يكشف ضميره فرفض قبول الملك قايلا انه يفضل هذه الوحدة على ملك الدنيا * واخيرا

لما عجزوا عن اقناعه حضرت امه واحضرت جثة اخيه سراد برهانا على
موته * فلما راى ذلك سكن روعه واطمان وجلس حالا واخذ يتكلم
بما كان فى نفسه وقال لان تخلصت المملكة من سفك الدما
ثم امر بدفن جثة اخيه بكل اكرام واحتفال وقاد امامه ثلثة افراس
من الخيل التى كان يركبها في حرب بغداد وعليها السروج المقلوبة
حسب عوايد ملوك العجم الاقدمين . وكانت هية السلطان ابرهيم لا
تعجب الناظرين لانه كان مشوها بالجدري وكان لا يعرف ان يركب
الخيل لعدم اعتياده على ذلك بسبب اقامته فى الحبس فانزلوه فى
قايق ومضوا به الى جامع ايوب وقلدوه بالسيف ونادوا له بالخلافة
وكان مع العيوب التي في جسمه ضعيف الراى جبانا فسلم الاحكام
الى امه و وزير الصدارة قره مصطفى پاشا وانهمك فى لذة
الشهوات . وكان عنده الف وخمسماية سرية وكان يقسم على
نسايه مداخيل الولايات حتي انه كان يخصص لكل منهن ولاية
تتصرف بمداخيلها وكان كثير البذخ والاسراف محبا للملاهى *

وفى (١٠٥٢) حضر له رسول من طرف شاه العجم يعلمه بجلوس
الشاه عباس الثانى الذى قتل اباه شاه صافى وجلس مكانه . وفيها
ولد له ولدان وهما محمد وسليمان و بذلك خاب امل التتر الذين
كانوا يوملون انه بعد موت السلطان ابرهيم تنقطع سلالة ال عثمان
و يصير حق السلطنة لهم *

و بعد جلوسه بسنتين سير سياوش پاشا وحسين پاشا بالعساكر
لمحاربة القزق ولم ينجحوا ثم عاد فارسل عساكر تحت راية سلطان
زاده محمد پاشا ومحمد غراى خان التتر وحاصروا ازوف ولما تضايق
اهلها احرقوا المدينة وانهزموا فدخلتها العساكر العثمانية وجددتها

واقامت فيها جانبا من العساكر للمحافظة *

وفي شهر ربيع الاول (سنة ١٠٥٥هـ) الموافق (سنة ١٦٤٥م) ارسلت الدولة عمارة بحرية نحو اربعماية مركب لمحاربة جزيرة كريد بماية الف مقاتل وسبب ذلك ان مراكب مالطة كانت قد تعدت علي بعض من مراكب الدولة ثم ذهبت فاحتمت عند مشيخة البندقية في كريد * ولما وصلت العمارة الى جزيرة كريد اقامت الحصار على مدينة قندى التى هى من اعظم مدن هذه الجزيرة وفي اقرب وقت استولوا عليها وجعلوا كنايسها جوامع ورجعت العمارة الى القسطنطينية وكانوا تركوا فيها جانبا من العساكر فارسلت لهم مشيخة البندقية عمارة وعساكر فاستولوا على ما كان وقع بايدى العساكر العثمانية واستاسروا جانبا منهم فغضب السلطان من هذا الامر وامر بقتل جميع النصارى الذين في المدينة ولكن حضرة شيخ الاسلام ابوسعيد افندى قد وقفه عن هذا العمل ولطف ماعنده *

وفي صفر (سنة ١٠٥٦) سار السرعسكر سلطان زاده محمد باشا بالعساكر والعمارة تحت راية موسى قبطان باشي لمحاربة البندقية وبعد ان قهروهم واخذوا منهم جملة اماكن توفي السرعسكر واقيم مكانه صالح باشا غير ان اهل البندقية حاصروا في قلعة هناك ومكثوا يحمونها مدة خمس وعشرين سنة الى ايام السلطان محمد الرابع الذى ارسل اليها وزيره كوبرلي باشا ففتحها وكانت عساكر النمسا تحارب جانبا من عساكر الدولة في جهة دلماثيا. وفي مدة هذه الحروب كان السلطان ابرهيم منهمكا في اللذات والتنعمات وكان يصرف مبالغ باهظة حتي انه امر ان يصنع قايق مرصع بحجارة الماس *

واذ كانت سياسة هذا السلطان غير مرضية واعماله مكروهة عند

الجمهور كرهته الناس وارادوا ان يعزلوه ويقيموا مكانه احد اولاده
ويقتلوا وزيره احمد باشا الذى كان يريد ان يمنع ذلك * فارسل
يلاطفهم السلطان ويسكن غضبهم فاجابوه انهم لايقبلونه مالم يهجر
النسا ويقتل الصدر الاعظم احمد باشا * فلما بلغ الوزير ذلك هرب
واختفى فى بعض البيوت فعلموا بمكانه واخرجوه من هناك الى خارج
المدينة وقتلوه وطرحوا جثته فى ات ميدان امام الناس وضبطوا امواله
للخزينة * ثم طلبوا حضور السلطان فلم يحضر ونزلت امه الى مجتمع
العساكر وطلبت منهم ان يعفوا عن عزله فلم يقبلوا فاحضرت ابنه
الاكبر محمد الرابع فقبلوه ونادوا باسمه ووضعوا اباه فى السجن * و بعد
عشرة ايام تشكت عساكر السباهية الذين كانوا نظير الكشارية فى
الاقتدار من عزل السلطان ابرهيم واقامة صبى ملكا عليهم وطلبوا
رجوع السلطان ابرهيم * فخافت اكابر الدولة الذين سعوا فى
حبسه انه اذا رجع سلطانا ينتقم منهم فعولوا على قتله وفى الثامن
والعشرين من رجب (سنة ١٠٥٣ ھ) توجهوا الى السراية ومعهم
قره على السياف * فلما دخلوا على السلطان امروا السياف بقتله
فلم يتجاسر ان يرفع يده عليه * ثم انطرح على اقدام الوزير وتوسل
ان يقتله ولا يلزمه بهذا العمل الفظيع * فضربه الوزير بالعصا على
راسه ودخل به الى الحبس * فلما راهم السلطان نهض بخوف شديد
وقال ماذا تريدون منى الست انا سلطانكم فاجابوه كلا لانعرفك
لكونك لاتتبع اثار اجدادك العظام وقد خرقت ناموس الشريعة
وخربت المملكة وضيعت زمانك فى البدع واللذات * وكانوا الذين
يريدون قتله سالوا المفتى وهل يجوز قتل السلطان الذى يبيع الوظايف
بالمال عوضا عن ان يعطيها الى اناس يستحقونها فافتاهم بقتله . وفى

ذلك الوقت حضر اليه اغة اليكشارية ووزير الصدارة محمد پاشا والمفتى واعلموه بانه قد حكم عليه بالموت فقال لهم ياملاعين تريدون قتلى تعالوا الى ياعساكرى فلم يجبه احد فقال اما يوجد بين الذين اكلوا خبزى احد يشفق علي ويحميني من هولا القساة الذين يريدون قتلى * ثم التفت الى المفتى وقال له انظر ياعبد الرحيم ان يوسف پاشا كان اشار على بقتلك وانا لم ارد ان اقتلك وانت الان تريد ان تقتلنى فلم يلتفت احد الى كلامه ولكنهم هجموا عليه وقتلوه مكانه ودفنوه في تربة السلطان مصطفى وكان يوميذ ابن تسع وعشرين سنة وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة اشهر *

وكان هذا السلطان كثير الشهوات منهمكا فى اللذات يقضى ايامه فى دار الحريم ولا يلتفت الى سياسة الاحكام وكان يكثر من استعمال حب العنبر مشروبا ومشموما لاجل تقوية الاعصاب . فلما طال عليه الزمان حتى وقع في دا الصرع والمراقية * وكانت رجال الدولة في ايامه غارقة فى بحر التنعم واللذات وتاركة المهمات السياسية نظيره ولذلك تقهقرت امور الدولة فى تلك الايام ولو لم يداركه الموت لكانت الدولة التزمت الى خساير كثيرة وحصلت فى حالة لم يومل بها فسبحان اللطيف الخبير *

السلطان محمد الرابع ابن السلطان ابرهيم

وبعد وفاة السلطان ابرهيم خلفه ولده السلطان محمد على تخت المملكة وكان عمره يوميذ سبع سنوات وكانت جدته كوسم سلطان

تتلاعب بالاحكام فاشار عليه بعض مدبريه بقتلها وكان يوما عظيما
واضطرابا شديدا في المدينة من العساكر لسبب قتل كوسم سلطان
وكانت غنية جدا حتى انه وجد في حجرتها بعد موتها عشرون صندوقا
من الذهب البندقي وثلثماية شال من افخر ما يكون في تلك الايام
ووجد ايضا علب كثيرة كبيرة من الذهب منقوشة بانواع المينا الظريفة
وكانت تلك العلب مملوة من المجوهرات الثمينة النادرة الوجود من
الزمرد والماس والياقوت * وامر بقتل الصدر الاعظم قره مراد باشا
لانه كان قد طلب التنازل عن وظيفة الصدارة وكان يتداخل في تحريك
الاحكام واقام مكانه ملاك حسن باشا الشهير في حسن التعقل
والتدبير *

وبعد قليل امر بقتله واقام مكانه سياوش باشا . واما سليمان
الطواشي الذي قتل بيده كوسم سلطان فارتقى الى رتبة القزلراغا
وصار صاحب البند والعلم داخل السراية وكان سياوش باشا الصدر
الاعظم يريد ان ينزع التامر من ذلك الطواشي فصدر الامر بعزله
عن منصبه واخذ جميع امواله الى الخزينة ونفوه من القسطنطينية واقيم
مكانه كورجي محمد باشا وكان عمره خمسا وتسعين سنة لا يقدر على
اتمام وظيفته . فاهمال هذا الوزير وغباوة وغايات سليمان الطواشي اجتمعوا
سوية على تاخير نجاح امور المملكة * وكان هذا الوزير يبعد عن المملكة
جميع من كان يعلم ان فيه اللياقة للوزارة مكانه *

وفي اثناء ذلك كان رجل في القسطنطينية من الدراويش يدعى صاشلي
محمد قد اخذ يهيج العساكر زاعما انه يريد ياخذ بثار كوسم سلطان
فصدر امر السلطان بعزله ونفيه من المملكة *

وكان اباظا حسين قد اظهر العصاوة في جهة الاناضول وحيدر اوغلو

جمع جانبا من العساكر فكان ينهب القوافل و يقطع اذان وانوف اليكشاوية الذين كانوا يقعون في يده فامرت الدولة والي الاناضول بالقبض عليه فمسكه وارسله الى القسطنطينية و بعد وصوله صدر الامر بعذابه وقتله ليكون عبرة لامثاله *

وفي (سنة ١٠٦٢) عزل محمد باشا واقيم مكانه طرخونجي احمد باشا وفوض اليه تدبير الاحكام فاخذ يرتب امور المملكة * ولما نظر الطواشي سليمان ان زمانه قد عبر وكلامه لايعتبر طلب التنازل فنفوه الى مصر *

وفي (سنة ١٠٦٣) حصلت زلزلة قوية جدا مكثت اربعين يوما واخربت في جهة اسيا في بلاد الدولة العلية بلادا كثيرة حتى انه خرج في بعض الجهات ينابيع ما اسود *

وفي (سنة ١٠٦٤) ضربت عمارة الدولة عمارة مشيخة البندقية فانتصرت عليهم نصرة عظيمة وفقد منهم خمسة الاف وغرق اكثر مراكبهم واحترق ما بقي منها . ثم رجعت العساكر الى القسطنطينية رافعة بيارق النصر مع عدد وافر من الاسرى *

واذ كان في تلك الايام قد تاخر دفع الماهية الى العساكر قاموا وتجمعوا في فسحة ات ميدان واحدثوا شغبا عظيما في المدينة . فارسل السلطان بعضا من العلما والوزرا يستفهمون منهم عن سبب اضطرابهم هذا فقالوا نطلب جمعية بحضور السلطان . فاراد البعض من دولا الرسل ان يعترضوهم في ذلك فقتلوهم ورضي السلطان ان يحضر في تلك الجمعية . والعادة ان السلطان عندما يحضر الى ديوان الاجتماع يمكث في غرفة صغيرة مرتفعة ينظر الى ذلك الديوان من شباك عليه شعرية مذهبة ولما اجتمعت الجموع طلبوا فتح تلك الشعرية فتنازل السلطان وظهر

لهم وكان واقف خلفه المفتى وشيخ الاسلام والصدر الاعظم والقزلراغاسى وهو طواشى الحريم وقبواغاسى وهو كبير المماليك . فطلبوا ان هولا الاشخاص يرجعون الى الورا وان المفتى والصدر الاعظم يتباعدان والباقى يمكثون ورا الشباك قرب السلطان لكى يعرضوا عليه اجوبتهم وفى الحال اخرجوا ورقة مكتوبا فيها اسما بعض اشخاص يطلبون قصاصهم . ولما اخذ الوزير فى قراة الورقة صرخت عليه العساكر قايلين له نحن لانريدك * واما السلطان فلكى يسكن اضطرابهم وسجسهم امر بقتل القزلراغاسى وكبير المماليك فقتلوهما وطرحوهما الى العساكر الذين علقوهما مع ستة اشخاص اخرين بشجرة دلب فى ات ميدان

وفى ذلك النهار اقيم سورنازان مصطفى پاشا صدرا اعظم ثم عزل بعد اربع ساعات بموجب طلب اليكشارية والسباهية واقيم سياوش پاشا ثانيا . واستقامت هذه الاضطرابات فى القسطنطينية من ذى القعدة الى جماذى الاولى وبعد اربعين يوما مات الصدر الاعظم وارسل فرمان الصدارة الى محمد پاشا والى سورية المعروف بوينى اكرى محمد پاشا وذلك (سنة ١٠٦٦) *

وفيها اى فى (سنة ١٦٥٦ م) فى شهر تموز دخل ريس عمارة البندقية بمراكبه الى چناق قلعة وضرب عمارة الدولة على غفلة فتغلب عليها وبعد ذلك استولى على بعض جزاير فى البحر الابيض من حكم الدولة *

وفى اوايل خلافة هذا السلطان العظيم كانت الدولة فى اختلال شديد فكانت الاضطرابات والاخطار تلاطمها من جميع الجهات . فكانت من جهة مشتغلة ومهتمة فى دفع عساكر الاعدا الذين عندما شاهدوا الاختلال الواقع فى تقهقر امور المملكة واشتغالها بالحروب

الداخلية التى كانت تزعج الدولة وتوخر امورها اخذهم الطمع وقاموا
بالحركات والفتن . فكانت الدولة من جهة مجتهدة فى ارسال العساكر
لفتح جزيرة كريد وكانت عمارة الاعدا قافلة بوغاز چنق قلعة لاتسمح
لمراكب الدولة بالخروج الى البحر الابيض بل كانت تخوض جهات
هذا البحر وتوصل الامداد الى جزيرة كريد . ومن جهة اخرى
كانت العساكر غير منقادة ولا مطيعة لاصحاب الامور وكانت الخزينة
خالية من الاموال . فمن جرى هذه الاحوال كانت الدولة في حيرة
ودهشة لا تحد * ومع ان هذا السلطان كان صغيرا في السن اخذ
يتامل فى الحالة الحاصلة عليها الدولة فاخذ فى الفحص والتدقيق
مدة ثمان سنين على انسان فيه اللياقة الكافية * فاخبروه برجل من
المامورين يدعى كوبرلى محمد فارسل يطلبه * ولما حضر وتمثل بالحضرة
الشاهانية واعلمه ما بفكره اجاب انه يقبل بذلك اذا كان السلطان يفوضه
بمعاطاة الاحكام من دون معارضة فاجابه السلطان الى ذلك * ولما تقلد
رتبة الوزارة وتفوض بتدبير امور الجمهور اخذ فى ترتيب وتحسين الامور
وازالة الموانع الردية والعوايق السيئة التى كانت قريبة ان تفسد
افكار رجال الدولة * واخذ يجتهد فى جمع الاموال الى الخزينة الملوكية
وتعويض ما فقدته في الايام الماضية حتي انه فى اقرب وقت رجع
الى الدولة رونقها القديم * فكان من جهة مشتغلا بالتدابير الحكمية
فى تحسين الدولة العلية * ومن جهة فى تقوية العساكر الشاهانية
والانتقام من الاعدا برا وبحرا * حتى انه في مدة خمس سنين ارجع
الى الدولة رونقها الاول * وقيل انه لم يجلس وزير ذو تدبير مثل هذا
الوزير وكان شجاعا ذا رى وحزم فى تدبير الاحكام فكان محمودا لسيرة
فى جميع اعماله حتى انه نظم امور المملكة وضبط الاحكام وقهر الجر

والفرق وطيع العصاة من اهل الفساد وجعل الجميع يهابونه . ولما نظر
السلطان حسن تعقله ازداد حبه له وغمره بالاحسانات والانعامات
وبعد جلوس هذا الوزير بثمانية ايام تحركت فرقة من الاسلام
يطلبون قتل الدراويش المولوية ومن يجرى مجراهم فتعرض كوبرلى
باشا لذلك وجعل السلطان يامر بقتل البعض من المسببين لهذا
الاضطراب ونفى الباقى منهم *

وفي تلك الايام بلغه تشويش فى القسطنطينية من العصاة الذين
يريدون القا الفتنة فقتل منهم عددا وافرا وطرحهم فى البحر * وكان
قد اطلع على حركات من بطريرك الروم في تهييج الاروام واهل
الفلاق والبغدان على العصاوة فشنقه على احد ابواب القسطنطينية

وفى ٩ جماذى الاولى (سنة ١٠٦٧ ه) تضاربت العمارة
العثمانية مع عمارة اهل البندقية وغيرهم ممن يسكن جزاير البحر
الابيض من الاروام * وبعد قتال طويل وفقد جمع غفير من الطرفين
رجع كوبرلى باشا الى القسطنطينية وانعم على الذين ظهر منهم
الشجاعة فى وقت القتال وعاقب الذين نظر منهم الجبانة . فانعم
على كوشك محمد بك بعطايا وافرة وخلع ثمينة وقبل جبهته قايلا له
يابطل الابطال فليكن لك خبز السلطان حلالا وان الله يكافيك على
جهادك وغيرتك . وانعم على الطوبجى الذى ضرب مركب قبطان
عمارة البندقية وغرقه بمن فيه بعطايا جزيلة ورفع رتبته . وبخلاف
ذلك قتل وشنق كثيرين من الذين هربوا فى وقت المعركة وطرح
جثثهم فى البحر *

وبعد ذلك فى ٢١ ذى القعدة من هذه السنة ضرب كوبرلى
باشا مراكب مشيخة البندقية واستولى على جزيرة تهندوس التى كانت

مشيخة البندقية تحصنها من مدة سنة . وبعد شهرين تسلم جزيرة ليمنوس وكانت حصينة ومبنية على صخور لايمكن لغمها

وفى (سنة ١٠٦٨) انتصر على بلاد السرب وقتل منهم نحو ماية وخمسين الفا وعوضا عن الخمسة عشر الف دوكا التى كانوا يدفعونها للدولة خراجا جعل عليهم اربعين الف دوكا والزمهم بدفع اربعين الفا ايضا مصروف الحرب فمن هذه النصرات تضاعف حب السلطان لهذا الوزير المدبر الحكيم وانعم عليه انعامات عظيمة *

وبعد رجوعه الى القسطنطينية التى كان فيها كثير من اعدايه ينتظرونه هنالك افتكر انه يضرب اباازا الذى كان لم يزل ناشرا بيارق العصاوة فسير اليه العساكر وقهره *

وفى تلك الايام نهضت الاروام فى بلاد الفلاق واظهروا العصاوة وقتلوا المامور الذى من طرف الدولة واستولوا على تركويش وقتلوا من كان فيها من الاسلام وكانوا يحرقون وينهبون الضياع * فارسل لهم شرذمة من العساكر فضربتهم وطيعتهم وكانت عساكر التتر تضرب عساكر المسكوب فان محمد غراى قتل فى برهة خمسة عشر يوما خمسة وعشرين الفا من عساكر المسكوب واستاسر منهم عددا وافرا . وكان فى اثنا ذلك قد ارسل ملاك احمد باشا والى بورسه نحو ثلاثماية راس من اهل الجرالى القسطنطينية * وغير ذلك من الفتوحات والنصرات التى كانت جميعها بتدبير هذا الرجل الحكيم حتى انه قبل نهاية هذا الحرب التزم ملك المسكوب ان يطلب من الدولة عقد الصلح مع خان القرم

ولما نظر محمد كوبرلى باشا ان اعداه قد كثرت في جميع الجهات افتكر ان يخلص ويريح الدولة منهم فقتل الوزير سيدى احمد باشا والى حلب ومحمد باشا صهر السلطان وسعد الدين زاده

افندى قاضى القسطنطينية والشاعر وجدى وكامل زاده محمد والشيخ صوفى والى مصروتوقاتجى محمد والى كريد وغير هولا من اصحاب الرتب العالية * وكان يجتهد ان يخرج السلطان من سراية الحريم و يدرجه على معاطاة الاشغال السياسية فاتي بالسلطان من ادرنة الى القسطنطينية لكى يعجل فى تجهيزات الحرب على بولونيا . وكان يجتهد هذا الوزير فى ذلك الوقت بتحصين البلاد فبني فيها جملة قلاع شهيرة و بنى له قبرا مخصوصا *

وفى ٧ ربيع الاول (سنة ١٠٧٢) انتهت حيوة هذا الرجل الجليل الذى مكث وزيرا خمس سنين وثلاثة اشهر وعشرة ايام وكان السلطان حضر لزيارته قبل مفارقته هذا العالم ولما ودعه اخذ يوصيه قايلا له احذر من مداخلة النسا وتسلطهن على الاحكام ومن ان تقيم صدرا كثير المال ولا تترك العساكر مرتاحة واشتغل دايما في الغزوات والفتوحات . فساله السلطان عن رجل تكون فيه اللياقة للصدارة بعده فاجابه ذلك الوزير الذى كان فى حالة النزاع انه لا يعرف احدا فيه اللياقة اكثر من ولده احمد . وعلى نصيحة هذا الصدر الجليل سلم الوزارة الى ابنه كوبرلى زاده فاضل احمد باشا *

واصل كوبرلى محمد من بلاد الارنبود * ولما اتي الى القسطنطينية دخل فى خدمة السراية ثم ارتقى بالتدريج حتى انه ارسل واليا على بعض البلاد * وكان سنه خمسا وسبعين سنة * وكان صاحب عقل حاذق وقلب ثابت وطبع لطيف وحكمة باهرة . ولما توفى اقيم مكانه ولده فاضل احمد باشا كما تقدم وكان صغير السن لكنه كان صاحب حكمة وتدبير فجرى مجرى ابيه فى تحسين تدبير امور المملكة وتقدمت الدولة العلية فى مدة صدارته التى كانت ١٥ سنة *

وفي (سنة ١٠٧٧) تجهزت العساكر السلطانية لافتتاح قلعة كريد وكانت تلك السنة كثيرة الاهوال والحوادث لانه حدثت فيها حروب كثيرة وزلازل قوية شديدة اخربت بلادا عديدة واسقطت جبالا كثيرة . وحدث فيها طاعون شديد اهلك كثيرا من الناس وامطرت السما بردا غريبا كبير الحجم حتى كان وزن البردة مايتين واربعين درهما وبسبب ذلك سقط على الارض كثير من الطيور . وفيها ظهر رجل يهودي في مدينة ازمير يدعى سبتاي لاوي يزعم انه هو المسيح المنتظر من اليهود . وكان فصيح اللسان جميل المنظر ابن رجل فقير الحال فكان يتظاهر بالوداعة ويتكلم بالوحي وكان يعظ الناس قايلا انه قد ان الاوان * فسار من ازمير الى القدس ومن هناك اخذ يكاتب جميع اليهود الموجودين في المملكة العثمانية ويعظهم ويعلمهم انه هو المسيح * وكان في تحاريره يدعو نفسه البكر وابن الله الوحيد ومخلص اسرايل * فامن به اكثر اليهود من جميع الاقطار وكانوا يتركون كل شي وياتون الى اورشليم ليتباركوا من مسيحهم الجديد * وكانوا يبالغون عنه في عمل العجايب والمعجزات حتى انه في برهة يسيرة انتشر اسمه في جميع اقطار المملكة . وعندما بلغ والى ازمير خبره ارسل الى القدس ليقبض عليه لكونه يعرفه جيدا فلما بلغه ذلك نهض من اورشليم وتوجه بجمع غفير من تلاميذه الى القسطنطينية . ولما بلغ يهود القسطنطينية قدومه استعدوا لملاقاته بالاحتفال الواجب لمقام مسيحهم . فبران الصدر الاعظم ارسل فقبض عليه من المركب الذى كان اتيا به من نواحي چنق قلعه وطرحه في السجن . واما اليهود الذين كانوا يعتبرون هذا الاضطهاد كتتميم للنبوات السابقة عن المسيح فاخذوا يطلبون الاذن من الوزير بانهم يريدون التشرف بتقبيل اقدام مسيحهم . وبعد وسايل

كثيرة صدر لهم الاذن بذلك ورتب عليهم مبلغا من المال يدفعونه لنوال هذا الشرف فكان السجن يضيق من توارد المسيحيين الجدد الذين كانوا يتزاحمون لتقبيل قدميه متواردين من جميع الجهات . واذ كان السلطان يوميذ في مدينة ادرنة اراد ان يراه و يساله من ذاته نظرا لما كان يسمع عنه من الاحاديث التي كان يدعي بها انه ملك اسرايل . فعندما تمثل بالحضرة الشاهانية اخذ يتكلم بالتركي كلاما ضعيفا فقال له السلطان ان كلامك بالتركي شنيع ومسيح نظيرك يجب ان يكون فصيح اللسان بكل اللغات . ثم قال له هل تصنع شيا من العجايب فقال نعم في بعض الاوقات فقال له السلطان اريد ان اجرب فيك هذه العجيبة وامر ان يجرد من ثيابه و يوقف في فسحة الميدان وترميه العساكر بالسهام فان كانت لا توذيه يكون صادقا في دعواه . ولما سمع ذلك المسيح المسكين كلام السلطان انطرح راكعا على الارض وقال ان قوتي لا تقدر على هذه العجيبة فامر بقتله . وحينيذ ترامى على اقدامه وطلب الدخول في دين الاسلام فقبل اسلامه وصار يعظ اليهود فاسلم منهم عدد كثير . وفيها ظهر رجل من الاكراد يدعي انه المهدي واجتمع اليه جمهور عديد فمسكه والي الموصل وارسله الى القسطنطينية ولما تمثل بين يدي السلطان امر ان يفعل به ما كان يريد ان يفعله مع المسيح الكذاب فارتضى ومات قتيلا بالسهام *

وقد ذكرنا ان الدولة بعد حرب بولونيا تجهزت لافتتاح قلعة كريد التي كانت الدولة من مدة طويلة مجتهدة في افتتاحها وكانت العساكر قد استولت على جميع الجزيرة ما عدا هذه القلعة فانها بقيت بايدي مشيخة البندقية تدافع عنها وهي في غاية التحصين والاستحكامات القوية لان اكثرها محاط بخنادق عميقة

والباقي منها محاط بالبحر حتى لا يمكن الدنو اليها من احدى الجهات فسار اليها احمد كوبرلي پاشا في ذي الحجة (سنة ١٠٧٦) ومر في اراضي اسيا الصغرى وفي ٥ جمادى الاولى نزل امام قلعة كريد وانضمت اليه العساكر التي كانت تنتظره هناك وتحارب تلك الجزيرة من برهة ٢٢ سنة وانت لهم عمارة مصرية وكانت تحت ادارة رمضان بك الذي وقع اسيرا بايدي اهل البندقية وكانت عمارة الدولة نحو ٣٠ مركبا تحت ادارة قبلان پاشا واقاموا عليها الحصار بشدة عظيمة مدة الصيف وقيل انه صرف من البارود في تلك المدة نحو عشرين الف قنطار ولما دخل فصل الشتا امر الوزير برفع الحصار ثم عاد اليها في اول الربيع بحصار شديد فارسلوا البنادقة يقولون للوزير انهم يدفعون له جانبا من المال اذا كان يرفع عنهم الحصار . فاجابهم الوزير اننا لسنا تجارا نبيع القلاع والحصون وعندنا مال كثير . وفي اثنا ذلك حضر فرمان شريف الى كوبرلي پاشا يامره بالاستيلا على كريد في تلك السنة .

*

وكانت مشيخة البندقية قد ارسلت تطلب النجدة من بعض دول الافرنج فانجدهم الملك لويس الرابع عشر بعمارة بحرية وبخمسة عشر الف مقاتل واكثرهم من اشراف اهل فرنسا تحت رياسة الدوك نويل الشهير والفتى فندوم الذي كان يبلغ من العمر نحو خمس عشرة سنة . ولما وصلت العساكر الفرنساوية الى جزيرة كريد التقوا بالعساكر التي ارسلها البابا اكليمنضوس واهل مالطة لينجدوا بها اهل البندقية في تلك الجزيرة فانزلوا العساكر الى البر وتقدموا للهجوم على عساكر الدولة وكان في مقدمهم فندوم المذكور فهجموا على العساكر العثمانية وكانوا يظنون انهم يفترسونهم في اقرب وقت فما كان من اليكشارية

لا انهم احاطوا بهم من جميع الجهات واطلقوا عليهم النيران واشتبك القتال بين الجيشين وكانت ساعة مهولة بهذا المقدار * وبعد قتال شديد مدة ساعات استظهرت عساكر الدولة علي الاعدا ولم يتركوا منهم احدا * وكان فندوم يشجع العساكر ويحرضهم علي قتال لاعدا فقتل في ميدان الحرب والسيف بيده * وبعد هذه الواقعة الهايلة ارسلوا اهل البندقية الذين كانوا محاصرين في القلعة رسلا الى الوزير المشار اليه يطلبون جثة فندوم قايلين له نرجوك اذا كان فندوم عندكم سلمونا اياه ونحن نفديه بكلما تطلبونه منا واذا كان قد مات نرجوكم ان تسمحوا لنا بجسده ونحن ندفع لكم وزنه من الذهب ولماوصلت الرسل امام الوزير تمثلوا بين يديه واعرضوا له عن مطلوبهم فقابلهم بوجه بشوش وسمح ان يفتشوا بين الجثث على من يطلبونه فلم يجدوه فقالوا ان يدا من السما اختطفته من بين العساكر وكان ذلك في ١٩ حزيران (سنة ١٦٦٩) *

وبعد هذه الواقعة رجعت مراكب الافرنج بالخيبة . ولما نظرت البنادقة انهم لايقدرون على التجلد امام عساكر الدولة ولاسيما انه قد انقطع املهم من نحو الذين انجدوهم طلبوا من الوزير الامان فامنهم على حياتهم واموالهم فحضروا اليه وبايديهم مفاتيح المدينة علي طبق من الفضة فقدموها له * وكان ذلك في ٢٧ ايلول (سنة ١٦٦٩) وبعد ذلك سمح لهم بمراكب لارسالهم الى حيث يقصدون فودعوا الجزيرة باعين باكية وقلوب حزينة على فراقها بعد ان مكثوا فيها مدة اربعماية سنة * وبعد هذه النصرة وقلع اثار مشيخة البندقية من جميع جزيرة كريد وضعوا فيها محافظين ورجع الوزير بالعساكر الى القسطنطينية ناشرا بيارق النصر ومعه جملة مراكب من مراكب مالطة

وغيرهم وجملة اسارى . وقال اهل التواريخ انه قط ما سمع بحصار طالت مدته نظير حصار كريد فانه مكث خمسا وعشرين سنة وفقد من عساكر الدولة فى كل تلك المدة نحو ستين الف مقاتل ومن عساكر البندقية نحو ثلاثين الف مقاتل *

وبعد برهة قليلة ظهر رجل يدعى سوبسكى من اهل بولونيا واظهر العصاوة فزحف عليه الوزير بالعساكر العثمانية وفتحوا مدينة كمنياك الشهيرة فى متانة قلعتها * وبعد ذلك فتحوا جملة بلاد وحصون . ولما نظر اهل بولونيا انهم لايقدرون على مقاومة عساكر الدولة وان التجاءهم الى الدول الافرنجية لايجديهم نفعا ارسلوا رسلا الى خان التتر يترامون عليه ان يشفع بهم عند الدولة بالعفو عما حصل منهم وبموجب ذلك عفت الدولة عنهم ووضعت عليهم شروطا وخراجا سنويا *

وعندما كانت العساكر راجعة الى مدينة ادرنة بلغهم ان اهل بولونيا بدسايس النمسا والبابا عادوا تحركوا واظهروا العصاوة وانضم اليهم عصاة اهل الفلاق والبغدان والقزق * ولما دخل فصل الربيع كان سوبسكى قد تجهز بالعساكر والمهمات اللازمة وتقدم فضرب فرقة من العساكر العثمانية كانت مع حسين باشا والزمهم ان يعبروا النهر بعد ان فقد منهم جملة انفار فى الحرب والغرق فى النهر ولكن الصدر كان تقدم واخذ بعض البلاد واجتمع بعساكر قبلان باشا * ثم تقدم من هناك الى باباطاغ حيث كانت هناك الحضرة الشاهانية *

وفى ٣ رمضان (سنة ١٠٨٤) الموافقة (سنة ١٦٧٣) ولد للسلطان ولد ودعوا اسمه احمد وقامت الافراح فى كل المملكة

وفى هذه السنة بعد فتوحات ونصرات كثيرة من

احمد كوبرلى پاشا الشهير توفى وحملوا جثته الى القسطنطينية ودفن مع ابيه وكان عمره اذ ذاك احدى واربعين سنة ومكث فى الصدارة خمس عشرة سنة وستة اشهر وهو اعظم صدر جلس فى الدولة العلية وكان رجلا لطيف الطبع لا يحب اهراق الدما وكان عادلا يتجنب المظالم ويجتهد فى اجرا العدالة منزها عن الرشوات والاغراض وكان ذكى العقل قليل التكلم واذا تكلم يتكلم بحكمة. وبعد وفاته اقيم مكانه مقتول مصطفى پاشا فاخذ يشوق السلطان الى الحرب فسلمه ادارة العساكر وكان عددهم نحو ماية الف بمقاتل وقيل ماية وخمسين الفا. فخرج السلطان بالعساكر فى (سنة ١٠٩٢) الموافقة (١٦٨١) وكان خروجه باحتفال عظيم وموكب جسيم لم يسمع بمثله لان خيمة الحضرة الشاهانية كانت تساوى ماية الف درهم ما عدا العربانات المزينة بغاية ما يكون من الزخارف الفضية والخيل المسرجة بالسروج المرصعة ونحو ذلك مما يفوق الوصف. ولما وصل الاوردى الى مدينة بلغراد استحسن الصدر الاعظم مصطفى پاشا ان يسير بالعساكر من دون مهلة لافتتاح مدينة فينا قصبة بلاد النمسا غير ان البعض من روسا العساكر ولاسيما السرعسكر ابرهيم پاشا انكروا هذا الراى وقالوا ينبغى قبل حصار مدينة فينا ان نتسلم البلاد التى على حدود النمسا وبعد ذلك نتقدم الى مدينة فينا غير ان مصطفى پاشا خالف هذا الراى وقال ان ذلك لايوافق المصلحة لانه يضيع الوقت وتفوت الفرصة. لان بلاد النمسا واسعة جدا كشجرة عظيمة وجذعها مدينة فينا وباقى البلاد فروع لها فاذا امتلكنا الجذع امتلكنا الفروع * وبنا على ذلك تسلم الفرمان الشريف والسنجق النبوى وسار بالعساكر فى شهر نيسان

من تلك السنة *

ولما بلغ الايمبراتور ليبولد الاول ملك النمسا قدوم عساكر الدولة ترك المدينة وفر بجماعته واحتمى فى احدى قلع بلاد النمسا . وارسل يخاطب سوبسكى صاحب بولونيا في الاتحاد والمحافظة على من يعاديهما . وكانت عساكر النمسا قد حصنت مدينة فينا تحصينا عظيما وفرقة منها سارت لتصادم عساكر الدولة وكانت محاصرة فى قلعة راب ولما وصلت عساكر الدولة اليهم استولت على القلعة بعد ان ضربت عساكر النمسا وشتتهم في الجهات ومازال مصطفى پاشا يتقدم بالعساكر حتى وصل الى تحت اسوار مدينة فينا العظيمة . وفى ١٤ تموز من تلك السنة نصبوا اورديهم فى سهل هناك امام المدينة وكان مع عساكر الدولة فرقة من عساكر التتر تحت رياسة سليم غراى *

وفى اليوم الثانى من وصولهم حاصروا المدينة حصارا شديدا واطلقت النيران من الطرفين وكانت عساكر الدولة ترشق القنابر والكلل على المدينة بقوة عظيمة حتى انه فى برهة قليلة هدموا نحو عشرين ديرا من اديرة الرهبان الذين كانوا كثيرين بهذا المقدار فى مدينة فينا وهدموا جملة كنايس شهيرة وسرايات عظيمة وحرقوا اكثر ابراجها والبلاد التى خارج المدينة واستاسروا نحو اربعين الف اسير من رجال واولاد ونسا *

وفي اليوم السادس من شهر تموز اجتمع اهل المدينة من رجال ونسا ورهبان وتلاميذ وحملوا السلاح وتحالفوا على انهم اما يخلصون او يموتون * وما كانوا يعرفون النوم ولا الراحة فكانوا يقضون النهار بالحرب والمدافعة وفى الليل يصلحون ما تهدم من الابراج والاسوار ودفن قتلاهم فمكث هذا الحرب المهول مدة ٤٥ يوما وفقد من المحاصرين

فى المدينة نحو النصف وكانت المدينة فى الدرجة الاخيرة من المضايقة ولم يصل سوبسكى لاسعافهم * وكانت فرقة من عساكر النمسا نازلة ورا جبل هناك بقرب المدينة لايمكنها التقدم الى عساكر الدولة بل كانوا ينتظرون حضور صاحب بولونيا سوبسكى المذكور * فكتب له ريس العساكر النمساوية يقول له ان لم تبادر الينا سريعا نهلك لا محالة *

وكان قره مصطفى قد تغافل عن ضبط الاماكن المرتفعة خارج المدينة لانه لو كان وضع فيها فرقة من العساكر لكان يحفظ اورديه من الاعدا مهما كانت قوتها * وقيل انه لم يكن يسمح للعساكر الذين كانوا يريدون اخذ المدينة بهجمة واحدة لزعمه ان المدينة تحتوى على خزاين غنية فكان يريد ان يستلمها بدون هجوم وكان يفتكر ان عساكر النمسا لاتقدر عليه * وبينما هو كذلك حضر سوبسكى بعسكر نحو ثلاثين الف مقاتل وقطع نهر الطونا على جسر من الخشب كان قد اعده له احد جنرالية النمسا * وبعد ان قطع هذا الجسر صعد على رابية هناك بعدما انضمت اليه عساكر النمسا وبافيرا وسكونيا وكان عدد عساكرهم نحو ثمانين الفا ففوضوا ادارتهم الى سوبسكى المذكور وكانت عساكره لابسة اثوابا رثة الامر الذى كانت تتعجب منه ضباط وامرا النمسا * فقال لهم سوبسكى انكم تتعجبون من ملبوس العساكر فان هولا قد تعاهدوا انهم لايغيرون اثوابهم الرثة الامن غنايم الاعدا واخذ يشجعهم قايلا انا اعرف جيدا قوة تدبير مصطفى باشا الذى شادره هذا العظيم يظهر لنا فى وسط الاوردى * واننى اوكد لكم ان هذا الانسان يجهل امور الحرب اولا لانه ما قطع الجسر الذى مررنا عليه وثانيا ان مركز اورديه لا يوافق لان ليس من اصول الحرب ان

بمكث فى السهول ويترك لنا الاماكن العالية . وحينيذ امران تنقسم العساكر الى صفوف وكل جنس يكون فى صف واحد . وحينيذ انحدر سوبسكى امام العساكر من قمة ذلك الجبل وكان ذلك فى اليوم الثانى عشر من شهر ايلول (سنة ١٦٨٣) واشتبك القتال بين الجيشين من الصباح الى الليل حتى تغطت الارض والسما من دخان البارود وصمت الاذان من صوت المدافع والقنابر وكان يوما مهولا لم يسمع بمثله فقاومت عساكر الدولة فى ذلك اليوم مقاومة فايقة الحد غيران اكثر الضباط والعساكر كانت قد ضجرت اولا من طول مدة الحصار وثانيا من عدم وجود الذخاير والمهمات في تلك الاراضي والبلاد البعيدة عن مركز الدولة فتركو الاوردى ورجعوا عن المدينة . ففرحت عساكر الافرنج بهذه النصرة فرحا عظيما وقدموا الشكر لله تعالى وكان الفرح الاكبر عند اهل المدينة والعساكر الموجودين داخل المدينة لانهم ما كانوا يوملون بهذا النصر العجيب واخذوا يقرعون النواقيس من جميع الجهات علامة نصرهم غير ان سوبسكى بقى تلك الليلة مع عساكره خارج المدينة خوفا من ان ترجع اليهم عساكر الدولة الذين كانوا تسلوا طريق القسطنطينية

وفى صباح اليوم الثانى قسموا الغنايم بينهم ودخل سوبسكي الى مدينة فينا راكبا على الحصان وامامه سنجق اخضر من سناجق اليكشارية وكانت تاتي اليه الاهالي يقبلون يديه ورجليه ويدعون له بالنصر لكونه خلصهم من الاسر هذا ما كان من امر سوبسكى والعساكر واما ما كان من الملك فانه لما بلغه رفع الحصار عن مدينة فينا اتي الى المدينة كانه لم يحدث شي وكان يظهر عليه علامات الغضب ولما دخل عليه سوبسكي لم يقابله كالواجب وقال لاحد

جنراليته كيف يحترم سوبسكي الذى هو غير منتخب ملكا فاجابه ذلك الجنرال يامولاى ان سوبسكي هذا قد خلص المملكة فلاشك انه يستحق هذا الاعتبار • ولما راى سو بسكي ذلك من الملك غضب و رجع بعساكره حالا الى بلاده • واما الصدر الاعظم مصطفى پاشا فلما وصل الى بلغراد اخذ الناس ورؤسا العساكر يتذمرون عليه و يطلبون قتله فاخذ يحتج باابرهيم پاشا والى بودانه هو الذى كان السبب بذلك ولكن اعداوه في القسطنطينية كانوا يوشون عليه للسلطان ولاسيما اخت السلطان محمد التى كانت زوجة ابرهيم پاشا الذى قتله فصدر الامر بقتله واقيم مكانه قره ابراهيم پاشا *

وبعد تلك الوقايع الشديدة والحروب المهولة اخذ البابا اينوشنسيوس الحادى عشر يحرض اهل اوربا على طرد المسلمين من بلادهم فاجتمعت العساكر من كل الجهات وصمموا النية على اخراج الاسلام من قارة اوربا فتكفلت النمسا ببلاد المجر والبغدان وبودونيا ببلاد بولونيا والبندقية وغيرهم من ساكنى شطوط البحر الابيض فى دلماتيا وزحفوا علي بلاد الدولة العلية من جميع الاطراف وكانت عساكر الدولة تحارب الافرنج من جملة اماكن وفعلت اليكشارية فى مدينة بود التى كانت كرسى بلاد المجر افعالا لم تزل عساكر الافرنج تهتم بذكرها في التواريخ * ولما بلغ الباب العالى الضيقة الحاصلة على العساكر ارسل يحرضهم على التجلد والقتال وانجدهم بجانب من الجيوش بعد ان عزل ابرهيم پاشا واقام مكانه سليمان پاشا صدرا اعظم وسار بالعساكر الى بلاد المجر وضرب جيوش النمسا وكان ذلك فى ١٢ اب (سنة ١٦٨٧) وكان هذا الصدر يريد ان يتمثل بمحمد كوبرلى پاشا لكنه كان قاصرا في التدبير فتذمرت عليه العساكر واراداوا

قتله فترك الاوردي وهرب الى القسطنطينية فقتل فيها واقيم مكانه
ابازا سياوش باشا . وكانت المصايب في تلك السنة تمنع نجاح الدولة
من كل الجهات فان المطر توقف مدة ثمانية اشهر ومن جرى ذلك
كان غلا كثير وجوع شديد فكان مد القمح يساوي ماية غرش .
وكانت الحرايق كثيرة في الاستانة حتى انه في برهة قليلة احترق
نصف المدينة . وقيل ان الخساير التي تكبدتها الدولة في تلك المدة
كانت تساوي جملة ملايين . وكانت اليكشارية يطلبون عزل السلطان
وكان مصطفى كوبرلي باشا قيم مقام في القسطنطينية قد جمع العلما
في جامع ايا صوفيا وابدى لهم تشكي اليكشارية من تهاون السلطان
واشتغاله بالملاهي والصيد فلبثوا جميعهم ساكتين . وبعد برهة فتح
مصطفى باشا الحديث وقال لهم ايها الاخوان قد علمتم ان السلطان
مشتغل بالصيد وقد ابعد عنه جميع الرجال القادرين على خلاص المملكة
المحاطة بهذا القدر من الاعدا فهل تتقاعدون عن عزل سلطان مثل هذا
يهمل واجباته لماذا لا تتكلمون . فلما راوا صحة كلامه تم رايهم على
عزل السلطان فتوجهوا من هنالك الى السراية واشهروا للسلطان ارادة
العساكر والشعب . ومن هناك اخذوه الى المكان الذي كان فيه اخوته
فاخذوا منهم السلطان سليمان واجلسوه على تخت السلطنة . وكانت
مدة ملكه ٤٠ سنة وكان مغرما بالصيد حتى كان يقضي اكثر اوقاته به

السلطان سليمان خان الثاني

هو ابن السلطان ابرهيم خان ولد (سنة ١٠٥٢) وجلس (سنة ١٠٩٩)
كان قد قضى ٤٦ سنة معتزلا فدخل عليه كوبرلي مصطفى باشا بعد
عزل السلطان محمد وخضع امامه وناداه باسم بادشاه فتمنع عن

ذلك خوفا من سو العاقبة ولكن لكثرة لجاج العلما عليه ارتضى اخيرا
وكان حكمه في ايام عصاوة العساكر فان اليكشارية قاموا واجتمعوا في
فسحة آت ميدان والسباهية اجتمعوا في اِت ميدان وقتلوا كبيرهم كوشك
محمد اغا وطلبوا من السلطان راس القيم مقام سابقا رجب باشا . ولكي
يخمد هياج هولا العساكر اخذ منهم اثنين سمى احدهما والى روم ايلى
والثاني والى جده وفرق الاموال على العساكر حسب عادة السلاطين وتوجه
الى جامع ايوب لكى يتقلد بالسيف . ثم بعد ذلك ببرهة قليلة نهضت
اليكشارية وقتلوا كبيرهم لانه اراد ان يودب احد العصاة ثم توجهوا بعد
ذلك ليقتلوا الباشاوات في بيوتهم فقتلوا الصدر الاعظم سياوش
باشا على باب بيته بعد ان حاصر مدة وقتل من اليكشارية في هذه المعركة
نحو ثلاثماية . واما الشعب فلما راوا هذه الافعال من اليكشارية تجمعوا
وذهبوا الى السراية واخرجوا السنجق النبوى وهجموا على اليكشارية
فقتلوا البعض من اكابرهم وشتتوا كثيرا منهم وقطعوا راس كبيرهم وبواسطة
ذلك خمدت قوتهم واقيم اسماعيل باشا صدرا اعظم . وبينما كانت
العساكر العثمانية تفعل هذه الافعال في وسط المملكة عوضا عن ان تذهب
وتحمى حدود بلادها التي كانت الافرنج ركبت عليها . كان الجنرال كرفا
النمساوى استولى بالتتابع على ارنو وغيرها من بلاد الدولة . واهل البندقية
قدموا واخذوا جملة بلاد وبعد مدة عزل الصدر الاعظم اسمعيل باشا
بعد ان مكث ثلثة اشهر واقيم مكانه تكفور طاغلى مصطفى باشا *
وفي ١٧ رمضان من تلك السنة توجهت العساكر العثمانية الى ناحية
ادرنة وفي ذلك الوقت كانت عساكر النمسا محاصرة بلغراد واستولوها
في ٨ ايلول سنة (١٦٨٨) بعد حصار طويل . ولما بلغ الدولة اخذ
بلغراد امر السلطان بتجهيز عساكر لكى يخرج بنفسه واذ كانت الخزينة

خالية من المال فرضوا على اهل القسطنطينية ان كل عايلة تجهز خيالين

وفي اثنا ذلك كان توجه من طرف الدولة الى فينا ذو الفقار افندى لاجل المخاطبة في عقد الصلح ففرض عليه ايمبراطور النمسا انه عند دخوله يسجد اولا عند باب القاعة وثانيا في وسطها وثالثا امام كرسيه ثم يقبل ذيله ويضع كتاب السلطان بين يديه ويرجع ساجدا كذلك • فابي واقام عشرة اشهر في هذه المنازعة • ولما راى السلطان انه قد طال امر هذه المخاطبة امر بالذهاب الى الحرب فتوجهت العساكر الى بلاد المجر وضربتهم واخربت قلاعهم واستولت على اكثر البلاد. وكان الجنرال درسكوفيس قد ضرب عساكر الدولة في نواحي بلاد اليونان وكسرهم وكان عددهم خمسين الفا • واما عساكر النمسا الذين كانوا في نواحي الطونا فغلبتهم العساكر العثمانية وشتتت شملهم فتركوا البلاد والقلع وفر من بقي منهم *

ولما وصل ذو الفقار الى القسطنطينية واعلم السلطان بما جرى له في بلاد النمسا لم يستحسن مصطفى باشا كوبرلي الذى كان قد جلس في تلك الايام ان يتغاضى عن ذلك فعزم على حرب النمسا وما اكتفى هذا الوزير العاقل بتجهيز العساكر لحرب النمسا بل اخذ في استجلاب الناس الذين كانوا تحت حماية النمسا فجلب اليه روم بولوبونيزا من بلاد المورا والمينوط الذين كانوا اهل البندقية يلزمونهم بالدخول في مذهبهم المخصوصي فاحتموا بالدولة وسمح لهم كوبرلي باشا في بنا كنايس لهم حتى في البلاد التي ما كان فيها كنايس. وبهذه الواسطة كان يستجلب قلوب الرعايا كلها من اى جنس كانت لمحبة الدولة والمحاماة عن الوطن. وبهذه الواسطة كثرت المداخيل الميرية. وبعد ذلك اخذ الوزير جميع الانية الفضية والذهبية التى

كانت موجودة عنده وعند السلطان وارسلها الى دار الضرب فسبكها معاملة *

وفي تلك الايام سار كوبرلي پاشا بالجيوش المنصورة لمحاربة عساكر النمسا وكان معه نحو ماية الف مقاتل ففتح نيسا وويدين وسمندريا و بلغراد و بعد ذلك دخل القسطنطينية رافعا اعلام النصر

وفي (سنة ١١٠٢) بلغ الدولة تقدم عساكر النمسا فزحف عليهم كوبرلي پاشا بالعساكر المنصورة • وفي ٢٦ رمضان من هذه السنة توفي السلطان بدا الاستسقا وكانت مدة ملكه ثلث سنين وتسعة اشهر ودفن في تربة السلطان سليمان القانوني *

السلطان احمد خان الثاني

هو ابن السلطان ابرهيم ولد (سنة ١٠٦٢) وجلس (سنة ١١٠٢) جلس بعد اخيه السلطان احمد * وكان الصدر الاعظم مصطفى كوبرلي پاشا سايرا بالعساكر لمحاربة النمسا وكانت له القوة والسطوة التي كانت في ايام السلطان سليمان • وعزلوا الحكيم باشي حياتي زاده وحبسوه في السبعة الابراج زاعمين انه منع الطعام عن السلطان في ايام مرضه مدة طويلة و بسبب ذلك مات • وكانت عساكر الدولة تقدمت الى قرب بتروفردين واشتبك الحرب والقتال بين الجيشين وكان كرمنكش رئيس عساكر الاكراد قد انكسر امام الجيش • ولما شاهد مصطفى كوبرلي ذلك صرخ عليهم بصوت عظيم واقتحم في وسط المعركة يحرض العساكر على القتال والسيف بيده واذا برصاصة اصابت دماغه فوقع قتيلا رحمة الله عليه وبموته تغلبت عساكر النمسا على العساكر الشاهانية وكان ذلك في ٩ اب (سنة ١٦٩١) • *

وبينما كانت العساكر العثمانية مكسورة على البر كانت العمارة البحرية منصورة على عساكر الافرنج نصرا شديدا * وبعد موت الوزير كوبرلي المذكور قام مكانه عربجي علي باشا الذى حين جلوسه عزل شريف مكة وخان القرم وغيرهما من اصحاب الوظايف * وكان اخترع طريقة ان الذى يعزله يركبه في عربانة تجرها البقر بنوع الاستهزا ولذلك سموه بالعربجي وهذا الامر كان سبب عزله * لانه كان اعتمد على اهانة القزلراغاسي الذى كان قد عزل غير ان قومها وشوا عليه فعزله السلطان ونفاه الى قبرس بالعربانة التي كان قد اعدها للقزلراغاسي واجلسوا عوضه حاجي علي باشا والى حلب *

وفي (سنة ١١٠٤) عزل الصدر الاعظم واقيم مكانه بيقلي مصطفى باشا . وفي تلك السنة حدثت حريقة في القسطنطينية واحرقت ربع المدينة *

وفي ٥ ذى القعدة من هذه السنة توجه الوزير الى بلغراد لمحاربة عساكر النمسا التي كانت محاصرة هذه المدينة . وكان قد انضم اليه خان التتر وقسطنطين قيم مقام الفلاق . فلما بلغ جنرال النمسا قدوم الوزير رفع الحصار وهرب من امامه . فامر الوزير بترميم الاماكن التي اخربتها عساكر النمسا ورجع بعد ذلك الى ادرنة في شهر تشرين الثاني من هذه السنة . وكانت دولة الانكليز تداخلت مع هولندا في اتمام الصلح مع الباب العالي والنمسا *

وفي اول محرم (سنة ١١٠٥) حدثت ايضا حريقة عظيمة وبسببها عزلوا القيم مقام ووضعوا مكانه احمد باشا الذى اول شي فعله انه منع النصارى عن لبس الاثواب الملونة ولبس البابوج الاصفر وقلبق السمور على الراس والزمهم ان يلبسوا الاثواب السود وان يضعوا في

ارقابهم علامة لكى يتميزوا عن الاسلام . ومن جملة افعاله التى كان يجريها هو منع النصارى عن ركوب الخيل فى المدينة وذلك لكى يمنع حصول الحرايق غير ان مدته لم تطل لانه عزل فى مدة قريبة واقيم مكانه سورملى على باشا والى طرابلوس الشام وذلك فى ١٣ ادار (سنة ١٦٩٤) وفي تلك الايام توجه الوزير المذكور لمحاربة المجر وانما بسبب الامطار رجع الى بلغراد . وكان السلطان قد اصيب بدا الاستسقا فعجزت الاطباعن شفايه وما زال كذلك حتى توفى به وكانت وفاته فى كانون الثانى (سنة ١٦٩٥) الموافق ٢١ جماذى الاولى (١١٠٦) وكان مدة حكمه ثلث سنين وثمانية اشهر وكان سوداوى الطبع قريب الغضب ولكن قريب الرضى ايضا وكان فاضلا ثقيا لايحب سفك الدما وكان حسن الخط يحب الصيد وسماع الالحان

السلطان مصطفى خان الثانى ابن السلطان محمد خان الرابع

وبعد وفاة السلطان احمد خان جلس السلطان مصطفى وبعد جلوسه اعرض لديه قضية الصلح فلم يقبل بل اصدر فرمانا شريفا يقول فيه لا يجوز ابدا لعبيد الله ان يتمتعوا بالراحة وهم على تخت السلطنة يتنعمون فمن الان وصاعدا احتم ان التلذذ والكسل يهجر من دولتى العلية لان الاعدا قد احاطوا بمملكة الاسلام واستاسروهم وسوف اخذ ثارهم واسير امام جيوشى لان جدى سليمان العظيم الذى دايما رايحة البخور تتصاعد من قبره لم يكن يرسل وزراه فقط للجهاد بل كان يخرج بشخصه للمبارزة في الجهاد المقدس حتى ان فخره ومجده قد انتشرا فى جميع اقطار المسكونة وانا سوف اصنع نظيره . طيعوا يا مومنين والسلام . وبعد ذلك اجتمع الديوان وتم الراى على ان السلطان

لا ينبغى ان يخاطر بنفسه واما السلطان فلم يلتفت الى كلام رجال الدولة وعزم على الخروج بالعساكر فامر بجمع الجيوش وارسل عمارة بحرية فضربت مراكب مشيخة البندقية بقرب ساقس وكسرتهم كسرة مهولة وشتتهم فى جهات البحر الابيض وتسلمت عساكر الدولة جزيرة ساقس . وبسبب هذه الغلبة الشهيرة ارتقى الى رتبة رياسة البحر مزه مورته حسين پاشا الذى بعد هذه النصرة انتصر نصرتين على مشيخة البندقية . وسار السلطان بنفسه مع العساكر وعبروا نهر الطونا وضربوا عساكر النمسا واستلموا جملة بلاد وقلاع وقطعوا راس الجنرال فيترانى الذى كانت عساكره اكثر من عساكر الدولة بخمسة امرار واخذوا مدافعهم ومهماتهم وكل اورديهم وهدموا القلاع والحصون . ولسبب دخول فصل الشتا عاد السلطان بجانب من العساكر الى ادرنة وترك الباقى يحارب النمسا ثم رجع بالعساكر الى القسطنطينية ودخلها دخولا احتفاليا . وكان معه اسارى كثيرة ومدافع و بيارق من غنايم النمسا . وفى اثنا ذلك حاصر الملك بطرس ملك المسكوب قلعة ازوف فكسرته عساكر الدولة تحت اسوارها وقتلت من عساكره ثلاثين الف رجل ورجع عنها بعد حصار ثلثة اشهر *

ومن جرى هذه النصرات تقوت قلوب العساكر والشعب حتى كانت الاهالى تقدم للدولة اموالا لكى تجمع بها الجيوش الحربية وتنفق على مهمات الحرب . وكانت النمسا قد قضت مدة خمس عشرة سنة بالحروب مع الدولة فجمع الملك ليبولد بعد كل هذه الوقايع خمسين الف مقاتل من فرسان عسكره واقام عليهم اوجين ر يساوهذا كان رجلا فرنساويا اتى الى فيناودخل في خدمة الملك ليبولدوظهر منه جملة وقايع تستحق الذكر في حرب النمسامع فرنسا وغيرهم وكان عمره حينئذ

٣٤ سنة *

ولما بلغ الدولة ذلك التي ما كانت ترتاح ولا يوما واحدا من الحروب الداخلية والخارجية سار السلطان بمائة الف مقاتل الى مدينة ادرنة ومنها ارسل الجيوش لمحاربة عساكر النمسا فالتقوا بهم بقرب يموصار فانقضت عليهم عساكر الدولة وقتلت منهم مقتلة عظيمة ومن بقى من عساكر النمسا تشتتوا فى جميع الجهات . وبعد هذه النصرة رجع الي القسطنطينية . ثم بعد ذلك بلغ الباب العالى رجوع عساكر النمسا فخرج السلطان بنفسه وكان معه وزيره الماس محمد باشا فارسله الي نهر الثيف ليضرب الجنرال اوجين . وكان ذلك براى بعض الوزرا الذين كانوا يرغبون تنكيس هذا الوزير فسار بفرقة من العساكر واستولى على جملة قلع فى طريقه . ولما وصل الى يتروفردين ضرب الامير اوجين المذكور وبعد وقعات كثيرة اراد ان يعبر بالعساكر نهرا هناك ليقيم الحصار على جزوين . فاكمن لهم اوجين المذكور بقرب جسر هنالك وكان قد قسم عسكره قسمين احدهما تقدم امام العساكر والثانى خلفها . وكانت عساكر الدولة فى الوسط فاطلقوا عليهم المدافع والنيران . وبسبب ذلك انتصرت العساكر النمساوية على عساكر الدولة وفقد من الطرفين خلق كثير . واما الماس باشا فلما راى ما حل بالعساكر طرح نفسه فى وسط القتال فقتل فى ميدان الحرب واقيم مكانه حسين باشا فارسل فرقة من العساكر لمحاربة اوجين النمساوى ولما التقوا به ضربوه فانكسر ورجع الى بلاد المجر . وفى اثنا ذلك توسطت دولة الانكليز مع هولندا فى قضية الصلح واختاروا مدينة كرلوفيز لانعقاد الجمعية بهذا الصدد وبما ان الدولة كانت كلت وقلت النقود من كثرة الحروب حصل القبول بهذه الجمعية واجتمعت

عمد الدولة العلية ودولة الانكليز والمسكوب والنمسا والبندقية و بولونيا وهولندا . و بعد ٣٦ جلسة في برهة ٧٢ يوما في ٢٦ رجب (سنة ١١٠١) الموافق الى ٢٦ كانون الثاني (سنة ١٦٩٩) تم الصلح وانعقدت شروطه باتفاق جميع العمد المذكورين وتلك الشروط تعرف بشروط كارلاويتز ثم بعد ذلك رجع السلطان الى مدينة ادرنة واخذ يشتغل بالصيد والملاهي فصارت تتذمر عليه العساكر والعلما . غير ان كوبرلي حسين پاشا الذي كان اجلسه صدرا اعظم قد تسلم زمام الدولة واخذ في تسكين العساكر وتخميد اهل الهيجان واما هذا الوزير لم تطل مدته لانه توفي في تلك المدة

و بعد انعقاد هذه الشروط بسبعة اشهر توجه السلطان من ادرنة الى القسطنطينية ودخلها بموكب عظيم جدا حتى ان بعض المورخين الذي كان مشاهدا ذلك افرد لها كتابا براسه يشتمل على ٨٥ فصلا لا موضع لذكرها في هذا المختصر . وكان ذلك في ايام الوزير دلطبان مصطفى پاشا الذي صار صدرا بعد حسين پاشا * فهاجت العساكر بسبب هذا الصلح وذهبوا ليخلعوا السلطان عن كرسي السلطنة فلما بلغه ذلك دخل على اخيه احمد واخبره بذلك وترك له كرسي السلطنة . وكان مدة ملكه ثماني سنين واربعة اشهر . وكان لطيفا رقيق الطبع عادلا ثابت الراي * وكان عالما ولذلك كان يحب العلما و يكرمهم *

السلطان احمد خان الثالث ابن السلطان محمد الرابع

ولما جلس هذا السلطان كان عمره نحو ثلاثين سنة فطلبت منه العساكر قتل شيخ الاسلام وعزل البعض من رجال الدولة . فسلمهم شيخ الاسلام السيد فيض الله افندي فقتلوه ونفوا اولاده . ولما سمحت

قدمه فى الملك وخلا باله اخذ فى قصاص العصاة الذين كانوا السبب فى ذلك فقتل كثيرا منهم وعزل فوانور احمد باشا الذى انتخبوه صدرا اعظم ونفاه واخذ امواله . واقام مكانه داماد حسن باشا فاخذ هذا الصدر في تحسين احوال المملكة و بنى جملة قلاع وابنية شهيرة . غير انه لم يمكث سوى سنة واحدة حتى عزل واقيم مكانه قلايلى فوزاحمد باشا . وكان هذا الوزير قليل التدبير فعزل ايضا واقيم مكانه تبردار محمد باشا ولم يمكث ايضا اكثر من ستة عشر شهرا حتى عزل واقيم مكانه چورليلى على باشا *

وفى (سنة ١١١٥ هـ) سارت العساكر بالعمارة لمحاربة مشيخة البندقية فى جهات المورا فتسلموا اكثر الجزاير واستاسروا كثيرا من اهل البندقية واستولوا على مراكبهم *

وفى (سنة ١١٢١ هـ) كان بطرس الاول ملك المسكوب قد تغلب على كارلوس الثاني عشر ملك السويد فذهب الى القسطنطينية والتجا الى حماية الدولة وطلب النجدة على المسكوب فلم يسمح السلطان بذلك لسبب المعاهدة التى كانت بين الدولتين وانما كارلوس فانه تقدم بعساكره وضرب المسكوب بستة عشر الف مقاتل من اهل السويد والقزق فانكسر كسرة عظيمة . وجا بعد ذلك واستقر فى بلاد الدولة فعينوا له تعيينا كافيا لمصروفه * وكان فى مدة اقامته في بلاد الدولة يجتهد ان يجعل الدولة تعقد معه معاهدة بانها تحارب معه اذا اراد حرب المسكوب وتساعده اذا اراد المسكوب حربه . وبعد وسايط كثيرة وعده السلطان ان يعطيه غفرا من العساكر يوصلونه الى بلاده فطلب الملك كارلوس ان يكون الغفر خمسين الف مقاتل فلم يقبل السلطان بهذا العدد وكان ملك المسكوب قد لحق كارلوس مالك

السويد حتى دخل في بلاد الدولة . فغضب السلطان من ذلك لانه كان مغايرا للعهود وعزم على حرب المسكوب وارسل الى خان التتر يامره بالاستعداد للحرب * وجمع السلطان عساكر وافرة وعمارة عظيمة وارسلهم تحت ادارة وزير الصدارة بلطجى محمد پاشا الذى كان قد اقامه بعد عزل نعمان پاشا . ولما بلغ ملك المسكوب قدوم العساكر العثمانية اليه تقدم بعساكره وقطع نهر البروث . ونصب المتاريس بين هذا النهر وبين سهل كبير هناك . ثم انتشب القتال بينهم وبعد كفاح شديد انكسرت عساكر المسكوب وكاد الملك بطرس الاول يقع اسيرا لولم تخلصه كاترينا امراته . وبعد رجوع ملك المسكوب الى خيمته ليرتاح من الاتعاب والاوجاع التى كابدها كانت امراته كاترينا قد عقدت ديوانا مع ضباطه وكبار العساكر وتم رايهم علي طلب الصلح من الدولة . فاجابهم الوزير الى ذلك بشرط ان المسكوب يرجع بحر ازوف الى الدولة ويهدم القلع التى على هذا البحر ويترك للدولة المدافع التى فيها وان لا يتداخل فى اعمال القزق ويتعهد للملك كارلوس بحرية الرجوع الى بلاده من غير ان يتعارضه في طريقه وارهن عند الوزير بعض خواصه علي تتميم هذه الشروط . وبعد امضاء هذه العهود ارسل الوزير يعلم السلطان بذلك فغضب وامر بعزله ونفيه فمات بعد شهر واقيم مكانه يوسف پاشا . ومن ثم اجتمعت رجال الدولة وتم الراى بابطال عهد الصلح مع المسكوب واشهار الحرب بعد قتل جملة اشخاص كانوا السبب مع الوزير في تلك العهود . واما يوسف پاشا الصدر الجديد فكان لا يريد الحرب ولذلك صار ياخر في تجهيز المهمات الحربية *

وفي شهر نيسان (سنة ١٧١١ م) جدد الوزير الصلح مع المسكوب علي

٢٥ سنة • ولما بلغ الباب العالى ذلك امر بعزل يوسف پاشا واقام مكانه سليمان پاشا • وكان الملك كارلوس باقيا في بلاد الدولة فارسل السلطان جماعة لكي يوصلوه الى بلاده ويصرفوا عليه مصاريف الطريق * واذ كان لا يريد الخروج من بلاد الدولة ظن انه يوخر الدولة عن اخراجه بطلب المال فارسل يطلب الف كيس زاعما انه يريد وفا بعض ديون كانت عليه فصدر امر الدولة بارسال المال له غير انه لم يزل بعد ذلك مقيما في مكانه وارسل يطلب الف كيس ايضا فغضب الوزير وعزم على اخراجه من بلاد الدولة عنفا * وفي ذلك الوقت حصل من هذا الملك فعل يستحق ان يذكر في التواريخ وذلك انه بثلاثماية نفر من اهل السويد قاوم عشرين الفا من التتر وستة الاف من عساكر الدولة • وحاصر في بيته بستين نفرا واحرق البيت الذى كان محاصرا فيه وقتل من عساكر الدولة مايتى قتيل وبعد ذلك امسكوه وكتفوه وربطوا رجليه وارسلوه الى قلعة رميد طاش ومن هناك الى ديموتيكا • فطلب من الدولة ان يستقيم في ديموتيكا فرخصت له وعينت له نفقة لمصروفه وانما رجال الدولة لاموا الوزير ومن وافقه على ما كدر به خاطر الملك كارلوس * وبنا على ذلك عزل الوزير المشار اليه واقيم مكانه خواجه ابرهيم پاشا والحقوا به خان القرم وحاكم بندر • غير ان هذا الصدر لم يمكث اكثر من ٢١ يوما حتى عزل واقيم مكانه داماد على پاشا الذى بعد جلوسه عقد الصلح مع المسكوب على ٢٥ سنة *

وفي اثنا ذلك حضر الى الملك كارلوس كتاب من اخته تقول له ان حضوره لازم لاجل راحة المملكة فعزم على الرحيل واستاذن الدولة في الرجوع فامرت له بستماية چاويش لاجل محافظته في الطريق

واهدته ثمانية افراس من جياد الخيل وصيوانا مطرزا بالذهب وسيفا مرصعا بالاحجار الثمينة *

وفى تشرين الاول (سنة ١١٢٦هـ) رحل كارلوس الثانى عشر من بلاد الدولة بعدما اقام فيها سنتين شاكرا افضال الدولة على ما صنعته معه من الغيرة والمساعدة ونحو ذلك من الاعمال الممدوحة التى تستحق ان ترقم فى صحايف التواريخ لتكون تذكارا بين الملوك *واهل السويد لاينسون هذا الجميل الذى فعلته الدولة العلية فى حق ملكهم *

وفى (سنة ١١٢٧هـ) استولت عساكر الدولة على اكثر بلاد المورة وعلى جزاير البنادقة . وبعد هذا النصر العظيم رجع داماد على پاشا الصدر الاعظم الى مدينة ادرنة ناشرا اعلام النصر . غيران ايمبراطور النمسا اراد ان يتعصب لمشيخة البندقية ونقض العهود التى كانت بينه وبين الدولة وبسبب ذلك انتشب الحرب بين الدولتين مدة ايام في بتروفردين . وكان مقدم عساكر الدولة داماد على پاشا الشهير الذى كان من احسن ابطال زمانه وهو الذى قهر اهل المورة ومشيخة البندقية واستولى على بلادهم . وكان مقدم عساكر النمسا الامير اوجين الذى تقدم ذكره . ولما اشتعلت نار الحرب سقط الصدر الاعظم فى وسط الميدان قتيلا فانكسرت الجيوش العثمانية كسرة مهولة واستولت عساكر النمسا على المهمات والمدافع *وبعد موت هذا الصدر الجليل الذى حسن كثيرا من امور الدولة فى مدة صدارته التى كانت ثلاث سنين واربعة اشهر احيلت رتبة الصدارة الى خليل پاشا والى بغداد *

واما عساكر النمسا فبعدما تغلبوا على العساكر الشاهانية تقدموا الى

تمصوار واقاموا عليها الحصار مدة ايام فسلمت القلعة تحت شروط
وخرجت العساكر الشاهانية منها بامتعتهم ومهماتهم • وبينما كانت
عساكر الدولة تحارب عساكر النمسا فى بتروفردين كان قبطان
پاشا جانم خواجه محمد پاشا والسردار اكرم قره مصطفى پاشا مع
العساكر والعمارة واضعين الحصار على جزيرة كورفو • ولما بلغهم موت
الصدر الاعظم وكسر العساكر عوض ان يحفظوا ذلك سرا اخبروا به
العساكر الذين انكسر عزمهم لاجله وطلبوا الرجوع الى القسطنطينية
ولما رجع القبطان الى القسطنطينية صدر الامر بحبسه فى السبعة
الابراج واقيم مكانه كتخداى ابرهيم پاشا *

وبعد ذلك اخذ الصدر الاعظم خليل پاشا فى التجهيزات اللازمة
ليضرب عساكر النمسا فسار بالجيوش الى مدينة ادرنة ومنها الى
مدينة بلغراد واشتبك الحرب بين الجيشين • ولسوء تدبير هذا الوزير
كانت النصرة لعساكر النمسا • وبسبب ذلك عزل خليل پاشا واقيم
مكانه محمد پاشا • وهذا الصدر ايضا لم يمكث اكثر من ثمانية اشهر
حتى اقيم مكانه مقتول داماد ابرهيم پاشا *

وفى اثنا ذلك كانت فرقة من العساكر الشاهانية تحت رياسة
السرعسكر رجب پاشا مشتغلة بالحرب والفتوحات فى جهة بوسنه
ودلماتيا وترنسلفانيا • وكانت المكالمات دايرة بخصوص روابط الصلح
بين الباب العالى وايمبراطور النمسا • فمكثت نحو سبعين يوما وكانت
نهاية هذا الصلح في ٢١ تموز (سنة ١٧١٨) * وبعد ذلك اخذ ابرهيم
پاشا فى تحسين امور المملكة واجتهد في جلب الاموال الى الخزينة
واجرا التوفيرات اللازمة من جملة اوجه عديدة فاصرف بعضا من
العساكر التى لا لزوم لها كاللوند والسباهية وجمع المعاملة القديمة

ليضرب غيرها جديدا . وبني في بعض الجهات قلاعا حصينة على حدود المملكة بعد اخذ تمصوار و بلغراد *

وكانت الحرايق فى تلك الايام تتكاثر فى المدينة حتى انه في مدة سلطنة السلطان احمد حصل فى القسطنطينية نحو ماية واربعين حريقة وبعد نهاية الصلح مع ايمبراطور النمسا جددت الدولة مع المسكوب ومع ملك بولونيا شروط الصلح وروابط العهود بينهم وكانت اهل السنة ساكني چريفان وحدود العجم يتشكون من المظالم والتعدى التى كانوا يجرونها فى حقهم اهل الشيعة فارسلوا يستنجدون و يطلبون خلاصهم من السلطان احمد . فبنا على ذلك سارت العساكر الشاهانية وفتحت جملة حصون منيعة ومدن عظيمة فى حدود العجم وحاصروا مدينة اريڤان الشهيرة وفتحوها بعد اربع هجمات وبعدما استولوا على مدينة نهاوند زحف كوبرلى عبدالله والى وان على مدينة تبريز واستلموها بعد حصار طويل وفقد عدد وافر من الطرفين. وعندما كان عبدالله كوبرلى متغلبا علي الاعجام في تبريز كان احمد عارف والى حمدان يتولى على بلاد الاعجام التى كانت قد استولت عليها المسكوب فكانت هذه النصرات بهمة اوليك الجبابرة العظام الذين فعلوا افعالا فايقة الحد لانهم قرضوا عساكر الاعجام وشتتوا جموعهم فولوا الادبار فى تلك الاقطار وامتلاوا من غنايمهم . و بعد وقايع شتى ارسل شاه العجم يخاطب الدولة بالصلح فقبلت بشرط انه يرجع الى الدولة البلاد التى كان استولى عليها سابقا فى مدة الحرب . وفي اثنا ذلك مات شاه العجم واقيم مكانه ولده طهمسب فارسل الى الدولة يطلب ترجيع الاماكن التى اخذت من ابيه . و بلغ الدولة ان الاعجام حاصروا كوبرلى فى تبريز واستلموها واستولوا على ستماية حمل جمل

من الامتعة . وكان مقدم عساكر العجم رجلا يدعي نادر * فصدر الامر بتجهيز العساكر لحرب الاعجام * وعندما كانوا على همة الذهاب في (سنة ١١٤٣) في شهر محرم اجتمع بترونا خليل مع جانب من العصاة وطلبوا من السلطان قتل الصدر الاعظم ابرهيم پاشا وشيخ الاسلام والقبطان پاشا وكتخدا بك فلم يقبل السلطان بذلك * فقالوا نسمح عن شيخ الاسلام فقط . ولاجل تسكين شغب وهيجان هولا العساكر قتلوا ابرهيم پاشا وكتخدا بك وطرحوهم الى العساكر وحزن الناس عليهم و بالخصوص على ابرهيم پاشا الذى مكث صدرا نحو ١٢ سنة وعمل اعمالا فى تحسين الدولة العلية تستحق الذكر الخالد و بعد ذلك رجعوا يطلبون ابرهيم پاشا بزعمهم ان الذى قتل ليس هو ابرهيم پاشا بل كان رجلا من العسكر يشبهه . واخذوا يصرخون يعيش السلطان محمود . وساروا الى المكان الذى كان فيه واتوا به الى الديوان واجلسوه على كرسى السلطنة بعد ان خلعوا السلطان احمد *

السلطان محمود خان الثانى بكر السلطان مصطفى الثانى

كانت ولادة هذا السلطان (سنة ١١٠٨) وجلس سنة (١١٤٣) و بعد جلوسه تقدم اليه احد اليكشارية

اعلم ان لفظة يگشرى مركبة من كلمتين وهما يكى اى جديد وچرى اى عسكر . فاصل كتابتها يگچرى بكاف تركية تلفظ نونا وجيم فارسية و بما انه ماكان يوجد عندنا حرف الجيم الفارسى استعوضنا عنه بحرف الشين و وضعنا اعلى الكاف خطا اخر يدل على انها نون تركية . ولان اذ قد وجد عندنا هذا الحرف اى الجيم

فصرنا نكتبها هكذا كاصلها يگچرى واما الانكشارية كما يكتبها البعض فهذه لا معنى لها *

المدعو بترونا خليل الذى كان هو ورجل اخر يگچرى يقال له مصلح سببا فى عزل السلطان احمد وجلوس السلطان محمود * فقال للسلطان بكل جسارة اننى اعلم جيدا ان الذى يتجاسر على عزل السلاطين لايمكنه الخلاص من الموت لكنى اهنى ذاتي واشكر الله لكونى نظرتك جالسا على تخت دولة ال عثمان وانقذت المملكة من الظالمين فتعجب السلطان من كلام هذا الانسان وقال له اننى اقسم باباى واجدادى لامس حياتك ابدا بل اننى اكافيك فاطلب منى ما شئت فطلب منه ابطال المالكانات (وهى التزامات كانت تعطى لبعض اناس مدة حياتهم الامر الذى كان يثقل على الشعب) فحالا صدر الامر بابطالها ولكن بترونا المذكور تكبر وخرج عن حدود وظيفته فضرب احد كبرا اليگچارية فقتله وكان يعزل و يولى حسبما يشا من الوزرا وغيرهم *

وفى ذلك الوقت قامت العصاة وطلبوا من السلطان احراق بيوت الوزرا التي كانت مبنية على الكاغتخانه فسمح لهم . وكان الصدر الاعظم كتخداى محمد باشا لايقدر على اجرا الاعمال نظير بتروناخليل لان بترونا المذكور كما قدمنا كان يولى ويعزل من اصحاب الوظايف والمناصب الى ما لا نهاية له و يفعل افعالا غير مرضية حتى انه اوغر صدور الجميع بغضا عليه فقتلوه واراحوا منه الدولة والحقوا به اتباعه فى ليلة واحدة * وكانت واقعة مهولة قتل من العصاة نحو ستة الاف وكان يحضر الى الديوان ويجلس فى صف الوزرا و يدخل بالحديث ويامر وينهى ويفصل ويرتب ما لا يحصى من الامور الفضولية * وبعد

هذه الواقعة سمى ابرهيم اغا المعروف بقبا قولق الذى اظهر الشجاعة فى تلك الواقعة والى حلب * ثم بعد ذلك ارتقع الى رتبة الصدارة بعد كتخدا محمد پاشا *

و بعد مدة قليلة اجتمعوا اليكچارية واظهروا العصاوة . وانما لعدم وجود بترونا خليل بينهم حالا تشتتوا . ولكى يقطع اصول العصاوة قتل منهم ابرهيم پاشا عددا وافرا . ولسبب ما فعله هذا الوزير من اهراق الدما عزلوه واقاموا عوضه طوپال عثمان پاشا . واصل هذا الرجل من بلاد المورا اتي الى القسطنطينية وكان السعد يساعده حتى انه تقدم في الوظيفة وارتقى الى رتبة بيلرپك . ولحسن تعقله ونباهته ارسل بمامورية الى مصر واذ كان سايرا فى البحر قبضت عليه مراكب اسبانيا واتوا به وبالمركب الذى كان فيه الى مالطه بعد حرب شديد حصل بينه وبينهم . وكان في مالطه فى تلك الايام رجل فرنساوى يدعي ارنود فذهب الى المركب بعد وصوله الى المينا لينظر الذى فيه فوقع نظره على طوپال عثمان الذى كان ماكثا حزينا ملطخا بالدما فاحبه محبة شديدة ودفع عنه مبلغا الى الاسبنيوليين واخذه منهم واتى به الى منزله ودعا له طبيبا يعالجه . و بعد شفايه سار الى مصر لحل ماموريته . وبعد رجوع عثمان الى القسطنطينية تقدم الى رتبة الصدارة . وبما انه كان يتذكر ما احدثه معه ارنود من الجميل ارسل يطلبه الى القسطنطينية فحضر مع ولده واكرمه اكراما لا يوصف وغمره بالعطايا والانعامات وامسكه عنده مدة من الزمان الى حين افتتاح الحرب مع العجم فسار طوپال عثمان بالعساكر (سنة ١٧٣٣ م) وضرب الشاه طهمسب واقام عساكر العجم عن بغداد وضربهم وشتتهم فى الجهات ورجع الى كورد ستان ليخلصها من ايدى الاعجام واشتبك

الحرب بينه وبينهم * وفى اثنا ذلك قتل طوپال عثمان فى ميدان الحرب كما ياتي ذكره *

وبعد ان فرغ السلطان من تسكين الحركات الداخلية وتخميدها سير العساكر لمحاربة العجم تحت رياسة اربعة روسا وهم احمد پاشا وعارف پاشا وابرهيم پاشا ورستم پاشا فتوجهت واستولت على كرمنشاه واردیلان وحمدان التى كانت العجم استرجعتها من الدولة ولما بلغ الشاه طهمسب قدوم عساكر الدولة سار باربعين الف مقاتل وبوصوله الى كوريجان انكسر كسرة عظيمة وتشتت عساكره . ولحقته العساكر العثمانية الى كوم وكاشان ونهبوا تلك البلاد واستولوا علي اوروميا . ثم تسلموا مدينة تبريز العظيمة الشهيرة ورجع الشاه الى تيران وارسل الى السرعسكر احمد پاشا يكلمه بالصلح الذى تم فى ١٠ كانون الثانى (سنة ١٧٣٢ م) وذلك بشرط ان تبريز واردیلان وكرمنشاه وحمدان وهويزا وكل لوريستان تبقى فى يد الاعجام وفي يد الدولة صاغستان ونهوان واريفان وتفلس وجنجى وصار الاراس الحد الفاصل بين الدولتين * غيران السلطان غضب من تسليم تبريز الذى كان براى الصدر الاعظم طوپال عثمان وشيخ الاسلام فعزلهما واقام حكيم زاده على پاشا وزير الصدارة . وكان هذا الصدر فى اريفان فوصل الى الاستانة بعد شهرين واخذ فى تنظيم امور الدولة * وبعدما استراح فكر السلطان من العصاة امر بحرب العجم . وكان فى ذلك الوقت عند العجم رجل شهير بالحرب يدعى نادر كولى بك افشر كان شاه العجم قد رقاه الى رتبة الخان وولاه على سيستان . وكان عقد الصلح مع الدولة لكى يبلغ مقاصده وبعد ذلك قال انه لا يقبل بهذا الصلح وكتب الى جميع كبار دولته بذلك وسار بالجيوش الى جهة اصبهان وعزل

شاه طهمسب ونفاه الى مازندران ودعا نفسه شاه العجم بالنيابة
عن عباس الثالث ابن طهمسب الذى كان قاصرا واول شى صنعه
ابطال شروط الصلح التى عقدها سالفه مع الدولة وطلب من الدولة
اما ترجيع الاراضى التى اخذوها من العجم واما اشهار الحرب. وقبل
حضور جواب الدولة زحف على بغداد بعساكر جرارة واستولى على
اربيل وضرب العساكر العثمانية بقرب بغداد وبعد ذلك طلب
الصلح من الدولة فلم تقبل بذلك . فولت طوپال عثمان پاشا
رياسة العساكر وارسلته بثمانين الف مقاتل لحرب الاعجام . وكان
نادر قد قطع نهر الدجلة ووصل الى بغداد ووضع عليها الحصار فارسل
احمد پاشا محافظ مدينة بغداد يطلب منه مهلة ايام ليسلمه المدينة
وفى اثنا ذلك بلغ نادر قدوم طوپال عثمان پاشا لاسعاف بغداد
فارتعب من هذا الامر وترك اثنى عشر الفا من عساكره لمحاصرة
بغداد وتقدم بباقى جيوشه لملاقاة عثمان پاشا *

وفى ٦ صفر (سنة ١١٤٦) التقى العسكران على شاطى الدجلة
واشتبك الحرب بينهما مدة تسع ساعات واخيرا فازت العساكر
العثمانية بالنصر وقتلوا من العجم مقتلة عظيمة وانجرح نادر المذكور
وانهزم مع عساكره الباقية . وحالا لما بلغ العساكر المحاصرين بغداد
ما حل بالشاه نادر اسرعوا بالهرب . وهكذا خلصت بغداد من ذلك
العدو المتجبر الذى كان يظن انه استولى عليها . ولما وصلت اخبار
هذا النصر الى القسطنطينية قامت الافراح ثلاثة ايام . وبعد ثلاثة
اشهر ضربت العساكر العثمانية عساكر الاعجام في قرب الليطام
فهزمتهم وفتكت بهم وانما في وقعة ثالثة قتل طوپال عثمان فى
ميدان الحرب كما ذكر وانكسرت عساكر الدولة * ولما بلغ الباب

العالى هذه الحوادث ارسل حكيم زاده على پاشا وكان رجلا عاقلا بصيرا بالحروب صاحب تدبير فى سياسة الاحكام و بعد جلوسه افتكر ان يضرب العجم ضربة اخيرة وكان القزلراغاسي يكره ذلك فعزل بعد برهة قليلة واقيم مكانه كورجى اسماعيل پاشا وهذا ايضا لم تطل مدته لان القزلراغاسي رشقه بسهام دسايسه فعزله لكونه ما كان يقبل شروط الصلح مع شاه العجم واقيم مكانه السيد محمد پاشا *

وفى ذلك العصر اشتهر الحرب بين الدولة والمسكوب . وكان السبب فى ذلك ان الاعجام بعد قتل طوپال عثمان پاشا اتت عساكرهم الى شهرزور واسترجعوا كركوك ودرنة . ولما بلغ الباب العالى ذلك بعث الى خان التتر قبلان كراى يامره بالمسير لمحاربة الاعجام فقام وسار بعساكره على جبل قوقاز ومر فى اراضى المسكوب على شط نهر كوبان فصدهم المسكوب عن المسير فرجعوا بامر الباب العالى . واخذت الدولة تتشكى من دخول عساكر المسكوب فى بولونيا الامر الذى كان مخالفا للشروط الاخيرة . فاحتج المسكوب ان دخول العساكر المسكوبية في اراضى بولونيا كان المقصود به فقط منع دولة فرنسا عن تسليم احكام بولونيا الى ستانسلاس لكزنسكى الذى كانت تجتهد في تقليده الاحكام ولكن الدولة لم تقبل هذا العذر لانه مخالف للشروط * وبعد محاورات عديدة بين الدولة والمسكوب اشتهر الحرب بينهما * وفى ٦ صفر (سنة ١١٤٩) سار وزير الصدارة بالعساكر لحرب المسكوب وفى شهر ايلول تم الصلح بين الدولة وشاه العجم نادر شاه ورجعت حدود الدولة على ما كانت فى ايام السلطان مراد الرابع . وبينما كانت الدولة مشتغلة بعقد شروط الصلح مع العجم تقدمت عساكر المسكوب واخذت بعض جهات من اراضى الدولة . فصدر الامر بعزل قبلان

كراى لسبب اهماله ووضع فتح كراى مكانه وهذا رجع الى القرم وضرب المسكوب فكسرهم . ثم ان المسكوب اتحدوا مع النمسا ورجعوا استلموا قلعة اوكذكوف . فانكسرت عساكر الدولة امام هذه القلعة وبسبب ذلك عزل الصدر الاعظم محسن زاده عبد الله باشا واقيم مكانه يكن محمد باشا وفتح كراى واقيم مكانه منكلى كراى * ومن جهة اخرى كانت عساكر النمسا ثلاثة اقسام تحارب فى السرب وبوزنا والفلاق واستولت على نحو ثمان مدن وعلى قلعة نيش وكل دخايرها ثم رجعت اليهم العساكر العثمانية وضربت عساكر النمسا فكسرتها قدام بنيالوغا وتشتتت في جهات البلاد . واخيرا بعد انتصارات كثيرة على عساكر النمسا طردت عساكر الدولة عساكر النمسا من الفلاق والبغدان وارصوفا واسترجعت قلعة نيش واحرقت لهم سبع مراكب حربية فى البحر تجاه قلعة اليزابت *

وبعد هذه النصرات العظيمة وتشتيت عساكر النمسا لم يقبل الصدر الاعظم يكن محمد باشا توسط فرنسا بالصلح وباشر الحرب مع المسكوب وهذا الصدر كان بطلا شجاعا يحب الحرب اكثر من سابقه فضرب عساكر المسكوب التى كانت تحت رياسة الجنرال مونش على نهر دنستر وشتتهم في الجهات *

وكان سليمان باشا قبطان باشى التقى بعمارة المسكوب فى بحر ازوف ولما لم تقدر على مقاومة العمارة العثمانية امر الجنرال المسكوبي بجر المراكب الى البر واعطاها النار فاحرقها وكان الصدر الاعظم يكن محمد باشا مجتهدا بتجهيز العساكر غير ان خان التتر الذى كان يرغب الصلح قد غير افكار رجال الدولة حتى انهم عزلوا هذا الوزير المجاهد واقاموا مكانه عوض محمد باشا

والى ويدين وهذا اخذ في تجهيز الجيوش للحرب وسار بها * وفي ١٦ ربيع الاول ضرب النمسا وكسرهم كسرة مهولة جدا بعد قتال ١٥ ساعة ولولا سوء تدبير الوزير لكان قتلهم عن اخرهم *

وفي اثناء ذلك حضر الى الاوردي الجي فرنسا وتكلم مع الوزير في امر الصلح ووقف الحرب . وبعد مدة انتهى الصلح بينهم وكانت شروط الصلح ان النمسا ترجع بلغراد الى الدولة والفلاق والسرب وارصوفا وقلعة اليزابت . ويكون الحد الفاصل بين المملكتين نهر الطونا والساف وكانت هذه الهدنة مدة ٢٧ سنة . واما شروط الدولة مع المسكوب فهي انه لا يكون للمسكوب مراكب حربية ولا تجارية في البحر الاسود وبحر ازوف بل يتاجرون بمراكب اجنبية * وان المسكوب يرجع الاماكن التي استولى عليها في مدة الحرب وانه يهدم قلعة ازوف والدولة رخصت لدولة المسكوب بالتجارة في بلادها نظير باقي الدول و بوجود الجي للمسكوب في القسطنطينية و يكون له الاعتبار نظير باقي الجي الدول الافرنجية المتحابة العظيمة وان السلطان يعطي كاترينا لقب ايمبراطورة الذى ما كان يريد ان يعطيها اياه سابقا وتم ذلك في مدينة بلغراد . وبما ان هذه الشروط كانت لا توافق مشرب ايمبراطور النمسا كارلوس الخامس غضب على معتمديه وعزلهم لانهم قبلوا بذلك * و بعد هذا الصلح طلبت دولة السويد عقد المعاهدة مع الباب العالي و الاتفاق بالحرب على من يعاديهم . وكان ذلك في ٢٠ كانون الثاني (سنة ١٧٤٠ م) وبسبب ذلك ارسلت دولة السويد الى الدولة العلية مركبا حربيا وثلاثين الف بارودة . وبعد اتمام تلك العهود لم يتركوا الصدر الاعظم ينهي الحدود بين النمسا والمسكوب بل عزلوه بسبب دسايس القزلراغاسي واقاموا مكانه كور

احمد باشا وكان يومل من شروط بلغراد ان تحصل الراحة فى اوربا فحدثت حادثة جددت الحرب. وهى انه فى ٢٠ تشرين الاول (سنة ١٧٤٠) حينما مات كارلوس السادس ايمبراطور النمسا نهضت الدول الافرنجية ضد ابنته ماريا ترازيا لاخذ الملك منها وكان السلطان محمود وحده بقى على وعده ولم ينقض العهد الذى اعطاه. وعوضا عن انه يدخل فى هذا الحرب معهم مع انه كان يومل بان يسترجع الاراضى المأخوذة منه ويزيد عليها اراضى جديدة فكتب كتابا الى ملوك اوربا يحثهم على الصلح ويقدم لهم توسطه بذلك *

ولما وصل تحريره الى الدول الافرنجية لم تقبل توسطه بذلك فتركهم السلطان ومكث متفرجا على الحرب الطويل الذى ما انتهى الا فى (سنة ١٧٤٨ م) *

وكان فى (سنة ١٧٤٦) قد ظهر فى بلاد العرب رجل يدعى محمد بن عبد الوهاب من اليمن وادعى النبوة وابتدع شيعة مختلفة عن مذهب السنية وكان يطوف فى البلاد من الفرات الى مكة والشام وبغداد والبصرة * ومن هناك رجع الى بلاد العرب وبإسعاف الامير ابن سعود الذى كان دخل في هذه الشيعة جذب اليه جمهورا من اهالى البلاد وامنوا به وتسموا الوهابية. غير ان السلطان لم يلتفت الى هولا المبتدعين لكونه كان مجردا افكاره الى جهة المسكوب وذلك ان اليصابات ملكة المسكوب التى ما كانت عقدت الصلح مع الدولة الا لتجديد قوتها وجمع عساكرها واصلاح خزينتها اخذت فى ذلك الوقت بانشا قلع وحصون على شاطئ نهر البوك ودنيبر الذى كان الحد الفاصل بين المملكتين * وعند ما بلغ السلطان محمود ذلك

ارسل يطلب ابطال بنا هذه القلع فلم يمكن المملكة ان ترفض طلبه فوقفت الاشغال مدة اشهر * وفى اثنا ذلك كان السلطان مريضا من برهة طويلة بمرض الناسور الذى كان يمنعه عن الركوب فتوفى فى الثانى والعشرين من صفر (سنة ١١٦٧) وكان عاقلا اديبا حكيما *

السلطان عثمان خان الثالث

هو ابن السلطان مصطفى الثانى واخو السلطان محمود الاول ولد (سنة ١١١٠ ﻫ) وجلس (سنة ١١٦٨ ﻫ) وبما انه كان مكث مدة طويلة داخل السراية محجوزا عليه فكان يحب الوحدة والسلامة والتباعد عن الاهتمام فى اصلاح احوال امور الدولة ٠ وكان القزلراغاسى متسلم زمام الاحكام فكان يعزل ويولى من يشا من الوزرا واصحاب الوظايف على حسب مشربه ٠ فعزل الصدر الاعظم على پاشا واقيم مكانه سعيد افندى وكان السلطان قد اختشى من ان الشعب يعزله ويولوا عوضه احد اولاد السلطان احمد الثالث الذين هم محمد وبايزيد واورخان فامر بقتلهم فقتلوهم ٠ وفي (سنة ١١٦٩) حدثت حريقة عظيمة فاحرقت بيت الصدر الاعظم وجملة بيوت حتى وصل الحريق الى جامع ايا صوفيا وذاب رصاص القبب وسقط على الناس المجتمعين فى الجامع كالما الجارى فاصاب البعض منهم ٠ ومات فى هذه الحريقة كثير من الرجال والنسا والاولاد وتلف نحو الثلثين من المدينة بحريق النار وفى (سنة ١١٧١) عزل الصدر الاعظم سعيد پاشا واقيم مكانه محمد راغب پاشا غير ان هذا السلطان لم يمكث بعد ذلك مدة طويلة فتوفى فى ١٥ صفر (سنة ١١٧١ ﻫ) وكانت مدة حكمه ثلث سنين ولم يحدث فى ايامه حوادث تستحق الذكر ٠ وكان الصلح فى ايامه مع جميع الدول ٠ وكان تمم بنا الجامع المعروف بنورى عثمانية الذى كان ابتدا به السلطان محمود الاول

السلطان مصطفى خان الثالث

هو بكر السلطان احمد الثالث ولد (سنة ١١٢٩ هـ) وجلس (سنة ١١٧١ هـ) وكان عمره ٤٠ سنة ولما كان ذاهبا بعد جلوسه ليتقلد بالسيف فى جامع ايوب لاقته اليكجارية في الطريق وقدموا له كاس ماء فقال لهم اومل ان اشربه معكم تحت اسوار بندر فلما سمعوا منه هذا الكلام املوا فى نجابته * و بعد ان استقر فى ملكه اخذ فى تنظيم المملكة وترجيع الشرايع التى كانت تقوى الشعب وذلك باسعاف وزير الصدارة راغب محمد پاشا الذى سلمه ادارة الاحكام وكان هذا الوزير من احسن رجال زمانه وله البراعة الكاملة في حسن التدبير وسياسة الاحكام . وهو ابن رجل كاتب فى المالية ولما كان ابن ٢٥ سنة ارسل دفتر دار الى تفلس واريفان ولما مات طوپال عثمان الشهير في حرب العجم رجع الى القسطنطينية وحينيد دعى مشير الخارجية . وكان فى انعقاد شروط الصلح فى بلغراد الذى تم (سنة ١٧٣٩ م) ثم بعد ذلك ارسل واليا على مصر ثم على ايدين ثم على حلب . وفى جميع مامورياته اظهر كل حكمة وعدالة فى السياسة بين الرعايا على مشرب الدولة العلية . وقد اتضح حسن تدبيره فى قتل المماليك في مدينة مصر عندما ارسل من طرف الدولة وخلص تلك البلاد من تسلط اوليك العصاة الذين كانوا بقوة شوكتهم يزعجون الباب العالى . فانعم عليه بعطايا جزيلة لانداراح منهم الدولة والاهالى * وكان راغب پاشا قد ارتقى قبل توفي السلطان عثمان الثالث الى رتبة الصدارة كما قد منا ولما جلس السلطان مصطفى ابقى الصدر المشار اليه فسلمه الاحكام وجعله صهره فاعطاه اخته صالحه سلطانه

واخذ يجتهد في تقوية العساكر والمتجر والزراعة ونشر العلوم وزاد العمارة البحرية وعوض الخساير وكثر الاموال فى الخزينة وكان يميل الى الحرب ويشوق السلطان الى ذلك لياخذ لقب الغازى * غير ان هذا الوزير توفى وتاسفت عليه رجال الدولة وكان بارعا في العلوم والمعارف وله تاليفات عديدة وشعر رايق يسمى بسفينة العلما وتاليفاته الشهيرة توجد فى مكتبة فى القسطنطينية تعرف باسمه ايضا * وفيها مدرسة للعلوم ومطبخ للفقرا وتربة جميلة تعرف باسمه بقرب المدرسة تستحق المشاهدة . وبعد وفاة هذا الوزير اقيم مكانه حامد حمزه پاشا غير انه لم يمكث فى الوزارة اكثر من ستة اشهر لانه كان قاصرا فى سياسة الاحكام فعزل واقيم مكانه باهر مصطفى پاشا والى حلب فكان رجلا سفاكا للدما قاسيا ولم يمكث اكثر من سنة ونصف فى الصدارة وبسبب اعماله صدر الامر بقتله واقيم مكانه محسن زاده محمد پاشا وبما انه كان قليل الادارة عزل بعد ثلثة اشهر واقيم مكانه سلحدار ماهر حمزه پاشا الذى لم يمكث اكثر من اربعين يوما واقيم مكانه محمد امير پاشا

وفى ذلك الوقت اعنى فى (سنة ١٧٦٢ م) كانت كاترينا امراة بطرس الثالث قيصر المسكوب قد خلعت بعلها عن كرسى السلطنة وجلست مكانه ثم انها ارسلت رجلا الى الحبس فقتله لكى تامن من غايلته وبسبب ذلك نفرت قلوب شعبها منها ولكى تنسيهم هذه الحادثة المريعة اخذت تشتغل فى الحروب وكان ذلك سبب فتوح الحرب فى اوربا . وحيث فى ذلك الوقت كانت نهضت جماعة من اهل بولونيا ضد شيعة لوترا احتجت كاترينا بذلك وارسلت اليها العساكر وبواسطة الرشوات اجلست على كرسى الحكومة الكونتي بنياتوتسكى وهذا كان احد عشاقها

في ايام صباها فامتثل هذا الكونتي امر الملكة لسبب حبه لها وتوجه الى بولونيا . واما السلطان مصطفى فغضب من ذلك واعتمد على الحرب غير انه عاد رجع عن ذلك لسبب قلة العساكر وتحريك مصر وعصاوة الوهابية *

وفي اثنا ذلك تعهدت الملكة كاترينا للسلطان بانها ترفع عساكرها من بولونيا ولكن رويدا رويدا كانت تتعدى على حقوق بولونيا وترسل اليها العساكر خلافا للوعد الرسمي الذي وعدت به فهاج شعب بولونيا من تعديها عليهم *

وفي كانون الثاني (سنة ١٧٦٩ م) ركب خان القرم على بلاد السرب الجديدة واحرق كل الابنية المسكوبية ورجع الى بندر وصحبته ٥٠ الف اسير من المسكوب وغنيمة عظيمة وكان يستعد لضرب اخر للمسكوب ولكن قيل ان رجلا روميا سقاه سما فمات واقيم عوضه دولة غراي وكان قاصرا في التدبير * وحينئذ تقدم الامير كالتسن باربعة وعشرين الف مقاتل وعبر نهر دنستر وتقدم لمحاربة عساكر الدولة وبعد حرب شديد انكسر الامير كالتسن وتشتتت عساكره وهرب الى بولونيا فتبعته فرقة من عساكر الدولة . وكانت عساكر التتر تتقدم لتعبر نهر دنستر والسرعسكر توجه الى بولونيا والصدر الاعظم مكث في بندر وحاربت المسكوب فرقة من العساكر العثمانية وكسرتهم في شوكسين فهربوا الى بندر * وتذمرت العساكر من سو تدبير السرعسكر وخيانته فصدر الامر بقطع راسه واجلسوا عوضه مولدوانى على باشا فصار صدرا اعظم وسرعسكر . ولكونه كان رجلا فقيرا وارتقى الى هذه الدرجة اراد ان يصنع افعالا تشهر حسن سمعته فوضع جسرا على نهر دنستر . وعند ما كان عابرا بفرقة من عساكر الدولة ومن عساكر

التتر فمن عدم ترتيبهم وقلة عددهم هجموا على عساكر المسكوب فكسرتهم ووقفتهم عن التقدم *

ولما نظرت كاترينا انتصار عساكرها عزمت على توسيع افكارها الطميعة و براى المرشال مونيش عزمت ان تحرك اليونان على طلب الحرية وتذكرهم بانتصار اجدادهم لما طلبوا الحرية سابقا. وحيث ان شريعة المسكوب قريبة لليونان عزموا على ان يرفضوا عنهم حكم الدولة فاتكالا على رغبة هولا السكان ارسلت كاترينا معتمدا الى بلاد اليونان فتوجه اولا الى المورا وتكلم سرا مع بناكى متسلم مدينة كلاماتا الذي كان يميل اليه جمهور غفير من المنيوتيين الساكنى الجبال الذين كانوا يحبون الحرية * وبعد مكالمات كثيرة انعقد عهد بين جمهور اليونانيين واتفقوا مع بعضهم على طلب الحرية املا بان ينالوا ذلك باسعاف المسكوب واتكالا على هذه الاساسات التى وضعها ذلك المعتمد فى بلاد اليونان اكد لكاترينا ان مائة الف من الاروام ينهضون علي ساق واحد اذا عاينوا عمارة المسكوب اتية لسعفتهم فاغترت كاترينا بهذا الوعد وانتهزت الفرصة لاخراج اليونان عن طاعة الباب العالى *

وفي (سنة ١١٨٣ هـ) ارسلت قسما من العمارة ودخلت الى البحر الابيض * ولما بلغ الدولة العلية ذلك ظنت مع باقى الدول ان القصد من دخول عمارة المسكوب فى البحر الابيض هو توقيف اهل السويد على حدودهم * وكانت الدولة قد ارسلت نحو اربعين الف مقاتل لحماية البلاد التى على شاطى نهر الطونا * وبينما الدولة كانت مطمانة من نحو هذه العمارة وصل الجنرال سبيردون المسكوبي بعمارة الى بحر السند وهو مضيق الدينمرك ومن هناك دخلت البحر الابيض من

جبل الطارق وطرحت مراسيها في بوغاز كورون من جزاير اليونان
وافرغت الجيوش التي كانت فيها الى البر وكانوا قليلي العدد * ولما
نظرت الاروام قلة الجيوش المرسلة لنجدتهم تذمروا من ذلك لانهم
كانوا ينتظرون قدوم جيش عظيم من عساكر المسكوب * وكذلك
المسكوب الذين كانوا قد اغتروا بمواعيد المعتمد المذكور كانوا يوملون
انه عند وصولهم تتوارد اليهم الاروام من جميع الجهات * فكان ذلك
بخلاف املهم غير ان بناكي انتخب اربعة الاف مقاتل وسار بهم
لمحاصرة كورون التي كان فيها فرقة قليلة من الجيوش العثمانية
وبعد حصار شهرين رجعوا عنها خايبين كما خابت عمارة المسكوب
ولم تبلغ غايتها * ومن ثم اجتمعت عساكر الدولة وساروا في اثر الاروام
والمسكوب واحرقوا بتراس واخربوا تريبوليتزا وميغالو بوليس ولاقونيا
ومسينيا وتبعوا عساكر الاروام والمسكوب وفعلوا فيهم افعالا مريعة لم
تزل اهل المورة تتذكرها وتبددت عساكر المسكوب والذين سلموا منهم
نزلوا في المراكب ورجعوا باسوا الحال *

غير ان عساكر المسكوب في تلك الايام انتصرت على عساكر
الدولة التي كانت تحت قيادة خليل پاشا على حدود الطونا واستولوا
على بندر واكرمان واسماعيل وغيرقلاع على شاطي هذا النهر * ولما
بلغ الباب العالي هذه الوقايع صدر الامر بتكثير الجيوش والاستعداد
للحرب *

وفي السنة الثانية تغلبت عساكر الدولة على عساكر المسكوب
فرجعت الى مدينة بترسبورغ بعد ان فقد منها عدد وافر بالحرب
وبالطاعون وحينيذ اخذت النمسا وبروسيا في واسطة الصلح ووقفوا
الحرب . ولكن لما رات الدولة ان مطاليب المسكوب غير مقبولة رفضت

هذا الطلب واشهرت الحرب . وفي تلك المدة اى في (سنة ١١٨٥ هـ)
عزل خليل باشاو اقيم مكانه سلحدار محمد باشا ثم عزل واقيم مكانه ثانيا
محسن زاده محمد باشا والى الموره * وفى (سنة ١١٨٦) سار الصدر
الاعظم بالعساكر لمحاربة المسكوب فضربهم على نهر الطونا واخذ منهم
ستماية اسير ومن جملتهم البرنس ربنين وارسله الى القسطنطينية
والجنرال رومانزوف انكسر ورجع الى الفلاق * وحسن باشا قبودان
باشي سار بجانب من العساكر الشاهانية وضرب المسكوب على
نهر الطونا فشتتهم واخذ مدافعهم وذخايرهم * وفي اثناء هذه الغلبات
توفي السلطان مصطفى فى خامس ذى القعدة (سنة ١١٨٧ هـ) الموافق
٢١ كانون الثانى (١٧٧٤ م) بعد ان جلس على تخت السلطنة سبعة
عشر سنة وكان سلطانا عظيما جليلا محبا للعلوم والعلما فانشا في
القسطنطينية جمعية علما تعرف باسمه ومكتبة شهيرة وبنا جامعا يدعى
بنورى عثمانية المعروف بجامع اللالى وكان دينا مستقيما محب
التهذيب والتقدم ولو ساعده الزمان والرجال لكان رجع الى الدولة
ما فقدته فى حروب كثيرة *

السلطان عبد الحميد خان

هو اخو السلطان مصطفى الثالث وابن السلطان احمد الثالث
ولد (سنة ١١٣٧ هـ) وجلس (سنة ١١٨٧ م) الموافق (سنة ١٧٧٤ هـ)
وكان السلطان مصطفى قد ترك لاخيه نهاية الحرب الجسيم مع المسكوب
غير ان هذا السلطان الجليل من طبعه اللطيف وحبه الصلح والسلامة
اخذ يجتهد بتسكين الحركات والفتن الداخلية وارجاع قوة الدولة

لانها كانت تكبدت بسبب الحروب خساير كثيرة وكانت العساكر
كلت من الحروب وحدث بين الينكيجرية شغب عظيم فتركوا الصدر
الاعظم في ميدان الحرب بجانب قليل من العساكر فرجع الى شوملا
وارسل يعلم الباب العالي بذلك فصدر له الامر بعقد الصلح الذي
تم في ٢١ تموز (سنة ١١٨٧ هـ) الموافق (سنة ١٧٧٤ م) وتلك
الشروط تعرف بعهد كوچك قينرجا وهي منطوية على استقلال التتر في
بلاد القرم والبوجگ والكوبان وسير السفن المسكوبية في ابحر الدولة
العلية وترك ازوف وكيل پرون وغير قلع ايضا الى المسكوب وقبول
الدولة بانقسام پولونيا * والمسكوب تترك الى الدولة الفلاق والبغدان
والجزاير التي كانت في يدها في البحر الابيض وبعد امضا هذه الشروط
من الطرفين عاد الصدر الاعظم محمد محسن زاده بمن معه من العساكر
الى القسطنطينية واذ كان في الطريق توفي في مدينة ادرنه واقيم مكانه
محمد عزة باشا * وحينيذ اخذت الدولة في تطويع العصاة واهل الفساد
الذين كانوا يظهرون الشقاوة في بلادها فسار حسين باشا بالعمارة الى
شطوط عربستان لضرب ظاهر العمر ومحمد بك كبير المماليك اللذين
ياتي الكلام عليهما بالتفصيل ان شا الله تعالى في نهاية هذا
الكتاب * فاتت براس ظاهر العمر وحاكم البغدان الذي كان يحاكيه
بالشقاوة وعلقتهما على باب السراية في الاستانة العلية * ثم ارسلت
قبودان باشي حسين باشا لتاديب اليونان ساكني المورة فسار اليهم
وقتل منهم اصحاب الفتن والدسايس فارعب قلوبهم وكسر عزايمهم
والزمهم بتقديم الطاعة وطلب العفو من الباب العالي * وكانت الجارة
كاترينا تجتهد دايما في تخفيض قوة الدولة العلية فما اكتفت بتحرير
القرم بل كانت تريد ان تخصصها لنفسها وتجعلها تحت تسلطها وكان

بحرضها على ذلك وزيرها الجنرال پوتمكين فارسلت اناس لتلك البلاد يزرعون فيها الفتن والدسايس ويجعلون الانشقاق فى عايلة الخمانات حكام تلك الولاية * وبسبب ذلك نهضت البعض من الاهالى على دولة غراى الذى كان من طرف الباب العالى واقاموا مكانه شاهين غراى غير ان شاهين المذكور لم يلبث كثيرا حتى فر هاربا لان البعض من اهالى البلاد قاموا عليه واخرجوه عنفا وكل هذا بدسايس الجارة التى ارسلت الى القرم نحو سبعين الف مقاتل محتجة بترجيع شاهين غراى وتاديب الاهالى الذين اسوا بحقه * غير ان الباب العالى فهم جيدا افكار الجارة، ولما نظرت رجال الدولة تعدى المسكوب على الحقوق وكانوا يتذمرون من الشروط التى كانت وضعت في عهود كوچك قينرجا فاستشاطوا من ذلك حنقا ونادوا بالحرب * وكانت الانكليز تحرض الدولة على ذلك وتوكد لها ان دولة اسوچ وپلونيا ينهضا معها لاسعاف الاسلام وان صاحب پروسيا يقاوم ايمبراطور النمسا * فصدر الامر الى الصدر الاعظم قوجه يوسف پاشا لحرب المسكوب والنمسا لكون الجارة كاترينا قد كانت حضرت الى بلاد القرم بموكب عظيم لم يسمع بمثله وحضر ژوزف الثانى ايمبراطور النمسا لمقابلتها لانه كان تعاهد معها لمحاربة الدولة وكان صحبته الجى فرنسا ميسيوسكت لان فرنسا كانت متفقة مع المسكوب سرا *

وكانت عساكر الدولة وصلت الى عساكر النمسا وضربتها فى محل يقال له فتح الاسلام والجزيرة الكبيرة واستولت العساكر الشاهانية على قلع وحصون كثيرة نظير مهاديا ولزتخا ند وشبش ونحو ذلك وارسل الصدر الاعظم الى الجهة الثانية فرقة من العساكر تحت رياسة شاهين على پاشا لمحاربة المسكوب * وعندما كانت العساكر العثمانية متغلبة

على عساكر النمسا وكان الامبراطور قريبا ان يقع اسيرا تقدمت عساكر المسكوب واستولت على قرمان وبند روهوطن وازون والبغدان فلما شاهد الصدر الاعظم ذلك ولم يظهر احد من باقى الدول الذين كانوا وعدوا بالمساعدة اخذ وكتب الى الباب العالى بخصوص قضية الصلح وكان فى اثنا ذلك توفي السلطان عبد الحميد في (سنة ١٢٠٣ ﻫ) وكان عمره اربع وستين سنة ومدة حكمه ستة عشر سنة وكان محبا للسلام حليم الطبع بشوش الوجه وكان مجتهدا في تعليم العساكر العلم الجديد

السلطان سليم خان الثالث

هو ابن السلطان مصطفى الثالث ولد (سنة ١١٧٥ ﻫ) وجلس (سنة ١٢٠٣ ﻫ) الموافق (سنة ١٧٨٩ م) وبما ان السلطان عبد الحميد لم يترك بعد وفاته الا ولدين قاصرين وهما السلطان مصطفى والسلطان محمود فكان حق الملك لابن اخيه السلطان سليم الذى كان عمره (٢٧ سنة) لان العادة الجارية في الدولة العثمانية ان الاكبر هو الذى يجلس على تخت السلطنة * وبعد جلوسه وجه افكاره الى اصلاح حال العساكر وتقوية العمارة البحرية فامر بجمع الجيوش من جهات البلاد فاجتمع فى وقت قريب نحو ماية وخمسين الف مقاتل من الاسلام وكان اجتماعهم في مدينة صوفيا وكانت عساكر المسكوب سارت مع عساكر النمسا لمحاربة العساكر العثمانية التى كانت تحت رياسة الصدر الاعظم والى ايدين يوسف باشا . وقبودان باشى قوچك حسين باشا فانتشب القتال بينهم وبين عساكر الدولة وبقى

نحو شهرين فاستظهروا على عساكر الدولة واستولوا على اكثر مدافعهم ومهماتهم وبسبب ذلك احيلت رتبة الصدارة الى روشجقلى حسن پاشا * واما عساكر المسكوب التى كانت تحت ادارة الجنرال سوڤروف مع عساكر النمسا التى كانت تحت ادارة البرنس كوبولط تقدموا في البلاد واستولوا على قلعة بلغراد وقلعة بندر وايالتى الفلاق والسرب وكل المدن التى على شاطى الطونا وكادوا يستولون على قلعة اسماعيل التى هى اعظم حصن في بلاد الدولة فى تلك الجهات . وبينما هم كذلك حضر الخبر بموت ژوزف الثانى ايمبراطور المانيا الذى كان متعاهدا مع الجاره كاترينا على محاربة الدولة وكان ذلك فى ٢٠ شباط (سنة ١٧٩٠ م) وجلس مكانه ليپولد اخوه الثانى الذى انفصل عن الجاره كاترينا وعقد معاهدة مع الدولة فى ٤ اب (سنة ١٧٩١) ورد لها كل الاراضى التى افتتحها وابقى فى يده شوكزيم الى حين اتمام الصلح بين الدولة والمسكوب غير ان الجاره لم تقبل بعقد الصلح مع الدولة . وكانت مواظبة على الحرب فتقدمت عساكرها الى اسماعيل تحت رياسة سوڤروف واقام عليها الحصار وكان فيها نحو ثلاثين الف مقاتل فقطع عنهم الزاد والمهمات وصرخ على عساكره قايلا الموت والا اسماعيل فحينيذ هجمت عساكره على تلك القلعة واشتد الكفاح من الجيشين حتى ملا خنادق تلك القلعة من جثث عساكره * ولما هجم الليل صعدت العساكر على جثث القتلى ودخلوا القلعة وحاربوا فيها حربا شديدا فكانت النسا والاولاد يجمعون سلاح القتلى ويهجمون على عساكر المسكوب وما زالوا على ذلك حتى قتل ريس العساكر مع كل الذين كانوا داخل القلعة ولم ينج منهم الا رجل واحد طرح نفسه فى النهر وذهب فاعلم الديوان فى القسطنطينية

وكانت الغلبة على عساكر الدولة لانهم مكثوا ثلثة ايام وثلث ليالى
والسيف داير فيهم حتى ان الدم جرى كالسواقى فقتل من النسا
والاطفال فى تلك المعركة خمسة عشر الفا * ولما وصل هذا الخبر الى
القسطنطينية هاجت العساكر هياجا عظيما وطلبوا من السلطان راس
روشجقلى حسن باشا قايد العساكر الذى كان من اعظم رجال زمانه في
الحروب البرية والبحرية ولاجل تسكين هذا الهيجان احضرلهم راس
الباشا المذكور واجلس عوضه ثانيا كورجى قوجه يوسف باشا الغازى
وبعد ذلك تقدمت العساكر المسكوبية وضربت العساكر العثمانية فى
الجهة الثانية من نهر الطونا * وفي ذلك الوقت اى في (سنة ١٢٠٤ ﻫ)
توسطت في الصلح دولة الانكليز وبروسيا على شروط وهى ان المسكوب
تتسلم القرم وجزيرة طامان وجزا من كوبان وقطعت بسعربيا
والبلاد التي بين نهر البيغ ونهر دنستر الذى صار الحد الفاصل بين
المملكتين * وبنت كاترينا علي فم مصب هذا النهر على البحر مدينة اودسا
تذكارا لنصرها وهى مدينة شهيرة على البحر الاسود جهة قارة اوروبا
سكانها نحو اربعين الفا وفيها جملة ابنية جميلة واماكن شهيرة اكثر
سكانها نصارى لا كمرك عليها وفيها معامل الصابون والبارود
واقمشة الحرير والحديد ومعامل البوزة واعظم متجرها فى الحبوب
وكانت تسمي قبل تحصينها وتوسيعها حاجى بك *

وبعد رجوع يوسف باشا بالعساكر الى القسطنطينية عزل واحيلت
رتبة الصدارة الى محمد ملك باشا وكان عمره اذ ذاك (٨٦ سنة)
وفي ذلك الوقت قامت الفرنساوية علي ملكهم لويز الخامس عشر
فقتلوه . وبعد ذلك ببرهة قليلة ظهر الرجل الشهير بونابورط الذى
بعد ما حارب جملة حروب شهيرة برا وبحرا مع الانكليز وغيرهم من

دول اوروبا وجه افكاره الى الاستيلا على الديار المصرية وكانت الجارة
كاترينا قد ماتت وتركت الملك لولدها بولوالاول الذى مات حالا وترك
الملك لالكسندر . وكانت عقول اهل اوروبا متحيرة من شجاعة وغلبات
بونابورط فكانوا تارة يتفقون عليه واخرى يتركون السلاح بسبب
نصراته *

واما الدولة العلية فكانت حافظة الصداقة مع دولة فرنسا وانما
هجوم بونابورط على الديار المصرية بغتة جعل الباب العالى يشهر
الحرب ضد فرنسا وكانت مدة الحرب قصيرة جدا فعاد الصلح بين
الدولتين بعد رجوع بونابورط الى فرنسا *

وكان السلطان سليم يريد اصلاح حال العساكر وتعليمهم صناعة
الحرب على الطريقة الافرنجية وقرض وجاق اليكيجرية الذين كانوا
قد زعزعوا اساسات الدولة بعصيانهم وترك قوانينهم وعدم طاعتهم
روسايهم الذين كانوا مجتمعين من اشخاص كثيرين ومنقسمين الى
اقسام عديدة تعرف بالاورط وكان لهم كبير منتخب من الحضرة
الشاهانية يدعى اغة اليكيجرية وكان له التسلط على اعمال المملكة
فكان ينهى ويامر فى جميع الامور بعد الصدر الاعظم *

واول من وضع هذه العساكر السلطان اورخان (سنة ٧٢٦ هـ)
وكان حينيذ رجل يدعى حاجى بكطاش وهو اول من اسس طريقة
الدراويش البكطاشية * وكان يرسم الذين يدخلون فى هولا العساكر
واضعاكم ثوبه الابيض على روس صباطهم وحينيذ يعطيه اسم يكيجرى
وبسبب ذلك كانت اليكيجرية تعتبره اعتبار الاوليا * والدراويش
الذين هم من شيعته * كانوا معتبرين عند اليكيجرية الذين هم اربعة
فرق وهى الجماعة والبلوك والسيبان وعجمى اوغلان وكل فرقة من هولا

تقسم الى جملة اورط او اوض * وكان عدد هذه الاورط ٢٢٩ اورطة
وكانت العادة ان سبعة وسبعون اورطة منهم تمكث في القسطنطينية
والباقى منهم في جهات البلاد * وكان تحت رياسة اغة اليكيجرية
جملة ضباط ومامورين كانوا يجرون على قوانين ونظام كانت قد
وضعت لهم بغاية ما يكون من التهذيب ولما خرقوا قوانينهم تغيرت
عوايدهم وضعفت شوكتهم * وكانوا عند جلوس كل سلطان ياخذون
مبلغا من المال فكانوا يعزلون السلاطين و يقتلون كثيرا من رجال الدولة
ويتركون روسا العساكر فى الحرب مع الاعدا ويرجعون الى الوراء
وبسبب ذلك افتكر السلطان سليم ان يخلص المملكة من هولا العساكر
كما تخلصت دولة المسكوب من عساكرها الذين كانوا نظير هولا * فاخذ
السلطان يجتهد في تعليم جانب من العساكر التعاليم الجديدة
فتعلمت فرقة من العساكر تعليم ضرب المدافع على الخيل ولما شاهدوا
اليكيجرية تعليم هولا العساكر على الطريقة الافرنجية قاموا عليهم
واخرجوهم خارج المدينة غير ان حسين باشا قبودان باشى الذى
كان يميل الى تهذيب العساكر قد جمع اليه جانبا من الاسلام
وادخلهم في هذا المعسكر الجديد واصحبهم معه فى المراكب حينما اتى
لاسعاف احمد باشا الجزار الذى كان محاصرا داخل قلعة عكا من
بونا بورط وقد ظهر منهم هناك شجاعة عظيمة فى حرب الفرنساوية
حتى انهم الزموهم بالقيام عن مدينة عكا * ولما عادوا الى القسطنطينية
بلغ الجميع ما فعلوه من الشجاعة بمقابلة ما فعلوه اليكيجرية فى ابوقير
والناصرة من العيب والخجل وعدم التدبير فاخذ السلطان في تقوية
هولا العساكر . وبما ان اغة اليكيجرية كان غايبا عن القسطنطينية تاملت
رجال الدولة بنجاح هذه العملية الخطرة فاخذوا يسكنون روسا هولا

العساكر الموجودين فى القسطنطينية . وبعد توزيع جانب من المال قرّ
الراى بتسليم كبار اليكيجرية على ان يكون فى الاستانة الفان فقط
والباقى تترتب فى جهات الاناضول تحت مناظرة حكام تلك البلاد فصدر
الامر بتنظيم الفين من العساكر الجديدة في مدينة القسطنطينية تحت
رياسة مسعود اغا الذى ظهرت شجاعته فى مدينة عكا وتحت مناظرة
شخص اخر يدعي سليمان اغا البروسيانى * وفى اثنا تلك المدة حصل
بين العساكر الجديدة واليكيجرية وقايع كثيرة اظهروا فيها البطش
والشجاعة الامر الذى جعل السلطان يجمع الشبان من سن الخمس وعشرين
ليدخلوا فى النظام الجديد . وكان قاضى باشا والى قرمان جمع عنده
نحو ستة عشر الفا من العساكر الجديدة فصدر له امر الباب العالى ان
يحضر بهم الى القسطنطينية وكان الفكر ان حال وصولهم الى اسكودار
يضربون فى رودستو العصاة من اليكيجرية الذين قتلوا القاضى
الذى تلا عليهم امر السلطان بجمع العسكر الجديد ولما بلغ اليكيجرية
ذلك ارتعبوا من هذا الامر وجمعوا اليهم اشقيا البلاد وتقدموا ليمنعوا
تقدم قاضى باشا وبعد وقايع كثيرة بينه وبينهم منعوه من ان يدخل
مدينة ادرنة فقفل راجعا على طريق بلدة روشجق وهى قلعة حصينة
كان محافظا عليها رجل شهير بالشجاعة يدعى روشجقلى مصطفى
البيرقدار ولما بلغه قدوم قاضى باشا فتح له ابواب القلعة وضم عساكره
اليه وسار من هناك على طريق القسطنطينية

وفى اثنا ذلك بلغ قاضى باشا تجمع اليكيجرية مع بعض العصاة
ليمنعوا وصوله مع العساكر الجديدة الى القسطنطينية فاخذ يجد
السير لكى يدخل المدينة قبل حدوث مانع يوقفه عن سيره فوصل الى
سيلفريا بعد كفاح شديد في اثنا الطريق مع العصاة ونزل خارج

المدينة بعساكره ينتظر وصول النجدة الموعود بها من القسطنطينية فمكث في تلك المرحلة خمسة عشر يوما بدون فايدة * واذ كان في احدى الليالى راقدا فى خيمته دخل عليه رجل من العصاة وبيده خنجر يريد قتله . غير ان ذلك الباشا كان بطلا شجاعا جسورا لا يهاب الموت فاخذ يتصارع مع ذلك الرجل فى الظلام حتى استظهر عليه واخذ منه الخنجر وضربه به فرساه على الارض قتيلا يخبط بدمه وخلص ذلك الباشا من تلك المكيدة بشجاعته

ولما بلغ اليكيجرية الذين فى القسطنطينية قدوم قاضى باشا بالعساكر النظامية اخذوا يثيرون في المدينة شغبا عظيما فكانوا يطرحون النار في بعض البيوت ليحرقوها ويجتمعون افواجا في القهاوى والجوامع والطرقات والشوارع ويشتمون الوزرا ويلعنون رجال الدولة الذين كانوا السبب فى وضع النظام الجديد وينسبونهم الى الكفر والعناد وكانوا يتقمقمون على السلطان . فحينيذ نهض جماعة من رجال الدولة واخذوا فى عمل الوسايط لتسكين تلك الحركات وصدر الامر الى قاضى باشا ان يرجع بعساكره الى محل ماموريته لوقت ما وقتلوا بعضا من الذين كانت اليكيجرية تطلب قتلهم وبواسطة ذلك خمدت الفتن الداخلية وسكن هيجان العصاة *

وكان بونابورت قد ارسل فى ذلك الوقت رجلا من اخص المقربين منه يدعى الجنرال سبستياني ليوضح للباب العالى روابط الحب المتينة والصداقة الاكيدة بينهما وانه يكون صديقا لمن صادق الدولة وعدوا لمن عاداها وانه يساعد على تنظيم العساكر الجديدة بارسال المعلمين وتقوية العمارة البحرية لمنع المسكوب والانكليز من العبور في بوغاز اسلامبول ونهر الطونا وبالاتحاد مع فرنسا على

حرب المسكوب وبلغ غايته بعزل حكام الفلاق والبغدان الذين كانوا
تحت حماية المسكوب * ولما بلغ الكسندر ايمبراطور المسكوب ذلك
ارسل جانبا من عساكره الى المعاملتين المذكورتين فتاثرت الدولة
من ذلك وصدر الامر بحرب المسكوب * وكانت دولة الانكليز مجتهدة
ان تجذب الدولة الى الدول المتحدين بالحرب على فرنسا * غير ان
الباب العالى لم يقبل بذلك فصدر الامر الى الاميرال دوكورث
الانكليزى ان يدخل بالعمارة الى القسطنطينية ويعمل الجهد في اخراج
الجى فرنسا من الاستانة وان يكون كلامه غير مقبول عند الدولة فتقدم
بعمارته فى شباط (سنة ١٢٠٧ م) الى امام القسطنطينية وارسل معتمدين
الى الباب العالى يطلبون منه اخراج الجى فرنسا من القسطنطينية
وانضمام عمارة الدولة الى عمارة الانكليز والمسكوب لحرب فرنسا .
غير ان الديوان العالى قد نفر من هذا الطلب لان الدولة لا تنقض
عهودها مع الدول المتحابة بدون سبب يوجب ولاسيما مع
بونا بورت الذى كان اعظم صديق للسلطان سليم لانه كان يحب
نجاح الدولة العلية وتقدمها . وبما ان عمارة الانكليز كانت لم تزل تجد
الطلب على الدولة فصدر الامر بتحصين القلاع البحرية الكاينة في
اسلامبول ووضع طوابي جديدة على ساحل البحر امام المدينة وفى
برهة قليلة تحصنت المدينة تحصنا عظيما ولما تحقق الاميرال
الانكليزى عدم بلوغه مرامه وان اقامته امام القسطنطينية خطرة جدا
رفع مراسيه وخرج من بوغاز شنق قلعة الى البحر الابيض ومن
هناك اتت له الاوامر من دولة الانكليز ان يسير على الاسكندرية
وكان كذلك * وبعد ان تملكوها اتى اليهم محمد على باشا الذى كان
حاكما على مصر واخرجهم منها وفي السنة المذكورة كما تقدم

وبما ان الانكليز كانوا لا يريدون خرق الحب والصداقة الكاينة بينهم وبين الدولة العليـة ابعدوا عساكرهم ومراكبهم من شطوط البحر الابيض واستعملوا جميع الوسايط لمنع الحرب * ولما كانت الدولة مشتغلة بالحرب مع المسكب بسبب الفلاق والبغدان وكانت تعلم جيدا صداقة الانكليز لها توقف الحرب بينهما * وكان في هذه البرهة قد عزل ملك محمد باشا واقيم مكانه عزت محمد پاشا الذى رجع بالعساكر الى القسطنطينية فمكث ثلاث سنين ثم عزل واقيم مكانه يوسف باشا ضيا ثالثا ومكث ست سنين ثم عزل واقيم مكانه حافظ اسمعيل باشا ومكث سنة واحدة ثم عزل واقيم مكانه حلمى ابراهيم باشا وفي (سنة ١٢٢١ هـ) توجهت الاوامر الى جميع جهات البلاد لجمع الجيوش اللازمة وصدر الامر الى حلمى ابراهيم باشا الصدر الاعظم ان يقوم بالعساكر الى اراضى شوملا الى ان تتم الجيوش * وكان قيمقام القسطنطينية فى ذلك الوقت موسى سلانكلى پاشا . وكان السلطان يريد ان يجدد النظام فاخذ في تقوية العساكر الجديدة شيا فشيا * وكان فى القلاع الموجودة على بوغاز القسطنطينية من جهة البحر الاسود فرقة من العساكر محافظين تلك القلاع يعرفون بعساكر اليمق وهم فرقة من اليكيچرية يجرون مجراهم ويكرهون النظام الجديد . فقاموا عليهم وضربوا فيهم السيف وشتتوهم فى الجهات . وبعد ذلك تجمعت هولاء العصاة وتحالفوا على المدافعة والقتال لحفظ عوايدهم القديمة وصيانتها وكان كبيرا عليهم رجل يدعى مصطفى قبقجى اوغلى فكان يميل الى تعاليم القيمقام وعطاالله افندى المفتى وبعض اشخاص * فتقدم بجماعته العصاة ودخل المدينة طالبا قتل من كان السبب من رجال الدولة في انخفاض وجاق اليكيچرية فكتب الى كبير اليكيچرية قايلا ها نحن اولاد ولى الله حاميكم وزمرته

وحافظكم حاجى بقطاش قد حضرنا لننضم اليكم ونحامى جميعنا على قوانينكم وعوايدكم وحفظ شرايع المملكة * فانا اناشدكم الله ورسوله ان تسرعوا وتنضموا الينا لناخذ بثاركم ونشيد حقوقكم ونقرض النظام الجديد ونعاقب الوزرا الفجار الذين يريدون أن يقرضوا وجاقنا القديم ويجعلوا عوضكم وعوضنا النظام الجديد والسلام *

ولما بلغت هذه الكتابة كبير اليكيجرية تحير في امره لكون الخروج عن طاعة السلطان امر فظيع لانه من قواعد الدين ومن جهة اخرى كان يشق عليه ان يشاهد النظام الجديد وانقراض وجاق اليكيجرية ولكى يخلص من الطرفين سلم هذا الامر الى العساكر وبقى ملازما منزله * فانضم الى كبير عساكر اليمق نحو ثمانماية من اليكيجرية وسار بهم الى قشلة البحر ليجذب اليه العساكر البحرية فاغلقوا في وجهه الابواب فاخذ يعظهم بصوت عال قايلا . يا ايها الجيوش البحرية ياشرف الدولة وقوتها اعلموا انه بعد قليل لا تكون روساوكم الا الكفار فينسلطون عليكم ويخونون بسنجق نبينا عليه الصلوة والسلام . وها انا قد اتيت اليكم بهولا المومنين اصحاب العهد واليقين المحامين عن الدين وعن ال عثمان السلاطين ليرجعوا حقوقكم وشرفكم ومزاياكم فاسرعوا الينا وادخلوا في عصبتنا المباركة وانما فليكن معلومكم اننا لا نقبل بيننا من كان يحب النهب والحراب لان مقصدنا الطاهر هو المحاماة عن شرف الوطن والدين اللذين نحن نحارب لاجلهما فكل مسلم مومن انضم الينا ونجس مقصدنا الطاهر بعمل لا يليق بنا فليخرج حالا من بيننا ويقتل والسلام *

وبعد نهاية خطاب قبقجى اوغلى اجتمع اليه نحو مايتين من

اوليك العساكر وساروا جميعهم الى جهة الطوبخانـه وهو محل قريب
من شاطى البحر ليجلبوا اليهم الطوبجية الذين كانوا يختصون بحماية
الحضرة الشاهانية فحالا قفلوا الابواب فى وجوههم فاخذ يخاطبهم باعلى
صوته قايلا لهم يا ايها العساكر الطوبجية لاتظنوا ان حضورنا اليكم لان
لاجل مخاصمتكم فى سلطتكم العادلة ولكن انتم جميعكم خرجتم من
صفوفنا انتم اخوان واولاد اليكيجرية انتم زهرة هذا الوجاق المبارك *
فاناشدكم باسم حاجى بقطاش مولاكم ومولانا ان تفتحوا لنا ابوابكم
وتسرعوا الى حماية طريقنا الطاهر . ونبينا عليه الصلوة والسلام ينظر اليكم
فاذا توقفتم عن فتح الابواب لاولاد امته تسقط عليكم لعنته وتقفل
امامكم ابواب جنته . ثم هجم بعساكره وفتح تلك الابواب واخذ
يعانق بعضهم بعضا * واما جماعة العسكر الجديد الذين كانوا مجتمعين
فى قشلهم فعندما نظروا ما حل بالعساكر البحرية والطوبجية
وانضمامهم الى اليكيجرية ايقنوا بالموت . واخذوا يحصنون قشلهم
للمدافعة عن انفسهم وعمن بقى من الطوبجية *

غير ان اوليك العصاة دخلوا الى المدينة ومروا فى الاسواق
المزدحمة فيها الناس الى ان وصلوا الى فسحة آت ميدان فى وسط
المدينة . ولما بلغ السلطان حيث كان ماكثا داخل السرايا ما احدثوه
من الشغب وعدم طاعتهم لاوامره صدر امره بجميع خلاقين الاورط
والفرق الكاينة فى المدينة الى ساحة آت ميدان وكانت تلك الخلاقين
عند اوليك العساكر معتبرة كالسناجق واعتبارا للارادة الشاهانية اتو
بحللهم الى فسحة ات ميدان المذكورة وصفوها على شكل دايرة
واصطفت العساكر مع روسايهم . فاخذ قبقجى اوغلى يخاطبهم بهذا
الحديث قايلا يا اصحابنا قد اتت الساعة التى نقهر بها اعدانا وان الله

يساعدنا على ما نقصد لان عملنا هذا بامره وارادته فلنقلع من داخل المملكة العثمانية اصول هذه العصبة النجسة التى تكون السبب فى قرض اليكيجرية وتجعل الاسلام يتشبهون بالكفار. فاذا سيروا ابنا للاشى النظام الجديد؛ ولنسمح لاوليك العساكر الذين احوجتهم الضرورة ان يعودوا الى اوطانهم . انما ننتقم من الوزرا وروسا العساكر المجرمين الذين افسدوا طهارة الايمان بافعالهم الشنيعة وتحالفوا على ملاشاة وجاقات العسكر اليكيجرية الذين هم اعمدة مملكة الدولة العلية *

وبعد هذا الحديث اخرج ورقة مكتوبا فيها اسما بعض اشخاص من رجال الدولة التى ارسلها له القيمقام وعطاالله افندى واخذ يتلوها علي الشعب ويسمى لهم الاشخاص الذين يريدون قتلهم . وحينيذ ساروا يفتشون على اوليك الاشخاص فقتلوا كثيرا منهم والبعض اختفوا في بيوت النصارى واليهود . وبعد تلك الواقعة الهايلة ارسل القيمقام يطلب من قبقجى اوغلى باحترام جثث المقتولين لانهم من رفاقهم

وفي اثنا تلك المعركة فر واحد من اوليك الذوات الذين كانوا يقتلون فيهم الى بيت رجل يهودي من اعز اصحابه ليختفى هنالك وصحبته صندوق خزنته غير ان ذلك اليهودى استقبل ذلك الرجل الجليل باكرام زايد ولما دخل الليل غدر به وهو نايم فقتله واخذ ما كان معه من الاموال . ثم بعد تلك المعركة العظيمة صرخت العساكر طالبين ان تفتح ابواب السرايا وقتل البستانجى باشى وهذا كان رجلا محبوبا لدى السلطان سليم . ولما سمع الرجل المذكور صراخ اوليك الاشقيا انطرح على قدمى السلطان سليم وقبلهما طالبا منه ان يسلمه الى اوليك العساكر ليقتلوه فداء عن السلطان * غير ان السلطان لم يكن يقبل بذلك فى اول الامر وانما عند ما نظر انهم لا

يرجعون عن طلبهم امر الجلاد ان يقتله ويسلمهم جثته عسى ان يسكن هيجانهم فقتلوه وطرحوه من اعلى شرافات السور فاخذه اوليك العصاة واتوا به الى فسحة ات ميدان وطرحوه امام قبقجي اوغلى مع نحو سبعة عشر راسا من اعظم رجال الدولة الذين كانوا مجتهدين في احيا قوانين المملكة * وكان الدم جاريا في المدينة ثلاثة ايام والسلطان داخل السرايا سامعا بقتل رجاله اصحاب العمل والتدبير ولم يمكنه ان يخرج * وكان من جملة هولا المقتولين والمشهورين بحسن التعقل والتدبير واكبر المساعدين للسلطان سليم بتحسين احوال الدولة وتقويتها ابراهيم نسيم افندى كتخدا الصدر الاعظم فهذا كان من احسن رجال زمانه وابوبكر افندى ناظر الطربخانه العامرة والحاج ابراهيم افندى ناظر الترسخانه وصافى افندى ناظر الخارجيه وكور احمد بك واحمد افندى كاتم السر السلطانى وغيرهم ممن يحق التاسف عليهم فمن ينظر الى ذلك المنظر المهول والى تلك الجثث المطروحة على الارض امام اوليك العساكر والى ذلك الدم المهراق تحت اقدامهم ولا يتاسف ويتوجع على اوليك الناس الابرار وعلى مصايب الدولة في تلك الايام فعصيان الينكجرية وقبايحهم صبر الناس ان لا تتاسف على ملاشاتهم لكون معصيتهم بلغت الى قتل السلاطين العظام *

ثم بعد تلك المعركة العظيمة اجتمع روسا هذه الفتنة مع موسى باشا القيمقام والمفتى عطاالله افندى شيخ الاسلام اللذين كانا سبب كل تلك المصايب قايلين كيف يمكنا ترك هذا السلطان على كرسيه وقلبه يميل الى العوايد الممقوتة وتسليمه لنا الان ليس هو الا موقتا فلا بد ان يبطش بنا يوما ما بغتة * فذهب قبقجى اوغلى الى فسحة

ات ميدان واخذ ينادى باعلى صوته مشيرا بيده الى اوليك الروس المطروحة على الارض قايلا ها انتم شفيتم غليلكم بقتل اعدايكم وناضلتم عن الدين والشريعة وصدر امر السلطان بابطال العساكر النظامية ولم يبق من يخوفكم * ثم رجع فقال لهم بصوت منخفض لا خفاكم ان هذا السلطان هو عدونا دايما واذا كان يزعم انه صديق لنا فهل يمكن الثقة به فاذا اغمدنا سيوفنا الا يرجع الينا فى يوم واحد ويكون ذلك وبالا علينا وحيث عزله لايتعلق بنا فعلينا بالشريعة ولنطلب ذلك من المفتى . فسلمت العساكر مع باقى الشعب الى رايه هذا وارسل يستفتى المفتى قايلا ان السلطان الذى يخالف القران الشريف هل يترك على تخت السلطنة فاجابه المفتى قاصدا بمعناها المواربة على السوال خطا كلا واخذ يتاسف على مصايب الشعب والدم المسفوك قايلا يا ايها السلطان المغشوش بتعاليم والى زاده سالفى الذى اغرك بتعاليمه حتى نسيت انك امير المومنين وعوضا عن اتكالك على الله القادر العظيم الذى يبدد بدقيقة واحدة الجيوش الكثيرة العدد اردت ان تشبه الاسلام بالكفار * الامر الذى به اغضبت الله تعالى * فكيف يسوغ لك ان تكون امير المومنين ومحاميا عن الدين * فالعساكر الحافظة كرسيك لم يبق لهم ثقة بك * والمملكة اضحت مضطربة وانا ارثى لحالك لان بواسطة فضايلك التى كنت حاصلا عليها كان يمكنك ان تشرف المملكة ولكن يجب ان تلاحظ وتفضل على كل شى شرف الايمان وسلامة الاسلام *

وبعد ان قرا قبقجى اوغلى هذه الفتوى قال للجمهور ها قد صار معلوما عندكم انه حتم على السلطان بالعزل فما قولكم الان هل تسلمون له فصرخت العساكر كلا ثم كلا لا نقبله سلطانا علينا فليعزل وليعش

السلطان مصطفى . فارسلوا اليه المفتى لاقناعه بالتنازل من دون مقاومة فدخل عليه متذللا منخفض الراس مظهر التوجع وانحنى راكعا امام عرش السلطان قايلا له يامولاى اني قد حضرت بين يديك برسالة محزنة ارجوك قبولها لتسكين الشعب الهايج غضبا من الهجوم على هذه السرايا وليس خافى مسامعكم الشريفة بان اليكيجرية قد نادوا باسم مصطفى ابن عمك سلطانا عليهم * فالان لا سبيل الى المقاومة فالتسليم لله اوفق من كل شى *

واما السلطان فلم يظهر على نفسه الكابة من هذا الحديث وقبل كلام المفتى ونزل عن عرشه * واذ كان ذاهبا يختلى فى مكان منفرد عن السرايا التى مكث بها ثمانى وعشرين سنة قبل جلوسه التقى بالسلطان مصطفى قادما ليجلس مكانه * فقال له يااخى الله اهبطنى من العرش العتيد ان تجلس عليه انت لانني اردت وضع تنظيمات لتقوية المملكة والدين واصلاح حال العساكر الذين جهلوا تعاليمهم وتركوا قوانينهم هاجت على العساكر مع بعض رجال الدولة وارسلوا يطلبون منى التنازل عن تخت السلطنة ونادوا باسمك وها انا ماض بكل رضاى اعيش منفردا واما انت فانك سعيد اكثر منى فارغب اليك ان تسلك معهم بالحكمة اللازمة الحسنى * واما السلطان مصطفى فلم يصغ الى كلام السلطان سليم وطلب معانقته فلم يقبل منه * ولما وصل السلطان سليم الى المكان الذى كان فيه السلطان مصطفى وجد السلطان محمودا اخا السلطان مصطفى ماكثا فى ذلك المكان ظاهرا عليه اشارات الرقة والوداد والنباهة * وعند ما شاهد السلطان سليم التقاه مقبلا يده ذارفا دموعا غزيرة الامر الذى حرك السلطان سليم الى البكا وجعله يعتنى بتهذيبه وكلاهما طالما هما فى ذلك المكان كانا يتحدثان دايما بالامور

المشيدة اركان الدولـة والدين هذا ما كان من امر السلطـان سليم
واما السلطان مصطفى فانه بوصوله الى امام اوليك العساكر فرحوا بد
فرحا عظيما واجلسوه على تخت السلطنة *

* السلطـان مصطفى خان الرابع *

هو ابن السلطان عبد الحميد ولد سنة ١١٩٣ هـ وجلس
سنـة ١٢٢٢ الموافقة لسنة ١٨٠٧ م *

انه لسبب ما حصل فى القسطنطينيـة من الاضطراب الجسيم وعزل
السلطان سليم خـافت الاهـالى جميعهـا فـقـفلوا الحوانيت ووقعت
الرعبة فى قلوب الجميع واطلقوا المدافع علامة جلوس السلطان مصطفى
ونادوا بالمواذن باسمه . وتقدم المفتى والقيمقام الى الجموع الذين كانوا
مجتمعين فى قسمة آت ميدان واخبروهم ان السلطان مصطفى قـد
وعد بابطال ما كان مهتما به السلطـان سليم من وضع النظام الجديد
وبارجاع العوايد القديمة * فلما سمع الجمع هذا الحديث تفرقـوا
وعندما بلغ عسكر النظام عزل السلطـان سـليم وقع الخوف في قلوبهم
وفروا هاربين فى جهات المملكة *

فكانت هذه الحوادث توخر العساكر عن مبارزة الاعدا وتساعد المسكوب
بان يتقدموا الى حدود الفلاق والبغدان بعد ما كانوا غير قادرين علي
مقاومة عساكر الدولة. ولسبب الشروط التى تمت في مدينة (تلسيت)
بين الدولـة والمسكوب التزمت العسـاكر المسكوبية بموجب تلـك
المعاهـدة على ملازمة حدودهـا *

واما السلطان مصطفى فانه بعد ما جلس على تخت السلطنة سلم
زمام الاحكام الى القيمقام كوسج موسى باشا والى المفتى الذى كان

سبب تلك الامور والحوادث جميعها * وكان موافقا ومشاركا للقيمقام بجميع اعماله حتى انهما تقاسما الاحكام بينهما * ومن جرى ما كان يحدثه القيمقام من الاعمال الممقوتة اوغر صدر السلطان غضبا عليه فامر بعزله واقيم مكانه طيار باشا *

ولما بلغ بونابورت الذى كان حينيذ مقيما في مدينة فريدلن من اعمال النمسا ليستريح مع عساكره من حرب المسكوب ما حل بصديقه السلطان سليم وعزله عن كرسى السلطنة وجلوس السلطان مصطفى اضطرب اضطرابا عظيما من هذا الامر وتاثر من ذلك تاثرا شديدا وبعد ذلك اخذ يطلب الاتحاد مع الايمبراطور الكسندر بالهجوم على بلاد الدولة العلية ولما بلغ دولة الانكليز ما قصده بونابورت اسرعت فارسلت عمارة بحرية تحت رياسة اللورد باجت ليتوجه بها الى القسطنطينية ويربط مع الباب العالى عهود الحب والاتفاق وعند ما كانت المحادثة دايرة بهذا الخصوص مع رجال الدولة توجه ترجمان الباب العالى الكسندر سوتزو واعلم بذلك الجى فرنسا الذى اخذ يجتهد بابطال ما كان يطلبه مامور الانكليز من الدولة العلية وباخراجه من القسطنطينية ولما بلغ الباب العالى ما صنعه ذلك الترجمان الخاين اصدر الامر بقتله فقتلوه قصاصا عن ذنبه القبيح وبسبب ذلك توقفت تلك المحادثات *

وكان طيار باشا بريد ان الاحكام جميعها تكون بيده وكان المفتى يريد ان اعمال القيمقام تكون تحت مناظرته وبسبب ذلك تنافرت القلوب بينهما فترك القيمقام الاحكام للمفتي وسار الى بلدة روشجك حيث يوجد هناك مصطفى البيرقدار * وكان المفتى يتلاعب بالاحكام حسبما يشا معتضدا بقبقجى اوغلى وجماعته ورجّع

كوسج مصطفى پاشا قيمقام في القسطنطينية *

وفي اثنا ذلك تمت عهود الصلح بين الدولة والمسكوب فرجعت العساكر من جهة جبل البولكان الى مدينة ادرنه مع الصدر الاعظم چلبي مصطفى پاشا وروسا العساكر الذين كانوا من حزب السلطان سليم . وكان من جملتهم مصطفى البيرقدار الذى كان رقاه الى رتبة الوزارة لما ظهر منه من الشجاعة في حرب المسكوب وولاه على بلدة روشجك وكان حافظا في قلبه الحقد على عساكر اليمق لما فعلوه في حق السلطان سليم * وكان طيار پاشا كما قدمنا اتي الى بلدة روشجك حنقا على عساكر اليمق لما احدثوه في القسطنطينية ولاسيما السلطان مصطفى على تسليمه بقتل اوليك الاشخاص * وكان لهم في القسطنطينية حزب من رجال الدولة يتعصبون لهم * وكان مصطفى البيرقدار مع طيار پاشا مضطربين جدا على حيوة السلطان سليم الذى كان محجوزا عليه داخل مكان قرب السرايا وعلى حيوة السلطان محمود الذى كان محجوزا عليه مع السلطان سليم ومن جرى هذه الامور التي كانت تقلق راحة قلوب محبي السلطان سليم اخذ مصطفى البيرقدار يجتهد سرا مع طيار پاشا في التدابير اللازمة لاخذ الثار وتخليص المملكة من العار ومن ايدى اوليك الاشقيا الفجار الذين كانوا يقلقون الدولة ويزعجونها فاطبق رايهم على ارسال رجل ذى دراية يقال له بهيج افندى الى مدينة ادرنه ليقابل چلبي مصطفى پاشا وزير الصدارة ويكشف له اسرارهم ويعده بمواعيد كثيرة لكي يحرض العساكر على مساعدتهم بعزل المفتى وكبير اليمق بشرط ان لا يذكر له اسم السلطان سليم ولا يظهر له ما يرغبونه من

هذا القبيل * ولما وصل المامور المذكور قدم كتاباتهم الى چلبي
مصطفى پاشا الذى اخذ يلوم عساكر اليمق ويذم عملهم الذى
احدثوه في القسطنطينية وارسل فاعلم البيرقدار بالاشخاص الذين
ينتمون الى رايهم وينفرون من اعمال عساكر اليمق * وبعد وصول
هذا الجواب الى مصطفى البيرقدار سار بعساكره الى مدينة ادرنه
ولما بلغ اليكيچرية وبعض الوزرا الذين كانوا في مدينة ادرنة مع الوزير
قدوم البيرقدار بعساكره ارتعبوا من هذا الامر لانهم لم يعلموا سبب
ذلك * فارسل البيرقدار يطمنهم ويعلمهم بانه قادم لنجدتهم
واتمام ما يرغبونه فنزل بعساكره خارج المدينة وارسل يشير على
روسا العساكر ان يذهبوا بالعساكر الى القسطنطينية لان الصلح قد تم
مع المسكوب وان اقامتهم في مدينة ادرنه لاتجديهم نفعا ووعدهم انه
يتبع اثرهم حالا لاجل اعانتهم على قرض عساكر اليمق ولاجل
تطمينهم وعدهم بانه يرسل سرا فرقة من جماعته الى القلاع الكاينة على
خليج القسطنطينية التى كانت عساكر اليمق تحافظ عليها ليقتلوا قبقجى
اوغلى كبير عساكر اليمق الذى كان تابعا لعالم اصحاب الفتن فارسل
رجلا يقال له الحاج على اغا سحوبا بامر من الصدر الاعظم ومعه بعض
فوارس وامره انه حال وصوله الى المحل المذكور يقتل قبقجى
اوغلى ويقيم مكانه محافظا على قلاع البوغاز فسار على المذكور بجماعته
ولما اقترب من تلك البلدة اكمن خارجها الى ان اظلم الليل فدخلها
باربعة اشخاص من جنوده وتقدم متنكرا حتى وصل الى محل قبقجى
اوغلى فقرع الباب قايلا عندى امر مهم يقتضى ايصاله الى كبير عساكر اليمق
فلما سمعت خدمه حديثه هذا فتحوا له الباب فدخل بجماعته فسدوا
افواه الخدم واوثقوهم واخذ يفحص عن المكان الموجود فيه قبقجى

اوغلى فوجده نايما في احدى الغرف مع عياله فتقدم اليه بجنوده
وجذبه بيده فانتبه منذعرا من هذا الامر وقال من انتم وباية جسارة
دخلتم منزلى وماذا تريدون منى فقال له على المذكور اني اتيت اليك
لكي انزع روحك من جسدك فقال ما هو ذنبي وباى امر تتجاسرون على
ذلك واذا كان الامر كذلك وتريدون قتلى اتركوني اصلى فرضى فاجابه
على المذكور ياشقى الان ليس وقت الصلوة وفي الحال وكزه بخنجر
في عنقه فطرحه على الارض قتيلا يخبط بدمه ثم انثنى الى راسه فقطعه
ووضعه في كيس وارسله الى البيرقدار الذى كان بغاية الانتظار الى
ذلك واخذ على يفتكر بما يكون من عساكر اليمق متى اصبح الصباح
وعظم الضجيج والصراخ لاسيما مشاهدتهم كبيرهم بلا راس . فامر
جماعته ان يختبيوا فى بعض بيوت تلك القرية لينظر ما سيكون من
عساكر اليمق * وعند الصباح دخل الحاج على الى المكان الموجود فيه
العساكر واخذ يتلو عليهم امر الوزير قايلا انه الان صار كبيرا عليهم عوضا
عن قبقجى اوغلى فلما سمعت روسا العساكر هذا الكلام تعجبوا وعولوا
على تقديم الطاعة الى ريسهم الجديد واذا بضجيج وعويل ثار بينهم
وسبب ذلك ان بعضا من جماعة المقتول عند ما انتبهوا من رقادهم
وشاهدوا كبيرهم مطروحا على الارض بلا راس مضرجا بالدما ضجوا
بالبكا والعويل وساروا بعياله واولاده لابسين اثواب الحزن الى حيث
العساكر مقيمة ليشكوا لهم حالهم ويطلبوا منهم الانتقام واخذ الثار
وكان من عايلة المقتول رجل يقال له سليمان اغا فهذا تقدم الى الجموع
وصرخ عليهم بصوت مريع قايلا لهم يا ايها العساكر الحذر الحذر من
هذه الاعمال ولا تنخدعوا من هذا الرجل وجماعته فهل تصدقون
ان السلطان الذى كان غامرا قبقجى اوغلى بنعمه ويحبه جدا يامر

بقتله بدون سبب موجب فاعلموا وايقنوا انكم اذا تاخرتم عن اخذ ثاركم يكون ذلك وبالا عليكم وعلى المملكة هلموا بنا ناخذ الثار ونقاص القاتلين . فكلام سليمان هذا ونحيب عيال المقتول مع صراخ الاولاد الذين كانوا على ايدى امهاتهن يقدمنهم الى العساكر صيرهم ان يستشيطوا غيظا وغضبا وانثنوا الى سلاحهم ، ففر الحاج على بجواده هاربا الى حيث كانت جماعته ينتظرونه في بعض بيوت القرية التى كانوا حصنوها خوفا من حدوث امر نظير هذا فتبعته العساكر وانتشب بينهم القتال فكانوا يهجمون على الحاج على وجماعته كالذياب الخاطفة ولم ينالوا اربهم منه * ولما اعيوا من القتال وفقد منهم عدد وفيرا اضرموا النار في البيوت القريبة من المكان الذى كان الحاج على وجماعته محاصرين فيه وعندما دنت النار منهم فروا من تلك البيوت الى برج قديم قريب الى تلك المنازل فتبعتهم العساكر واخذوا يطلقون عليهم المدافع والرصاص من كل جهة * ولما بلغ السلطان ما حل بقبقجى اوغلى غضب غضبا شديدا ودعا اليه كبار رجال الدولة واخذ يسالهم عن سبب ذلك وماهى الوسايط اللازمة لتدارك هذا الامر *

واما ما كان من امر البيرقدار فانه عند ما وصل اليه ذلك الرسول طرح امامه راس كبير اليمق فلما نظره تاكد نجاح سعيه وسار حالا بعساكره تابعا اثر الصدر الاعظم الذى قبل وصوله الى القسطنطينية ارسل غالب افندى مشير الخارجية ليعرض للسلطان بان العساكر الاتية مع الصدر الاعظم اتفقوا مع عساكر مصطفى البيرقدار على انقاذ السلطان سليم وارجاعه الى تخت السلطنة ونجاة المملكة من الناس الظالمين الذين خفضوا باعمالهم شرف الدولة العلية ويلتمس

منه قبول ثلثة اشيا * وهي ابطال وجاق عساكر اليمق * وعزل عطا الله افندي المفتي * والعفو عما حدث من العساكر * فقبل السلطان التماسه وبذلك نجا الحاج علي من ايدي عساكر اليمق * وفي ذلك النهار وصل الصدر الاعظم ومصطفى البيرقدار بالعساكر من حرب المسكوب الى القسطنطينية ونزلوا خارج المدينة فخرج السلطان لاستقبال السنجق الشريف وتلطف بالبيرقدار وامره ان يرجع بالعساكر الى حيث كان فامتثل الامر ظاهرا ووعد بالرجوع * غير انه كان مجتهدا سرا باتمام ما كان عازما عليه وهو ارجاع السلطان سليم الى تخت السلطنة * فاخذ يحرض اصحابه علي اتمام ما كانوا يتمنونه * واتفق انه في ذلك النهار خرج السلطان مصطفى للنزهة فاغتنم البيرقدار الفرصة وطلب من الصدر الاعظم المساعدة فانكر عليه ذلك مبينا له سوء عواقب الامور * فحينئذ غضب البيرقدار غضبا شديدا وامر بحبسه ودخل لساعته بالعساكر الى المدينة متظاهرا انه يريد ارجاع السنجق الى مكانه في السرايا * فلما اقبل عليها قفلت الحراس في وجهه الابواب وقال لهم الحاجب من داخل ان الباب لا يفتح الا بامر من السلطان مصطفى * فاجابه البيرقدار بغضب اه يا عبد السوالم تعلم بانه لم يبق للسلطان مصطفى امر بل الامر والنهي لبادشاهنا السلطان سليم ولما بلغ السلطان مصطفى ما كان من امر البيرقدار رجع مسرعا الى السرايا ودخلها من جهة البحر حيث لم يرسل البيرقدار اليها عساكر وامر الحاجب ان يلاطف العساكر برهة من الزمان الى ان يعلم السلطان سليم ويحضر لمواجهتهم * فتوقفوا عن كسر الابواب * وفي الحال ارسل السلطان مصطفى اناسا ليقتلوا عمه السلطان سليم وياتوا اليه بجثته فساروا ولما وصلوا الى مكانه قرعوا الباب ففتحته الخدم لهم لانهم لم

يكونوا يعلمون بشي مما كان لبعد المكان . وفى الحال تقدموا الى
السلطان سليم وهو يصلي صلوة العصر فلاح له الشر بوجوههم فطلب منهم
ان يمهلوه الى ان يتم فرصة لتكون نفسه طاهرة نقية . فلم يصغوا الى
كلامه وطرحوه على الارض فنهض حالا عليهم كالاسد وصرعهم الى الارض
لانه كان قويا جدا . اخيرا تغلبوا عليه وخنقوه ورجعوا به الى السلطان
مصطفى مسرعين كما امرهم وطرحوه امامه فتفرس فيه برهة من الزمان
ثم ارسل جنودا وامرهم بقتل اخيه السلطان محمود وعند ذلك امر ان
يفتحوا باب السرايا فدخل البيرقدار بجماعته مسرعين لانقاذ السلطان
سليم فشاهد جثته مطروحة على الارض فارتعب من هذا المنظر المهول
ورجع الى الورا متذعرا ورفع يديه نحو السما قايلا يا ايها الباد شاه
العظيم العاقل الحكيم صاحب المناقب الحميدة والمزايا الفريدة اى شي
فعلته انا حتى انى عجلت بموتك هل هذا هو النصيب المحفوظ لفضايلك
ثم انطرح عليه وضمه الى صدره واخذ يقبل يديه وقدميه ويبكي
متنهدا ذارفا دموعا غزيرة * وكانت جماعته محدقة به حزينة لحزنه
وكان هدو مرهب عظيم *
اما السيد علي قبودان باشى فاخذ يفتكر بالامر الاهم * وبعد ما ترك
البيرقدار برهة من الزمان مطروحا على جثة السلطان سليم تقدم اليه
وانهضه بيده وقال له الى متى تبكي كالنسا والسلطان سليم يطلب منا
اخذ الثار لا البكا كالنحيب ودعنا نتدارك الامر ونسعى بنجاة
السلطان محمود وجماعة السلطان سليم من يد السلطان مصطفى . فانتبه
البيرقدار من غفلته والتفت الى زمرته قايلا دونكم والسلطان مصطفى
وعليكم بنجاة السلطان محمود لانه هو الوارث الوحيد لتخت السلطنة
الباقى من سلالة ال عثمان العظام * فاخذت العساكر تطلب السلطان

مصطفى وتبحث عن السلطان محمود فلما لم يجدوه ظنوا ان السلطان مصطفى قتله لان جنود السلطان مصطفى الذين ارسلهم لقتل السلطان محمود لما وصلوا الى مكانه وارادوا القنا القبض عليه اركن الى الفرار فرشقه احدهم بخنجر اصاب يده وصعد من اعلى سطوح السرايا والخنجر معلق بيده ولما نظرته جماعة البيرقدار وضعوا له سلما فنزل الى صحن الدار حيث كان البيرقدار . وعند ما نظره البيرقدار فرح فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من اخيه وانطرح يقبل قدميه فانهضه السلطان محمود بيك ودخل به الى القاعة وجلس على تخت السلطنة بالعز والسرور وارسل فقبض على السلطان مصطفى وامر بحبسه في المكان الذى كان محبوسا فيه *

* السلطان محمود خان الثاني *

هو ابن السلطان عبد الحميد ولد سنة ١١٩٩ هـ الموافقة لسنة ١٧٨٥ م وجلس ١٢٢٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٠٨ م *

ولما جلس السلطان محمود على تخت السلطنة فرحت به الناس وترجوا منه العدل والامان وتقوية المملكة والدين وارجاع شرف ال عثمان السلاطين لانه كان سلطانا عظيما تلوح عليه امارات العدل والرحمة والشجاعة والغيرة منذ صغر سنه * فجعل مصطفى البيرقدار وزير الصدارة وسلمه زمام الاحكام * فاخذ يجتهد باخذ الثار . فقتل قاتلي السلطان سليم وكثيرا من اصحاب تلك الحركات والفتن * والسلطان محمود قتل بيده سبع عشرة سرية من سراري السلطان مصطفى اللواتي كن قد اتفقن على قتله وهو نايم * وامر بقتل كبار عساكر

اليمق * ومن ثم سار السلطان بمجره الى جامع ايوب بموكب عظيم ليتقلد السيف الملوكي كجاري العادة *

ولما راقت الايام للصدر الاعظم مصطفى البيرقدار اخذ ينتقم من اخصامه بالقتل والنفي وابتدا بتنظيم عسكر جديد وارسل فطلب اجتماع اصحاب الكلام من رجال الدولة واخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وانفاذ اوامر السلطان طالبا رايهم في ذلك فصادقوه مذعنين لامر السلطان وتعهدوا بالمساعدة في كلما يؤول لنجاح المملكة * وفي الحال اخذ الصدر الاعظم في وضع ترتيبات جديدة اوجبت الملام عليه من كثيرين واضمروا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهارا ويدعونه بالكافر وعلقوا اوراقا في الاسواق وعلى باب داره مكتوبا فيها قد قرب موت الصدر الاعظم * وساروا باسلحتهم يطلبون قتل العساكر الجديدة فباخذوهم بغتة وشتتوهم واحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ولما لم يمكنه الفرار عمد مع سراريه الى مكان مبني بالاحجار داخل داره لينجو من حريق النار وكان في ذلك المكان صناديق مملوة بارودا واسلحة وامتعة ثمينة * ولما بلغ اصحاب الصدر الاعظم رامس باشا وقاضي باشا الذي كان في اسكودار بجانب من العساكر الجديدة هجوم اليكنجرية على دار الوزير وطرح النار فيها اسرعوا لنجدته ولمحافظة السرايا وطرحوا النار في قشل اليكنجرية واطلقوا عليهم المدافع فسكن هيجانهم وضعف املهم لاسيما عند ما بلغهم ان الصدر الاعظم المسكين الذي كان مختبيا في ذلك المكان قد تزيي بزي امراة ونجا من حريق النار وذهب مجمع العساكر التي كانت تميل اليه في اسكودار ليأتي لمحاربتهم * وكان يريد رامس باشا ان يوقف القتال من اليكنجرية اما قاضي باشا لم يطاوعه

لانه كان عدوا مبينا للطائفة اليكيجرية وطلب مداومة قتالهم . واما السلطان محمود فشفق عليهم وامر بكف القتال عنهم * فلما بلغ الشعب ذلك تقدموا الى باب السرايا واخذوا يتهددون عساكر السيمن طالبين منهم تدمير اليكيجرية او تجليس السلطان مصطفى على تخت السلطنة فلما بلغ السلطان ما يطلبه الشعب سلم الى راى قاض باشا وامرهم ان لا يحرقوا بيوت العصاة * فخرج قاضي باشا من السرايا باربعة الاف مقاتل واربعة مدافع وطردوا اليكيجرية الذين كانوا يريدون الهجوم على السرايا وتملكوا احدى قشلهم القريبة من جامع ايا صوفيا وشتتوا العساكر الذين كانوا محيطين بدار الصدر الاعظم المشتعلة بالنار ومن ثم قسم العساكر ثلاثة اقسام قسما منها ابقاه في ات ميدان وارسل قسما الى جهات المدينة ليقتلوا كل من وجدوه من اليكيجرية وعين لهم الملتقى في دار اغا اليكيجرية وسار بالقسم الثالث الى ذلك المكان واخذ يفتك بهم ولكثرتهم تغلبوا عليه فرجع الى السرايا * وكان القتل دايرا والنار مشتعلة في اكثر جهات المدينة لا يمكنهم اطفاها لشدتها واشتغال العساكر بالقتال فمات بسببها خلق كثير * وكان السلطان محمود ناظرا لهذا المنظر المهول من اعلا برج في السرايا فتعطف بالرحمة عليهم وامر ان يكفوا عن قتالهم ويبادروا لاطفا النار . ولنرجع الى ما كان من الصدر الاعظم فانه بعد نهاية الحريقة انطلق بعض من اليكيجرية يفتشون على اشيا في دار الصدر الاعظم المحروقة فدخلوا الى ذلك المكان المختبي فيه فاطلق عليهم الرصاص فقتل منهم بعضا وفر الباقون واعلموا روساهم بذلك فذهبوا ليقتلوا الصدر الاعظم ففعل بهم نظير ما فعل باوليك ولم يزل يقتل منهم بالرصاص حتى كل من التعب ولما يئس من الحيوة امر سراريه ان يخرجن من ذلك المكان ولما خرجن طرح

النار في صناديق البارود فقتل واياهم وكان ذلك سنة ١٢٢٣ ﻫ وهكذا انتهت حيوة هذا الوزير الذي كان يميل كثيرا الى تهذيب العساكر وتعليمهم صناعة الحرب الجديد الذى كان يشق عليهم لانهم كانوا يعدون دخول التعليمات العسكرية الجديدة خطاءً عظيما ويتوهمون انها تضعف شوكتهم وسطوتهم حتى انهم كانوا ينتقمون من كل من كان يتكلم بهذا الامر * ولاجل تسكين تلك الحوادث والفتن صدر الامر بنفي راسم باشا وقاضي باشا وبهيج افندى الذين هم من انصار الصدر الاعظم فطمعت اليكيجرية والقوا النار فى قشل العساكر الجديدة فاحرقوها ثم ارسلوا يطلبون العفو من السلطان فعفا عنهم الى حين * وكان الحرب ثايرا بين الدولة والمسكوب * وفي غضون ذلك احيلت رتبة الصدارة الى يوسف باشا ضيا الذى كان قايد العساكر فى حرب الفرنساوية فى مصر * وصدر له الامر بتكثير العساكر وتجهيز المهمات اللازمة للحرب * وفي نهاية السنة المذكورة كتب السلطان مصطفى وهو فى الحبس كتابا وارسله الى اليكيجرية يحرض به غيرتهم ويطلب منهم ارجاعه الى تخت السلطنة فوقع ذلك الكتاب فى يد البعض من العلما فخافوا من تجديد الفتن والحركات فاجتمعوا فى بيت شيخ الاسلام واخذوا يتحدثون فى عواقب هذه الامور التى ينتج منها اضرار اذا بقى السلطان مصطفى في قيد الحيوة فاختاروا رجلا من بينهم يقال له حاجى منيب افندى كان قاضى اسلامبول ليعرض الى السلطان محمود عن ذلك وعن راى العلما ملتمسين منه قتل السلطان مصطفى * فسار منيب افندى المذكور ومثل امام الحضرة الشاهانية واعرض ما توقع والتمس منه قتل السلطان مصطفى * فاجابه السلطان محمود ان هذا

امر محال وكيف يتصوران يصدر امرى بقتل اخى مع كوني قادرا على منعه عن هذه الاعمال * وبعد محادثة طويلة اعرض له منيب افندى ان الحديث الشريف يقول اذا اجتمع الخليفتان اقتلوا احدهما * فشق على السلطان ذلك وحول وجهه الى شباك هناك ولم يجبه بشى لشدة اسفه على اخيه * فقال منيب افندى ان السكوت هو عين الاقرار . وفي الحال ارسل فدعا اليه كبير البستانجية وقال له ان مولانا السلطان قد صدر امره الشريف بقتل اخيه السلطان مصطفى فاذهب واتم امره فذهب البستانجي پاشى الى مكان السلطان مصطفى وقبل ان يدخل اليه فهم غاية مجيه فاختبا بين فرش كانت هناك فدخل البستانجي الى المكان فلم يجده وعندما كان يبحث عنه وجد خفيه امام تلك الفرش فقلبوها الى الارض فوجدوا السلطان مصطفى مختبيا فيها فمسكوه وخنقوه *

وقد ذكرنا ان منيب افندى عندما تمثل امام الحضرة الشاهانية طال الحديث بينهما فاخشت العلما من عدم قبول السلطان محمود في هذا الامر فذهبوا مع اغا الينكيجرية ودخلوا على السلطان محمود يلتمسون منه اتمام ما اعرض لديه منيب افندى وانه يسمح بقتل السلطان مصطفى واتفق حين دخولهم وقبل ان يبتديوا بالحديث نظر السلطان محمود من الشباك اخراج جثة اخيه فتالم من هذا الامر جدا والتفت اليهم باعين ممتلية دموعا قايلا لهم اسرعوا واهتموا بتكثير الجوش وتحضير المهمات وارسالها الى العساكر وانتبهوا لذلك لانني انا اليوم بحزن عظيم على موت اخى * فحينيذ علمت العلما موت السلطان مصطفى فتوقفوا عن ما كانوا يريدون اعراضه واخذوا يدعون له بطول العمر ويعزونه ويسلونه على فقد اخيه *

وكان الجي الانكليز يهيج ضد الفرنساوية اهالي جزاير اليونان التي اعطاها المسكوب الى بونابورت في شروط مدينة تلسيت * الا انه لم ينجح في عمله هذا لان اهالي جزاير المورا قاموا على الانكليز الذين في بلادهم وطردوهم منها * وكانت المسكوب تتقدم في بلاد الدولة من جهة نهر الطونا فاستولوا على مدينة راسيوت وبعد ايام قلايل على قلعة اسماعيل الحصينة وعلى جملة اماكن ايضا * ولما بلغ الباب العالي ذلك ارسل منشورا الى روسا الجيوش مذكرا اياهم بفتوحات العساكر العثمانية القديمة ومستنهضا غيرتهم الدينية للحرب كما فعلت سلفاؤهم افعالا عجيبة في الزمان القديم *

وفي سنة ١٢٢٦ ﻫ اظهر سليمان باشا والي بغداد العصيان وتوقف عن دفع المال وتقديم العساكر المطلوبة منه فارسل الباب العالي خالد افندي الى بغداد ليقتل سليمان باشا المذكور . ولما وصل اليه قتله اشر قتلة * وفي هذه السنة حدثت وقايع داخلية يطول شرحها *

وكان ابن سعود كبير الوهابية ملحدا قد سولت له نفسه واظهر العصيان فكان يقلق الحجاج ويزعج العباد ويقطع الطرقات * فتوجهت الاوامر الى محمد علي باشا والي مصر ان يسير اليه بالجيوش فاختشى ان يخلي بلاده من العساكر لوجود المماليك في جهاتها فجمعهم بحيلة وقتلهم اشر قتلة وارسل ابنه ترسم باشا وبعد قتال طويل قبض على ابن سعود وارسله الى مصر ومنها الى الاستانة فامر السلطان بقطع عنقه امام الناس ليكون عبرة للناظرين * وكانت الحادثة دايرة بقضية الصلح بين الدولة والمسكوب * ولما لم يتفقا رجع الحرب * وعزل يوسف ضيا باشا لكبر سنه واقيم عوضه احمد باشا والي ابريلا سابقا فاخذ يجمع العساكر وسار بها الى روسجك التي

كانت المسكوب حصنتها تحصينا عظيما بعد ان احرقت كل القرى المجاورة لها * وبعد ما حاصرتها العساكر العثمانية رجعت الى مكان بعيد عنها لتاخذ لها مركزا * فاغتنمت عساكر المسكوب الفرصة وانهزمت منها بالاهالى ليلا الى الجهة الثانية من نهر الطونا . ولما بلغ العساكر فرارهم تبعوا اثرهم واشتبك بينهم القتال في جملة وقايع يطول شرحها * وفى غضون ذلك ولد للسلطان محمود ولد ودعى اسمه مرادا ففرحت الناس به لانهم كانوا يخشون من انقطاع سلالة ال عثمان فقدمت لاجى الدول بالتهانى والهدايا حسب العادة الدارجة *

وسنة ١٢٢٧ ه اجتمع مامورو الدولة والمسكوب في بوكرشت وعقدوا شروط الصلح على ان المسكوب يتولى قطعة بسعربيا وان الدولة تصفح عما حدث من اهل السرب وتسمح بتثبيت كزرنى جورج حاكما عليهم (هوسبودار) وجعلوا نهر بروث الحد الفاصل بينهما . واخذت المسكوب تطلب من الدولة ان تسمح لعساكرها بالمرور في اراضيها لمحاربة الفرنساوية فابت ثم ارسل بونابرت الجنرال اندريوس يطلب من الباب العالى الاتحاد المتين بينهما وان الدولة لاتصغى لكلام الانكليز * وبعد مراجعات عديدة لم يقبل الباب العالى بذلك لان بونابرت كان قد اغاظ سفير الدولة بكلام قاله له فى ديوان باريز ونكث بالعهود التي جرت في مدينة تلسيت * ثم صدر امر السلطان بعزل الصدر الاعظم وروسا العساكر الذين كانوا السبب فى مصالحة بوكرشت لكون الدولة كانت تستنكف من تلك الشروط * وحكم بالقتل على ديمتريوس مهروزى ترجمان المعسكر وعلى اخيه الذى كان ترجمانا في الباب العالى سابقا لسبب افشايهما اسرار الدولة الى الاعدا * واقام خورشيد پاشا وزير

الصدارة . وامر بتجهيز العساكر لحرب المسكوب * ولكن بعد هذا تنقحت تلك الشروط بين الدولة والمسكوب فتوقفت العساكر عن المسير الى الحرب * واخذ السلطان محمود في التدابير والوسايط اللازمة لاصلاح حال اليكيجرية الذين جهلوا صناعة الحرب وتعليمهم على الطريقة الجديدة . وفي تاديب العصاة الذين كانوا يقلقون الدولة ويسلبون راحة العباد كمولي پاشا والي ويدين وبصوان اوغلي وعبدالله بن سعود واهل السرب والبغدان والفلاق واليونان في جهات مختلفة * وسنة ١٢٢٨ ه عندما كان صلح بين الدولة العلية والمسكوب تظاهرت اهالي السرب بالعصيان على الدولة بتعاليم كزرني جورج المارذكره الذي كانت الدولة قد نصبته حاكما عليهم . فاخذ يظلم العباد ويحتشد الاموال ولرداته قتل اباه واخاه لنصحهما اياه ولاعماله السيئة ارسلت اليه الدولة رجب پاشا والي ويدين بالعساكر فهجم على جموعه فشتتها واستلم مدينة بلغراد عاصمة بلادهم * فعند ما نظر كزرني المذكور ان جموعه قد تشتتت فر هاربا والتجا بالمسكوب * ولما رجع الپاشا المذكور بالعساكر العثمان وعاد الى البلاد واخذ يزرع الفساد باشر مما كان ويجمع رجالا لمحاربة عساكر الدولة فقبض عليه ميلوش كبير السربيين واماته اشر ميتة

وسنة ١٢٣١ ه فيما كانت الدولة مشتغلة بالحرب مع الاروام انتهز الاعجام هذه الفرصة وتقدموا بعساكرهم الى حدود بلادها طمعا في الاستيلا على بغداد . فحدث بين الفريقين في جهة القرص وطبراق قلعة وقايع لاتستحق الذكر . ولم يمض الامدة قصيرة حتى مات محمد علي مرزا شاه العجم فتوقف الحرب وخاب امل الاعجام من استرجاع مدينة بغداد *

وسنة ١٢٣٢ هـ عندما كانت الدولة قد اخذت في تسكين تلك الحركات والفتن صدرت الاوامر الى علي پاشا والي يانينا الشهير ان يحضر الى الاستانا ويبرى نفسه من الشكايات الكثيرة التي تقدمت عليه الى الباب العالى . وبما ان هذا الباشا كانت قد سولت له نفسه الخروج من طاعة الدولة . فعند ما بلغته تلك الاوامر اظهر ما كان في نفسه واجاب انه حاكم مستقل واخذ يجمع اليه رجالا من تلك الاطراف ويتاهب لمحاربة الدولة . فلما بلغ الباب العالى ما هو عليه من الغرور والعصيان اصدر الامر بارسال العساكر لمحاربته * وبينما كانت الدولة مهتمة في تاديب العصاة تحرك اهل البغدان واظهروا العصيان بتعليم رجل يقال له الكسندر ابسيلنتي الذي كان يحرض اليونان على الخروج من طاعة الدولة استنادا على مساعدة المسكوب ثم ظهر رجل في الفلاق يقال له ثيادور فاخذ يلقي الفساد بين الرعية ويجعل فيهم الانشقاق ويهيجهم الى العصيان * ولما بلغ الدولة ذلك ارسلت لهم العساكر فشتتت جموعهم في الجهات *

وسنة ١٢٣٦ هـ قامت الاروام في المورا على الاسلام وهجموا عليهم وهم في الجوامع فقتلوا كثيرين منهم من دون ان يعفوا عن النسا والاطفال وفتكوا فيهم فتكا فظيعا تنفر منه الطبيعة * فلما بلغت هذه الاخبار الى الاستانا العلية تاسفت الدولة من هذا العمل المغاير للعدالة السنية وهاجت اليكيچرية وقامت على الروم الموجودين فيها فقتلوا كثيرين منهم وصلبوا بطريرك الروم على باب البطركخانة لانهم كانوا اطلعوا على كتابات كان ارسلها الى الاروام يحرضهم فيها على تلك الاعمال * وكان الاروام يقتنصون مراكب الاسلام ويقتلون من كان فيها حتى انه فيما كان احد المراكب قادما من مصر الى الاستانا قبضوا عليه وقتلوا

الموجودين فيه * وكان من جملتهم احد العلما فاخذوه وقطعوه قطعا صغيرة * ثم احرقوه بالنار . وكانوا يهجمون على السواحل البحرية فينهبون ويقتلون كثيرا من الاسلام ويحركون الفتن فى جميع الجهات فهيجوا اهل جزاير البحر الابيض نظير كريد ورودس وساقس وغيرها الى العصيان * ولما رات الدولة انهم لا يرجعون عن غيهم وعصيانهم اصدرت الاوامر بارسال العساكر لتاديبهم وارسلت تامر محمد على باشا والى مصر ان يرسل جيوشا بالعمارة البحرية لمحاربتهم * فامتثل الامر وارسل ولده ابراهيم باشا بالعمارة والعساكر * ولما وصل الى المورا انضمت عساكره الى عساكر الدولة * وحصلت وقايع كثيرة يطول شرحها كانت الدايرة فيها على اليونان فقتل منهم خلق كثير . وغنمت عساكر الاسلام اموالهم واستاسروا كثيرين منهم *

وسنة ١٢٣٨ هـ تغلبت العساكر الشاهانية على على باشا المار ذكره وقبضوا عليه . ولما تقابل بالوزير خورشيد باشا اخذ يلومه على اعماله . فاجابه لو امكننى لفعلت اكثر من ذلك فاشتد الباشا حنقا عليه وقتله وارسل راسه الى الاستانا ليكون عبرة للناظرين

ولما يئست الاروام من النجاة ارسلوا يستغيثون بالانكليز فاخذت تتوسط امر الصلح تحت شروط * فلم يقبل الباب العالى ذلك كون الرعايا لا حق لهم ان يطلبوا شروطا من دولتهم * وكانت عساكر الدولة لا يكفون عن محاربة اليونان فكان الحرب ثايرا برا وبحرا مدة طويلة

(وسنة ١٢٤١ هـ) لما كان السلطان محمود يرغب من برهة طويلة تعليم اليكنجرية صناعة الحرب الجديد امر محمد سليم باشا الصدر الاعظم ان يجمع وكلا الدولة واجلا العلما وقواد اليكنجرية فى بيت شيخ الاسلام قاضى زاده طاهر افندى ويتلو عليهم الامر الشاهانى بهذا

الشان * فلما اجتمعوا اخذ الصدر الاعظم يبين لهم متاسفا على سوء
حالة اليكيجرية في هذه الايام الاخيرة وماهم عليه من الجهل والغباوة
وعدم الطاعة لروسايهم * ثم تلا عليهم الامر الشاهاني الاتي ذكره
فاجابت العلما ووكلا الدولة وكبار اليكيجرية ان مداواة هذا الدا الذى
يودى الى خراب عظيم هو من اهم الامور *

* صورة الامر السلطانى *

انه منذ وجود الدولة العثمانية التى نحن عايشون بظل حمايتها
السعيد قد اظهرت سلاطين ال عثمان كافة (امد الله سلسلة دولتهم
الى اخر الدوران) الغيرة الكاملة لحفظ الفرض الالهى الذى يامر
بمحاربة الاعدا * ومن جرى اهتمام اوليك السلاطين العظام بتهييج
النخوة الحربية فى قلوب الاسلام واقادتهم الى الجهاد قد تلالات
شجاعة العساكر العثمانية وانتشرت فى اقطار المسكونة كافة * والاعدا
الذين كانوا قديما يقحمون صفوف جيوشنا قد كانوا غنيمة لسيوفنا
وكان لابطال الاسلام حق التبختر في ميدان المجد حاملين غنايم الامم
وكان القصد بوضع وجاق اليكيجرية الفتوحات وتقوية الدين لكونهم
من المحاربين الاشدا المعضدين بالعناية الالهية كما تخبرنا التواريخ
بانتصاراتهم فى كل الوقايع * لان فتوحاتهم العجيبة قد ارعبت قلوب
الدول الافرنجية * وهم كانوا يقتنعون بماهياتهم المرتبة لهم ويجتمعون جميعا
تحت السناجق مستعدين لانفاذ اوامر قوادهم طبق القوانين التى
وضعت لهم على احسن اسلوب * لكن من مدة جيل ابتدات تدخل
بينهم المفسدون فافسدوا تعاليمهم وفككوا سلاسل خضوعهم فتورطوا
في المعاصى * ومن ثم صاروا ياخذون رواتبهم ويتقاعدون عن
الحرب مشتغلين بالملاهى والتعدى * فتملكت فيهم العوايد الردية حتى

انهم تجاسروا علي بيع اوراق معاشاتهم الى اشخاص غير اهل للعسكرية وجعلوهم مكانهم * فهذا الامر القبيح قد ازداد رويدا رويدا حتى ان العساكر الذين فيهم اللياقة للحرب قلت من وجاقاتهم * وصار هذا الوجاق عديم الترتيب مجموعا من اشخاص غير اهل لذلك * فاضحى بابا لدخول الجواسيس فيه ومصدرا للحركات والفتن * فضعفت قوتهم وخمدت حرارتهم * ولما رات اعداونا ضعف عساكرنا اغتنموا الفرصة وتجاسروا علي محاربتنا والتعدى على مملكتنا * فانتم يا ال محمد ويارجال الدولة العثمانية العتيدة ان تدوم الى اخر الدوران . ويا ايها الضباط من كل الرتب . ويا جميع المومنين المحامين عن الدين والوطن ومحبي الايمان والجد والعلا . هلموا الينا ولنجتمع سوية لاصلاح هذا الخراب ونقيم امام وطننا سورا من العساكر المتعلمة التى تطلق رصاصها يصيب الهدف ويهدم مجموع الاختراعات الحربية الناشية فى البلاد الافرنجية وهذه القوة لا يمكن الوصول اليها الا بدرس الصناعة الحربية وممارستها لان معرفتها ضرورية للانتصار على العدو الذى تعلمها * والذى حملنا على اصدار امرنا هذا بانشا عساكر جديدة تحت قوانين ونظام هو الهام من الله تعالى لاتمام الفرض الدينى المتوجب علينا ولتوطيد قوة المملكة العثمانية وارجاع ما فقدته الاسلام من الشرف والقوة التى القت الرعبة فى العالم * (انتهى)

وبعد تلاوة هذا الامر امتثله كل الحاضرين وتعهدوا بانفاذه وشرعوا فى انشا عسكر جديد انتخبوه من اجواق الينكيجرية وكانوا يعلمونه التعاليم الجديدة . غير ان بعضا من الذين كانوا حاضرين فى ذلك الديوان وتعهدوا بالمساعدة وانفاذ اوامر السلطان نكثوا بعهدهم وتعصبوا سرا مع الينكيجرية لابطال هذا التنظيم وساروا بجمع

غفير وهجموا على بيت الصدر الاعظم محمد سليم پاشا وعلى بيت نجيب افندي كتخدا والي مصر محمد على پاشا وعلى كل من كان يخصه وكانوا يطعنون في محمد على پاشا لكونه قتل المماليك وكان اول من وضع تعليم العسكر الجديد * وساروا في طلب كل من كان يميل الى وضع العسكر الجديد. واخذوا ينادون في شوارع المدينة اليوم قتل العلما وكبار رجال الدولة وكل من كان السبب في وضع النظام الجديد فكانوا ينهبون البيوت ويطرحون فيها النار ويقتلون من صادفوه * اما الصدر الاعظم ففر منهم وحضر فاعلم السلطان بتلك الحوادث فامره ان يجمع الطوبجية والاسلام امام باب السرايا * فاجتمع في ذلك النهار جمع غفير من العلما ورجال الدولة ينتظرون خروج السلطان اليهم * فلما وصل اخذ يحدثهم بكلام يهيج به نخوتهم فاقسم جميعهم على انهم يهريقون دماهم في صيانة اوامره والتمسوا منه اخراج السنجق الشريف ليهجموا على العصاة * فرام السلطان ان يكون معهم فتوسلوا اليه ان لا يتنازل الى ذلك * وارسلوا ينادون في شوارع المدينة ويدعون الاسلام للاجتماع تحت السنجق الشريف . واليكيجرية ارسلوا اناسا من جماعتهم ينادون في شوارع المدينة ويدعون اليكيجرية للاجتماع حول الجلاقين ولما قرعت اصوات المنادين اذان الاسلام اسرعوا الى فسحة السرايا افوجا افواجا ففرقوا عليهم السلاح وسلم السلطان لشيخ الاسلام قاضي زاده طاهر افندي السنجق الشريف وعاد الى كرسيه الملوكي وكان يشرف على الجموع امام السرايا *ومن ثم سار محمد سليم پاشا الصدر الاعظم امام تلك الجموع التي كانت اكثر من خمسين الفا * وشنوا الغارة على اليكيجرية صارخين الله اكبر على الاشقيا وهجموا عليهم وعلى اتراسهم واطلقوا المدافع والرصاص وكان يوم مهول عظيم فقتلوا منهم نحو

عشرة الاف والباقون فروا الى قشلهم وتحصنوا فيها فهجمت عليهم العساكر
والاهالى وطرحوا فيها النار فاحترق كثير منهم ومن بقى ولى الادبار
ثم قبضوا على كثيرين منهم فقتلوهم وطرحوا فى فسحة ات ميدان جثثهم حيث
اليكيجرية كانوا يلقون جثث الذين كانوا يقتلونهم من رجال الدولة الابريا

وبعد ذلك دعا السلطان اليه العلما ووكلا الدولة واخذ يريهم
اثواب السلاطين العظام الملطخة بالدما الذين قتلهم اليكيجرية
العصاة طالبا ثمن دم السلاطين الاربعة . فاجابت العلما ان ثمن دم كل
سلطان خمسة وعشرون الف نفس * ومن ثم صدرت الاوامر بتدمير
اليكيجرية في الاستانا العلية وفى جميع جهات البلاد . فقتل منهم عددا وافرا
وانتشرت الافراح عند الجميع وراقت للسلطان محمود الايام وارتاحت
الدولة والناس من مظالم اليكيجرية . وتوزعت الانعامات على الذين
ظهرت منهم الشجاعة في تلك المعركة . وقتل ونفى كل من كان يخالف
امر السلطان ويميل الى اليكيجرية وقطعت شافة عساكر اليمق الذين
كانوا السبب في قتل السلطان سليم والحق بهم دراويش البكطاشية
لكونهم كانوا يميلون الى اليكيجرية ويفعلون فى تكياتهم افعالا شنيعة
محرمة وبدعا مرذولة وامرا بقتل اكثرهم وهدم تكياتهم * واخذت الدولة
فى تكثير العساكر النظامية واصلاح حال المملكة . واقيم اغاحسين باشا سر
عسكر . وجعلت السرايا العتيقة الكاينة في جوار السلطان بيازيد باب السر
عسكرى . واقيم الحاج صايب افندى ناظر العساكر . ويكتا افندى كبير
كتاب العساكر وداود اغا بكباشى اول وعثمان اغا وجاق اغاسى
وابطلت فرق العساكر القديمة المسماة بالوجاقات وادخلتها فى سلك
العساكر الجديدة *

وفى هذه السنة ايضا كان الحرب لم يزل ثايرا فى بلاد الاروام

الذين يئسوا النجاة واخذوا يطلبون من الدول الافرنجية انقاذهم
فاخذت الدول تتوسط امرهم مع الباب العالى فلم يجبهم الى ذلك . وحينئذ
اجتمع وكلا الدول انكليز وفرنسا ومسكوب فى مدينة لوندرا واتفقوا
على شروط لنهاية هذا الحرب وقدموها الى الباب العالى وقرر رايهم على
انه اذا كانت الدولة لا تقبل تلك الشروط يساعدون الاروام في المورا
فاستنكفت وكلا الدولة من مداخلة الدول الاجنبية بين الدولة ورعاياها
ولم يقبلوها . فارسلت الدول المذكورة عمايرهم وعساكرهم ينجدون الاروام
فى المورا وحصلت وقايع بين الفريقين كان النصر فيها لعساكر الدولة
فاستولوا على اماكن عديدة فى المورا واخضعوا مدينة اثينا ومسولنك
وسيسام وجزيرة كريد عنوة * وحينئذ طلبت الدول الهدنة فلم تجبهم
الدولة الى ذلك بل صدر الامر بتشديد الحرب . فسارت عمارة الانكليز
مع عمارتي فرنسا والمسكوب الى مينا ناقارين قاصدة عمارة الدولة
العلية * وارسلوا يطلبون من ابراهيم پاشا توقيف الحرب فلم يجبهم الى
ذلك بدون امر من الدولة * وفيما هو مشتغل فى محاربة الاروام
في جهة اخرى بعيدا عن ناقارين دخلت مراكب الدول الثلاث
المذكورة عنوة واطلقوا النار على مراكب الدولة وهى راسية فى الميناء
ولم يمض الا نحو ثلث ساعات حتى احرقوا اكثرها بعد ان قاومتهم
مقاومة شديدة . وبينما كان الحرب مشتبكا خرج چنكل اوغلى طاهر پاشا
بمركب صغير وخرق مراكب الدول واتي الى الاستانا بسرعة غريبة
واعلم السلطان بما توقع . فاصدر منشورا شريفا يدعو الاسلام الى الجهاد
* فحواه * انه لما كانت غاية الاعدا ضعف قوة الاسلام وذلهم
كان فرضا على كل مسلم من الاغنيا والفقرا ان يجاهد بماله ونفسه
وان ينهضوا جميعا بغيرة دينية لصيانة الدين والمحاماة عن امر

المومنين فينالوا السعادة في الدارين اهـ *

ثم اخذت الدولة في ترميم المراكب المتعطلة وتحصين القلاع الكاينة جهة چنق قلعة ونهر الطونا وتجهيز العساكر والمهمات وبنت اربع وعشرين مركبا من المراكب الكبيرة *

وبينما كانت الدولة في هذا الاهتمام اقام الايمبراطور نيقولى بماية الف مقاتل الى حدود بلاد الدولة جهة الطونا وارسل جيوشا من عساكره الى جهة اسيا تحت رياسة الكومت بسكاويش * فلما قطعت المسكوب نهر البروث حنقت الدولة وارسلت الجيوش تحت قيادة الصدر الاعظم سليم محمد پاشا واغا حسين پاشا الى نواحي الطونا . فتغلبت عليها عساكر المسكوب واستولوا على جلة اماكن * ولما بلغ الباب العالى تلك الحوادث اجتمعت وكلا الدولة في بيت القيمقام خلوصى احمد پاشا واخذوا يتحدثون في امر الصلح لكون الدولة كانت فى ضيقة من قلة العساكر ووجود الاموال فى الخزينة . واعرضوا ذلك على السلطان فلم يوافقهم لان دلى امين افندى اخا برتو پاشا مع البعض من المامورين كانوا دايما يعرضون للسطان بخلاف الواقع *

وكانت عساكر المسكوب تتقدم جهة شوملا واقاموا الحصار على سيلسترا ووارنا وحصلت واقعة بين الفريقين فى نواحي شوملا في كلفجه كانت النصرة فيها للعساكر الشاهانية ولكن لسبب خيانة يوسف پاشا سرزلى استولت المسكوب على مدينة وارنا ففر الپاشا المذكور الى بلاد المسكوب فصدر الامير بضبط املاكه وامواله * ولما كان محمد سليم پاشا لم يظهر ما عنده من المعارف نفي واقيم مكانه عزت محمد پاشا * وارسل السلطان يامر محمد على پاشا والى مصر بارسال عشرين الف مقاتل لحرب المسكوب فابي فاغتاظ السلطان محمود من

وفي اثنا ذلك سارت سرية من عساكر الدولة الى جبل البلكان فتركت المسكوب حصار شوملا ولحقت بهم بعدما استولت على سيلسترا وكانت المحادثة دايرة بين روسا عساكر الدول الثلاث وابراهيم پاشا بخصوص توقيف الحرب ورجوعه الى مصر فاجاب انه ينتظر امر والده . فتوجه الاميرال كوكرن الانكليزي الى الاسكندرية وطلب من محمد على پاشا امر بهذا الشان فارسل محمد على يامر ابراهيم پاشا بالرجوع فرجع بالعساكر الى الاسكندرية * واما فرنسا فكانت اخذة في زيادة المهمات الحربية لضرب ابراهيم پاشا اذا توقف عن الرجوع *

واما المسكوب فكانوا يتقدمون في جهة اسيا فتملكوا القرص وبيازيد وطبراق قلعة وارض روم واستاسروا صالح پاشا والى ارض روم واما حسين پاشا فحصل بينه وبين المسكوب وقايع عديدة في شوملا وصدهم بواسطة شجاعته وحسن تدبيره عن الاستيلا عليها *

وفي سنة ١٢٤٥ ه رجع ايمبراطور المسكوب الى بطرس برج وجهز ماية وستين الف مقاتل واقام عليها قايدا الجنرال يابتش فقام بها الى حدود بلاد الدولة ونزل على ادرنه وحاصرها حصارا شديدا حتى استلمها تحت شروط . ولما بلغ وكلا الدولة ذلك استشاطوا غيظا . واخذوا يتاهبون لمصادمتهم . وحينيذ صار انعقاد ديوان من وكلا الدولة ومامورى الدول الافرنجية . وبعد محادثة طويلة عول رايهم على ارسال مامورين من طرف الدولة الى المعسكر لاجل المحادثة في امر الصلح *

وفي اواخر السنة المذكورة انعقدت شروط الصلح بين الدولتين فخرجت عساكر المسكوب من البلاد التى افتتحتها وصار نهر البروث الحد الفاصل بينهما * وصار الاتفاق بان الفلاق والبغدان والسرب

تكون تحت نظارة المسكوب ويكون حاكمها من طرف الدولة . وعلى ان انابا وبوتي واخلسيكي واسكور من بلاد الدولة تبقى بيد المسكوب وعلى ان الدولة تدفع لهم مصاريف الحرب * وفي اثنا ذلك امضى الباب العالي الشروط التي تقدمت له من الدول بخصوص ابطال الحرب واستقلال الاروام حسبما كانوا اتفقوا عليها في مدينة لوندرا * ولما كان مصطفى باشا والي اشكودرا يظهر العصيان ارسلت اليه الدول فرقة من العساكر فتغلبوا عليه واتوا به الى الاستانا *

ولما ارتاح السلطان محمود من الحروب والحركات الداخلية اخذ في اصلاح شان المملكة وتكثير العساكر وتقوية العمارة البحرية وامر بوضع الكورنتينا * وبما ان محمد علي باشا والي مصر كان تاخر عن دفع الاموال الاميرية المرتبة على الديار المصرية ارسلت الدولة تطلبها فادعى ان المصاريف النافدة منه على العساكر في مدة الحرب تساوي قيمة المطلوب منه *

وفيها استولت الفرنساوية بقوة جبرية على جزاير الغرب مدعين ان اهلها كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر في تلك الجهات ويفتكون بهم . فلما بلغ الباب العالي ذلك ارسل طاهر باشا قبودان باشي الى الجزاير يتعاطى الصلح بينهم وبين احمد باشا والي الجزاير. فلما وصل واراد النزول الى البر منعته الفرنساوية فعاد راجعا الى القسطنطينية *

وسنة ١٢٤٧ هـ الموافقة لسنة ١٨٣١ م عندما كانت الدولة خارجة من لجج تلك الحروب ومجتهدة في اطفا نيران الفتن الداخلية التي اضطرمت بسبب اضمحلال الينكجرية وتسكين القومات الخارجية وتاديب اهل البغي والفساد وتعليم العساكر وجمع الاموال الى الخزينة

اغتنم محمد على باشا الفرصة وارسل ولده ابراهيم باشا بثلاثين الف مقاتل برا واردفهم بالعمارة بحرا لافتتاح مدينة عكا مظهرا الانتقام من عبدالله باشا لاسباب كانت بينهما * ففتح في طريقه غزة ويافا وحيفا ونزل في عشرين من تشرين الثاني على قلعة عكا فحاصرها برا وبحرا فلما بلغ الدولة ذلك غضبت وارسلت تامر محمد على برجوع العساكر وانه اذا كان بينهما دعوى يقدمانها الى الباب العالى فينصف بينهما فلم يمتثل لامر الدولة وترك ابراهيم باشا محاصرا قلعة عكا *

واما عبدالله باشا فلما بلغه قدوم العساكر المصرية لم يبال بذلك اعتمادا على ما كان يومله من امداد جبل الدروز له * وكان ابراهيم باشا قبل وصوله الى عكا كتب الى المير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان ان يوافيه الى عكا . فتوقف عن ذلك خوفا من تكدير خاطر الدولة عليه * فداخل ابراهيم باشا الخوف من هذا الامر لانه كان عالما بانه من دون استمالة حاكم الجبل اليه لايمكنه ان يمكث يوما واحدا تجاه اسوار عكا بالعساكر المصرية . فكتب الى والده محمد على يخبره بذلك * واما المير بشير فجمع اليه اوجه البلاد وطلب رايهم بهذا الخصوص * فقالوا ان التسليم الى محمد على اوفق اولا لكوننا قد زهقت انفسنا من احكام عبدالله باشا * ثانيا لانه كان قد عصى على الدولة ولربما مجى العساكر المصرية الى عكا هو بامر الدولة لاجل تاديبه *

واما محمد على باشا فلما بلغه توقف المير بشير عن التوجه الى مقابلة ابراهيم باشا غضب من ذلك وكتب اليه كتابا يتضمن الغضب عليه ويتهدده بانه ان لم يطع ويحضر الى معسكره والا يرسل فيهدم داره ويقلع اثاره * واما المير فاستصوب راى اهل البلاد وسار بماية فارس الى معسكر ابراهيم باشا ولما وصل ترحب به واثني عليه ووعده بالخير

وكتب الى ابيه يعلمه بقدوم الامير اليه فحضر الى الامير هذا الكتاب

بعد التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم والسوال عن خاطركم انه قد وردت الينا كتابتكم العربية الحاوية خلوصيتكم المتضمنة سبب عاقة حضوركم الى معونة ولدنا ابراهيم باشا فيا امير انا عالم بخلوص محبتك لنا لكن لما كانت الاخبار اليومية تورد لنا ولم نرا فيها خبر حضورك لاعانة ولدنا الموما اليه قد ضاق صدري جدا وكتبت لك ذلك الكتاب السابق المتضمن تكدير خاطرنا عليك وعند ما بلغنا حضورك الى معسكرنا وطاعتك لنا لم يبق للتكدير اثر وتحققت محبتكم عندنا فيا امير كلانا شيخان مسنان فلا يليق بنا ان نتهادى بالسلاح فلذا واصل لحفيدكم الموجود معكم زوج طبنجات وسيف ذهبا يتقلد بهما بالصحة ومنذ الان فصاعدا لا تخلونا من التذكار مع ما يلزم هذا مامولنا * ا

ولما بلغ الدولة قدوم عساكر محمد على باشا الى عكا ابرزت منشورا شريفا تعلن به عصيانه وتنزيله عن حكومة مصر * وخرج حسين باشا اغا الينكجرية سابقا بالعساكر من الاستانا *

وكان ابراهيم باشا قد اطمان قلبه من جهة جبل لبنان فامر بتشديد الحصار على عكا برا وبحرا وامر بحفر الخنادق وعمل سورا من التراب وركب عليه المدافع وارسل اناسا من جماعته فاستولى على صور وصيدا وبيروت وارسل لها محافظين ووجه عسكرا لتسليم طرابلس وامر الامير ان يبعث بولده الامير خليل بالف نفر من البلاد الى طرابلس وصدر الامر الى محمد باشا والى حلب ليجمع العساكر ويسير لمحاربة ابراهيم باشا * فارسل امامه عثمان باشا اللبيب بالعساكر ليستولي على المدن البحرية ويشغل ابراهيم باشا عن اخذه عكا * وتقدم بالجيوش

الى حمص . فاستولى على اللادقية وتقابل بالعساكر المصرية خارج طرابلوس فحاربهم وكسرهم واخذ منهم سرية فانجدهم والى طرابلوس والمير خليل فانكسر ورجع الى بلاد الحصن . حينيذ وفد ابراهيم باشا بعسكر فتبع اثره الى حمص ولعدم وجود المهمات شقت عليه الاقامة هناك فعاد راجعا الى بعلبك * فسار عثمان باشا في اثره بالعساكر فادركه في قرية الزراعة وتحاربا هنالك فانكسر عثمان باشا ورجع الى حمص حيث السرعسكر محمد باشا والى حلب . واتي ابراهيم باشا الى دير القمر وترك فيها معسكرا خوفا من اهل البلاد ثم عاد الى عكا وشدد عليها الحصار وهجم عليها هجمة قوية فاستلمها في ٢٧ ذى الحجه سنة ١٢٤٧ هـ وقبض على عبدالله باشا وارسله بحرا الى الاسكندرية وامر العساكر ان تنهب بيوت الاهالى * ثم نهض بالعساكر الى افتتاح دمشق * وكان المير بشير متاثرا باطنا من ذلك لعلمه ان المهمة التى كان يقصدها والى مصر اخذ عكا فقط *

وكان ابراهيم باشا غير مستخلص المير بشير فاصحبه معه الى دمشق اختشا من فراره الى معسكر الدولة * وكان المير عازما على ارسال عياله الى حلب واستغنام الفرصة للفرار من ابراهيم باشا الى معسكر الدولة * ولما وصل ابراهيم باشا الى داريا قرب دمشق خرج اليه على باشا وزيرها بعسكر واشتبك الحرب بينهم فكسرهم ابراهيم باشا وخرجت اعيان المدينة يسالونه الامان فامنهم ودخل المدينة واستلمها وتقدم الى حمص واشتبك القتال بينه وبين محمد باشا والى حلب الذى كان ينتظر حسين باشا القادم بالعساكر من الاستانا وكان يوما عظيما وحربا شديدا من اشهر الوقايع قتل فيه خلق كثير واستولوا على المهمات جميعها وعاد محمد باشا بما بقى معه من العساكر

الى حلب فالتقى بحسين باشا قادما فاعلمه بما جرى فعادا بالعساكر الى حلب فقفلت في وجوههم الابواب فغدوا منها سايرين جهة انطاكية ولما وصل ابراهيم باشا الى حلب خرجت اهالى المدينة لاستقباله فدخلها واستلم ما كان فيها من المهمات والذخاير . ومنها سار فى اثر العساكر وحاربهم فى انطاكية ثم فى بوغاز بيلان *

ولما بلغ الباب العالى تقدم العساكر المصرية سير رشيد باشا الصدر الاعظم بالجيوش لحربهم فتقدم الى ايقونية والتقى الجيشان وانتشب القتال واصطدم الفريقان * وكانت واقعة عظيمة شهيرة ولما دخل الظلام وشاهد رشيد باشا ان اكثر عساكره ولوا هاربين انتضى سيفه ودخل بين الجيوش يشجعهم على الجلاد وبينما كان جايلا بينهم بنفسه صايلا على الاعدا كالاسد الزاير لم يدر الا وهو بينهم فعرفوه وقبضوا عليه واتوا به الى ابراهيم باشا فقبله بكل اكرام * وبعد ذلك خلى سبيله فرجع الى الاستانا * وقتل فى تلك المعركة خلق كثير من الفريقين * ولذلك توقف الباب العالى عن قبول توسط دولة فرنسا بتسليم محمد على ولاية عربستان وادنه ومصر * ومن ثم صدرت الاوامر الى حافظ باشا ان يسير بالجيوش لمحاربة ابراهيم باشا فتقدم اليه سنة ١٢٥٥ هـ الموافقة لسنة ١٨٣٢ م ونزل في سهل قرب نزيب * ولما بلغ ابراهيم باشا قدوم حافظ باشا تقدم بعساكره لمحاربته ومر فى واد هناك عسر الطريق فبلغ حافظ باشا قدومه فارسل اليه سرية من عساكره وانتشب الحرب بين الفريقين فانكسر ابراهيم باشا بعساكره كسرة هايلة ورجع على اعقابه * فارادت قواد العساكر ان تتبعه فلم ياذنهم حافظ باشا بذلك استخفافا به بقوله ان الاستظهار على عسكر قليل في واد كهذا لا يعد من فنون الحرب وامر بارجاع العساكر

الى المعسكر * واما ابراهيم باشا الذى كان قد يئس من النجاة فلما
راى رجوع العساكر عند اشتدت عزايمه وجمع عساكره وخرج بها من
فم تلك الوادى وصعد الى تل تجاه معسكر حافظ باشا واخذ يطلق
عليهم المدافع فعطل اكثر مدافعهم وفرق صفوفهم ثم هجم عليهم بعساكره
هجمة هايلة فانكسروا امامه تاركين مدافعهم ومهماتهم عايدين الى
مرعش وقتل من الفريقين خلق كثير *

وهذه الواقعة هي اشهر الوقايع التي حصلت في تلك الحروب
واعقبها ابرهيم باشا بفتح اكثر جهات البلاد ولم تصل اخبارها الى
القسطنطينية الا بعد وفاة السلطان محمود بثمانية ايام * وكانت قلوب
رجال الدولة لم تزل الى ذلك الوقت متاثرة التاثر الشديد من وفاة
السلطان محمود الذى حزنت عليه الناس حزنا عظيما وعظم على الجميع
امر وفاته لانه كان سلطانا جليلا شجاعا عاقلا ذا همة علية واوصاف
محمودة فاق على من تقدمه من سلاطين الدولة العثمانية واباد وجاق
الينكجرية ووضع سلك العساكر النظامية وغزا غزوات كثيرة وفعل
افعالا جليلة تستحق الذكر المؤبد والثنا الموطد * وكانت

ايام خلافته رحمه الله تعالى اثنتين وثلاثين سنة
وعشرة اشهر وكانت وفاته سنة ١٢٥٥
وله من العمر خمس
وخمسون سنة



حضرة السلطان عبد المجيد خان الغازى ابن السلطان * محمود خان الغازى *

حضرة السلطان عبد المجيد خان (ادام الله اجلاله وشيد بالنصر اعلامه) جلس على تخت الخلافة بالعز والاقبال بعد وفاة ابيه السلطان محمود خان اسكنه الله جنة تجرى من تحتها الانهار وبعد جلوسه (حفظه الله تعالى) اخذ يجرى مجرى والده على منهج الرحمة والعدالة فامر بارسال الليوث الكاسرة والعساكر الفاتحة الى البلاد الشامية فحاربوا العسكر المصرى فكسروه كسرة هايلة فولى الادبار وخلت منهم الديار ودخلت العساكر الشاهانية بالنصر في تلك الاقطار * وانتشرت الافراج عند الجميع داعين بتخليد سرير هذه السلطنة الى نهاية الدوران * وامر بارجاع العمارة البحرية الى القسطنطينية التى هرب بها محمد باشا القابقجى الخاين المحتال الى الاسكندرية * واخذ حضرته فى تتميم ما كان قد ابتدا به والده المرحوم السلطان محمود من الترتيبات والتنظيمات لراحة العباد اجمعين وتثبيت دعايم المملكة والدين * واصدر منشورا شريفا يتضمن ما فاضت به مراحمه السنية وشفقته على جميع الرعية من اصول العدالة بين العباد ومنع المظالم وردع اصحاب البغى والفساد وامر بتلاوته بحضور ذاته الشريفة فتلى في المحل المعروف بالكلخانه على روس الاشهاد بحضور حضرة شيخ الاسلام والوزرا العظام والعلما الكرام ووكلا الدول المتحابة وروسا الملل وذوى المقام * ثم امر بنشره فى كل البلاد ليحيط به الجميع علما * فدعوا له بطول العمر والاقبال * وقد ضحك

ثغر البلاد بوروده وانتعشت ارواح الاهالى بنشر وروده وبزغت شموس الافراح فى افق اوانه الحميد ولمعت اشعة الامان في سماء زمانه المجيد وابتهج الوجود بوجود حضرة مصدره مصدر العدل والامان وامطرت الافاق شابيب الرحمة والاحسان * واغاث الانام بوابل السرور فرتعوا فى فراديس الامن والحبور * فنسال الله تعالى ان يجعل عمر حضرته بعرض الصحة طويلا وافرا مديدا محفوظ الجناب محروسا محيا موفقا سالما سعيدا * وان يشيد بالسعادة والاسعاد اركان دولته ويرفع بالعز والاقبال اعلام صولته * وان يديم لرجالها الكرام السعد والاقبال والرفعة والتوفيق والاجلال وان ينشر على الانام لوا ظلها الظليل ليدوم لرعاياها فى حماها حسن المنقلب والمقيل انه اكرم * مسئول واعظم مامول *

* ملك اضا على الانام بسبعة * احيى الزمان بها فمات الحسد *
* حزم وعدل رحمة وطلاقة * حلم وبذل غيرة لاتجحد *
* دانت لباب جلاله امم الورى * فغدت بشوكته تسر وتسعد *
* خضع السداد لحزمه وبعزمه * هزم العدا بالسيف حيث يجرد *
* فاذا الخطوب تجمعت فاتلولها * عبد المجيد فانها تتبدد *
* واذا تصور فى الدجنة ذاته * لاح الصباح ونوره يتوقد *

هذا ولما كانت ايام حضرة صاحب الشوكة والعظمة بادشاهنا الجليل تستحق المدح والثنا الجميل والذكر الحسن وجب ان نفرد لذكرها فصلا بذاته نزين به الجز الثاني من كتابنا ولنختم الان الجزا لاول بصورة المنشور الشاهانى الذى فاضت به المراحم الخاقانية * والعدالة الملوكية رحمة للانام *



فحوى الخط الشريف الهمايونى

الذى تلى في المكان المعروف بالكلخانه

لا يخفى انه منذ ابتدا ظهور دولتنا العلية كانت الاحكام القرانية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة فى غاية المراعاة الكاملة ولذلك كانت قوة سلطنتنا السنية وثبوتها مع راحة جميع الرعايا ورفاهيتهم وعمار البلاد فى غاية ما يكون من الكمال * ولكن منذ ماية وخمسين سنة لم يعد انقياد كما يجب ولا امتثال لا للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة لسبب ما طرا عليها من الحوادث الكثيرة * ولهذا قد تحولت تلك القوة الى ضعف والراحة الى التعب والعمار الى الدثار * واية مملكة لا تقوم بحفظ القوانين الشرعية تاول الى الاضمحلال * ومنذ جلوس سلطنتنا علي تخت الخلافة اتجهت افكارنا الخيرية خاصة الى عمار البلاد وراحة العباد * فنظرا الى مواقع ممالك دولتنا العلية واراضيها الخصبة وقابلية اهلها واستعدادهم اذا اخذ فى عمل الوسايط اللازمة يشاهد سرعة حصول المقصود بتوفيق الله تعالى في برهة خمس او عشر سنين

فاعتمادا على عون الله تعالى واستمدادا بروحانية نبينا قد شوهد من الامور المهمة اللازمة وضع قوانين جديدة لحسن ادارة دولتنا العلية وممالكنا المحروسة * ونتيجة خلاصة هذه القوانين هى عبارة عن امنية الحيوة وصيانة العرض وحفظ شرف الانسان وامواله وتعيين مال الويركو وطريقة اخذ العساكر ومدة استخدامهم * فلا يوجد فى الدنيا شئ افضل من الحيوة والعرض والشرف *

فالانسان اذا نظر لهذه الامور وكانت على خلاف رضاه ييئس من الحيوة ويبادر الى حفظ حياته وشرفه باعمال يؤذى بها الدولة والبلاد *

وبخلاف هذا اذا كان مطمئنا على حياته وعرضه وشرفه لا يحيد عن طريق الاستقامة ويكون مجتهدا في حسن الخدمة للدولة والملة

واذا كان الانسان غير مطمين على ماله فيتاخر عن الاهتمام فى كل ما يأول لنجاح الدولة وعمار البلاد بخلاف ما اذا كان مطمينا عليه فيكون مهتما فى اعماله ومجتهدا في توسيعها وتتضاعف عنده الغيرة للدولة والملة وحب الوطن ويبذل نفسه دونها * فهذا الامر يجعله ان يكون مستعدا لكل فعل حميد * واما ترتيب مال الويركو (اى المطاليب الاميرية) فهو من اهم الامور لكون الدولة يقتضى لها نفقات كثيرة لتجهيز العساكر * وللدول ان تأخذ النفقات من الاهالى لصيانة المملكة *

وقد امرنا برفع التحجز عن بيع كل صنف من البضايع والمحصولات بيد شخص واحد لامر الذى كان الاقدمون يعتقدون انه اصل كل سعادة * وتفرض المطاليب الاميرية علي كل انسان بحسب قدرته بالمال والاملاك * وان لا يطلب منه شي خلافه *

ومن الامور المهمة ايضا وضع قوانين لتعين مصاريف عساكرنا البرية والبحرية * ومن حيث ان صيانة البلاد امر واجب وفرض لازم فعلى الاهالى ان يقدموا انفارا للعسكرية * فقد امرنا بوضع قوانين فى كيفية اخذ الانفار على قدر امكان كل مكان ومدة اقامتهم في سلك العسكرية اربع سنين اوخمس . لانه اذا اخذ انفار اكثر من طاقة الاماكن او مكثوا بمدة حياتهم في العسكرية يكون ذلك ظلما

وضررا على العباد والبلاد وتصير الانفار يياسون من حياتهم اذا مكثوا
مدة طويلة * ومن الان وصاعدا لايقاص احد لا سرا ولا جهارا
باى نوع كان من القصاص الا بعد الفحص والتدقيق. تطبيقا لشريعتنا
الالهية . ولايسمح لاحد ان يهين شرف الاخر كاينا من كان
ولكل احد الحرية الكاملة ان يتمتع باملاكه واموالـه بدون معارض
كما ان اقارب المذنب لايتقاصون بذنبه ولايحرمون من ميراثه
اذا كانوا ابريا *

فلتعم هذه الترتيبات جميع رعايانا من اية ملة كانت وليتمتع
بها الجميع بدون استثنا وليكن اطمينانا كاملا ممنوحا منا الى جميع اهالى
المملكة على حياتهم وشرفهم واموالهم حسب فرايض شريعتنا المطهرة
وقد امرنا بوضع مجلس للاحكام العدلية يكون فيه وزراونا ووكلا رجال
دولتنا يتكلمون فيه بالحرية التامة لاجل ترتيب ما يلزم لاطمينان
الرعايا علي حياتهم واموالهم وتعيين الاموال الاميرية * واما الشرايع
المختصة بترتيب العساكر فتصير المفاوضة بها في المجلس العسكرى تحت
نظارة السرعسكر * وكل مايرتبونه من الاشيا المستحسنة تعرض لسدتنا
السلطانية فنشرفها في اعلاها خطا بيدنا الملوكية لاجل المصادقة *

ولما كانت هذه الترتيبات ليس لها غاية سوى تقدم الديانة
والدولة والشعب وخير المملكة * فعظمتنا الشاهانية تتعهد ان لاتفعل
شيا مخالفا لها * وتوكيدا على الاقامة بعهدنا هذا نقسم بالله العظيم
امام كل العلما ووكلا رجال الدولة فى بيت الخرقة الشريفة ونحلفهم
ايضا وبعد ذلك كل من يخالف هذه الترتيبات يصير قصاصه على
قدر ذنبه مع قطع النظر عن رتبته واعتباره * وبما ان المتوظفين
ماهيات كافية فيجرى القصاص الصارم على كل من يقبل الرشوة التى

تحرمها الشريعة الالهية وتكون سببا لسقوط المملكة * وبما ان هذه القوانين المقدم ذكرها قدجعلناها عوضا عن القوانين القديمة فلتعلن ارادتنا الملوكية السنية فى الاستانة العلية وفى ساير ممالكنا المحروسة وتعط صورها ايضا رسميا الى سفرا الدول المتحابة الموجودين فى دار السعادة العلية لتكون دولهم شهودا على دوامها الى ما شا الله وعدا ذلك فليحفظنا الله بحفظه الالهى

وكل من خالف هذه الترتيبات فليكن

موضوعا للعنة الالهيه

الى الابد

امين



تم الجز الاول ويليه الجز الثانى

وكان نهاية طبعه فى عشرين خلون من شهر شعبان المبارك لسنة الخمسة وسبعين ومايتين والف

* تقريظ السيد محمد افندى المفتى *

الحمد لله مجدد الجديدين * وجعل اخبار الامم والملوك نزهة وقرة للعين * والصلوة والسلام على سيد الكونين * سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله وعلى اله واصحابه وسبطيه الطيبين الاطهرين *

اما بعد فقد نزهت طرفي في رياض سطوره * وشممت عباير طيبه ومنشوره * وعقلت العقل للتامل في نظمه ومنثوره حتى استكملته سطرا سطرا * واحطت بما فيه خبرا * فاذا هو كتاب تتنباها برقمه انامل الكتاب . ويحمل حقا على اكف الاستجلاب . لساحة الاخوان والاحباب * مدت عليه الفصاحة رواقها * وردت اليه البلاغة افواقها فجزا الله مولفه الاديب . ومستودع اللسان الرطيب * قسّ الفصاحة وسحبان البلاغة * ابقراط زمانه وابن سينا عصره واوانه

* جزا الله المولف كل خير * لهذا العقد فى جيد حسان *
* امصباح بدا ام بدر سار * بافق سما البلاغة والمعانى *

نمقه الفقير اليه عز شانه
مفتى زاده السيد محمد
المفتى بمدينة بيروت
عفى عنه

(بيان الخطا والصواب من كتاب مصباح السارى ونزهه القارى)

خطا	صواب	صفحه	سطر
القبلة	الجنوب	١٥	١٧
الدخان	التبغ	١٦	١٨
الشهزاده	الشاه زاده	٤٩	٠٦
البنايات	الابنيه	٥٠	٢٣
بن	بيك	٠٠	٠٠
ثنان	ائنتان	٥١	١٩
جميلة	جميل	٥٢	٠٥
وصوابح	وحارات	٥٣	١٥
مرسح	ملعب	٥٦	٠٧
كشك	كيجك	٥٩	٠٢
من ذو	من ذوى	٦٥	٠٨
عفى	عفا	٦٧	١٤
الغفر	الحفر	٧٣	٠١
ثلاثة	ثلث	٠٠	٠٩
خمسة	خمس	٠٠	١٩
اصابة اصابت	اثنين اثنان	٧٤	٠٨
الخمسة	الخمس	٠٠	١٣
خمسة	خمسا	٠٠	١٦
خمسة	خمسا	٠٠	١٨
ذكروه مورخى	ذكره مورخوا	٨٠	٠٩
قلع	قلاع	٨٦	٢٠

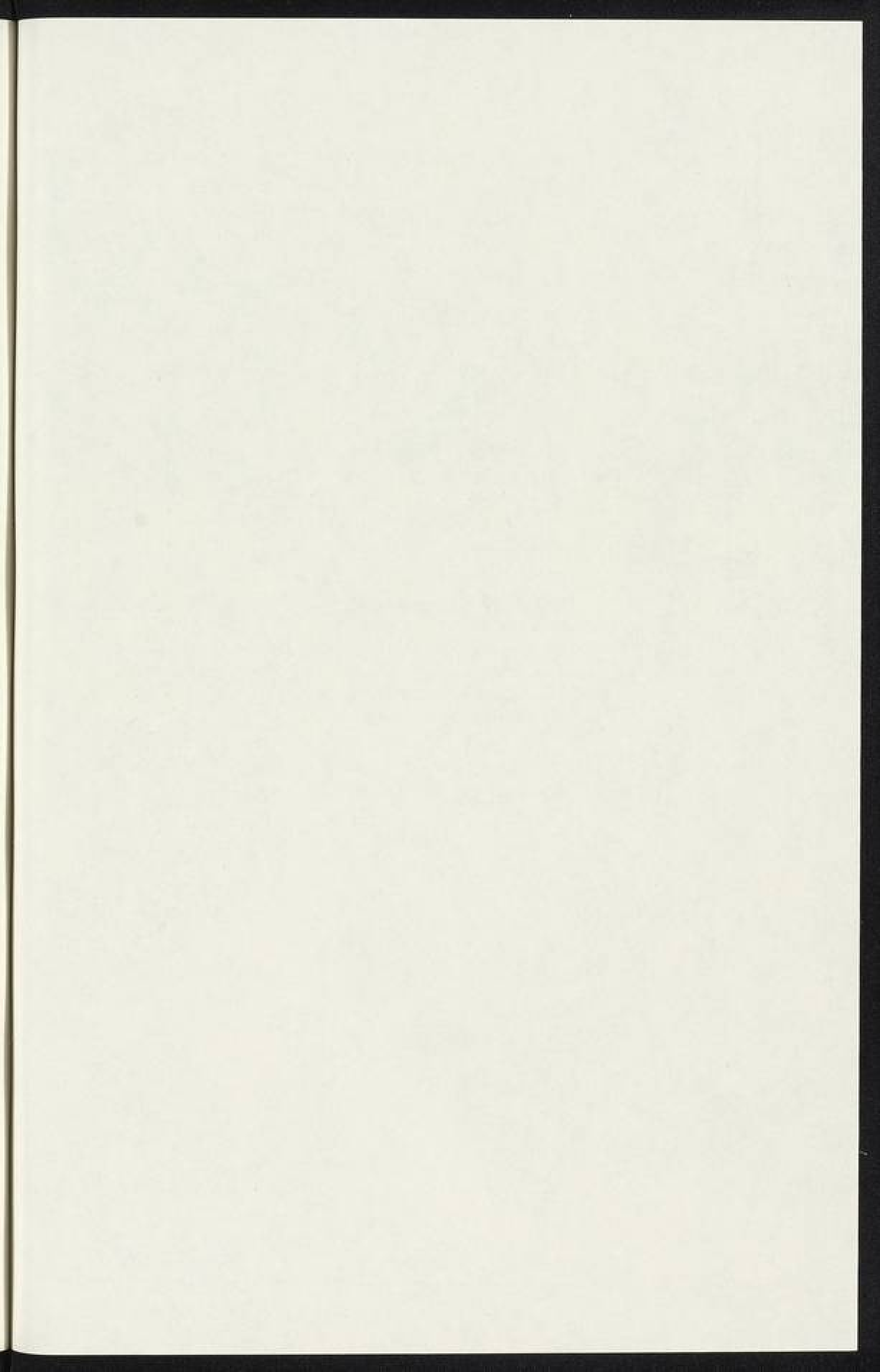
خطا	صواب	صفحة	سطر
وقلع	وقلاع	٨٩	١٦
الصباحية	السباهية	٩٠	٠٤
الذى قتله	فقتله	٩٧	١٧
فغزى	فغزا	٩٨	٠٤
الى عند	الى	٠٠	٠٧
فامنهم	فامنهما	٠٠	١٦
وسعفه	واسعفه	٩٩	٠٤
منجولا	نجلا	١٠٠	٠٥
وطارت	وثارت	٠٠٠	١٠
٨٠٠	٨٠٦	١٠٢	٠٨
المنجمون	المنجمين	٠٠٠	٢١
ملك الصاهر	ملك الظاهر	١٠٣	١٢
عرضيه	معسكره	٠٠٠	٢١
التركمان	التركمانى	١٠٤	١٧
خان	خان الاول	١٠٥	١٠
قلعها	قلاعها	١٠٦	٠٣
١٦٠٣	١٤٠٣	١٠٨	١٤
القلع	القلاع الى اخره	١١٣	٠٥
وايس	ويس	١١٥	٠٩
اخذه	اخذوه	١٢٠	١٠
اعله	اعد	٠٠٠	١١
تحريرا	كتابا	١٢١	٠٢

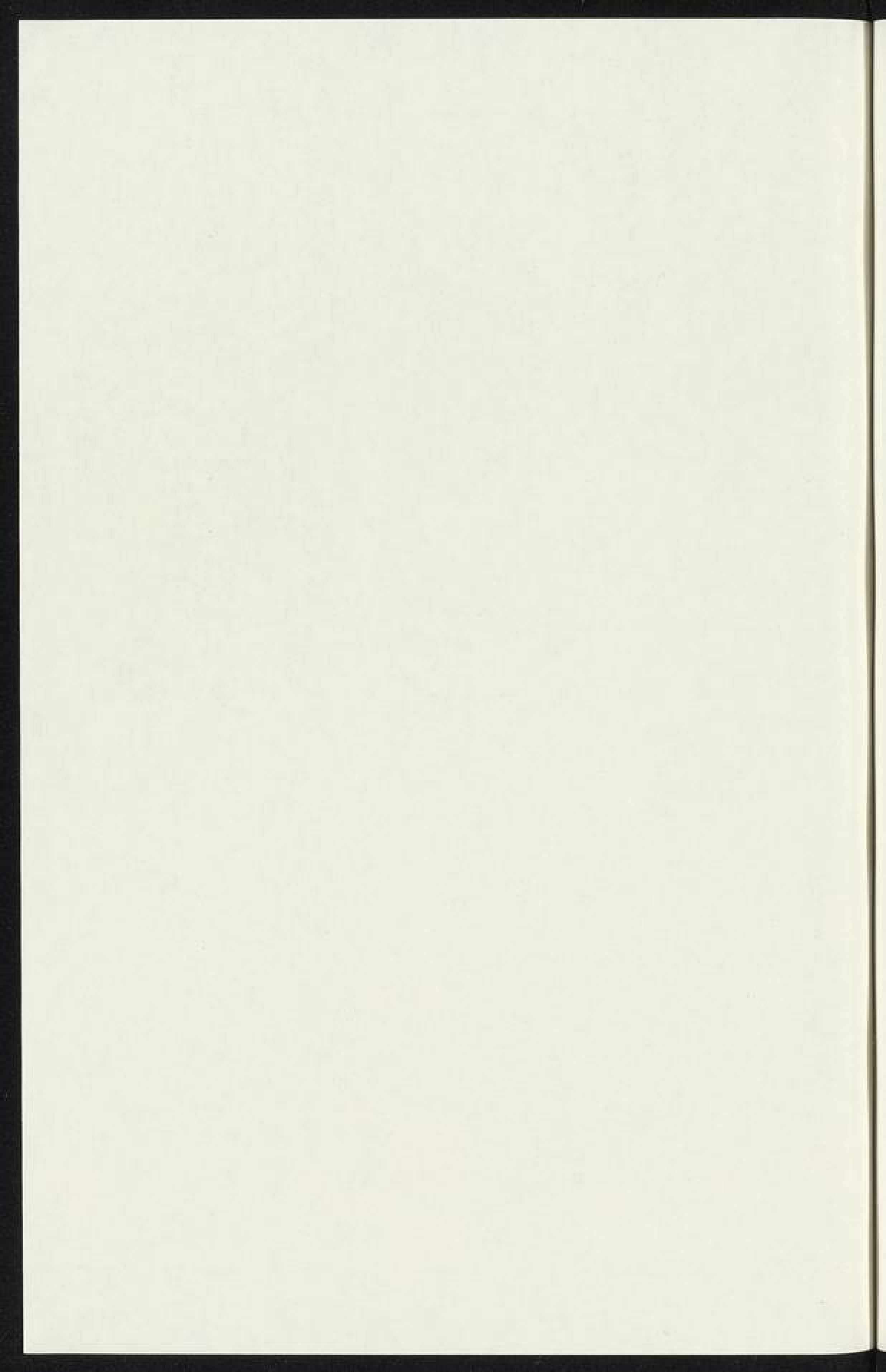
خطا	صواب	صفحة	سطر
مورخوا	مورخى	١٢١	٠٨
رايك	دابق	١٢٦	١٣
وتشتت	وتشتتوا	٠٠٠	١٤
فيه الوزرا	به الوزرا	٠٠٠	١٧
مامورتيها	ماموريتها	٠٠٠	٢٢
لامام	الى امام	١٣٧٠	٠١
المقطعات	المقاطعات	٠٠٠	٠٣
سار بقسم	سير قسما	٠٠٠	١٠
اوشوا	وشوا	٠٠٠	٢١
الذى استولى	فاستولى	٠٠٠	٢٢
عوض	عوضا	١٣٨	٠٤
اثنين	اثنتين	٠٠٠	١٢
خمسة	خمسا	٠٠٠	١٤
فاطلقوا	فاطلقوها	١٤١	٢٣
الكرز	القرص	١٤٥	٢٢
التحارير	الرسايل	١٤٩	٠٣
اوغلو	اوغلى	٠٠٠	٠٨
شجيعا	شجاعا	١٥٠	٠٦
يوم	يوما	٠٠٠	١١
موافق	الموافقة	٠٠٠	١٥
الموزيقا	الموسيقا	٠٠٠	١٧
يطمن	يطمين	٠٠٠	١٨

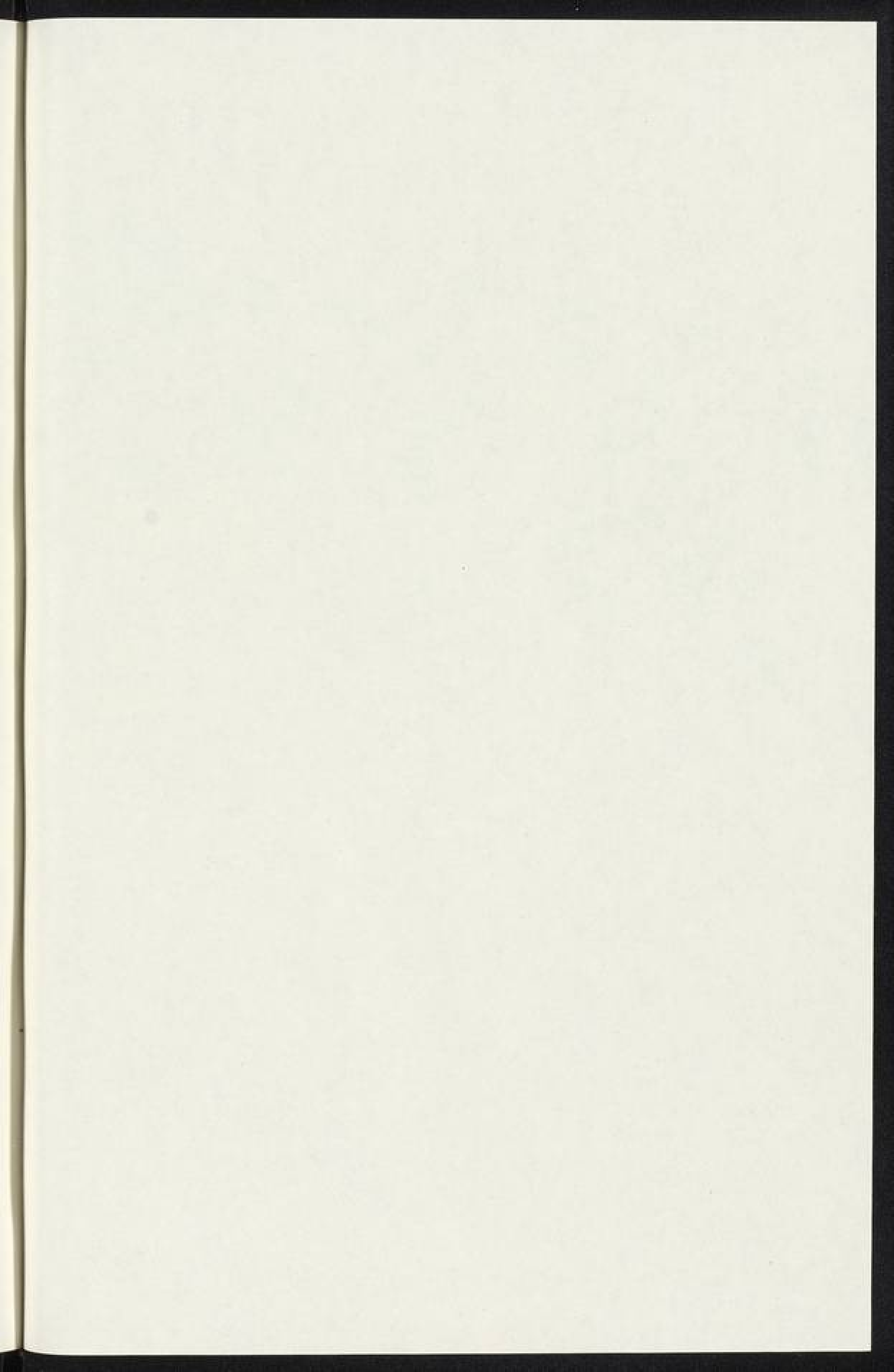
خطا	صواب	صفحة	سطر
الذى له	ذو	١٥١	٠٨
طغامم	اطغامم	١٥٢	١٥
دافعت	دافع	١٥٢	٢٣
وكانت	وكان	١٥٣	٠٢
مايتا	مايتى	١٥٣	٠٤
الصباهية	السباهية	١٥٤	٠١
وارفاقنا	ورفاقنا	١٥٥	٠٦
سابقا	سابق	١٥٤	١٩
يخلعوا	يخلعون	١٥٧	٠٦
وصل	صار	٠٠٠	١٣
باليا	بالية	١٥٨	٠٩
لينظروه الصارخين	لينظره الصارخون	١٥٩	١٥
فنبهوه	فنبهه	١٦١	٢١
توازعت	توزعت	١٦٢	١٨
هاتيك	هاتين	١٦٣	٠٩
دبابيس	جواسيس	٠٠٠	١١
اغتنهم	قايدهم	٠٠٠	١٢
قتلوه	قتله	٠٠٠	١٤
صياحاعظيما	صياح عظيم	١٦٤	٠٩
الغفر	الخفر	٠٠٠	١٢
الجاويشيه	الجاويشيان	٠٠٠	١٤
لاخبرة	الاخبر	١٢٢	١٠

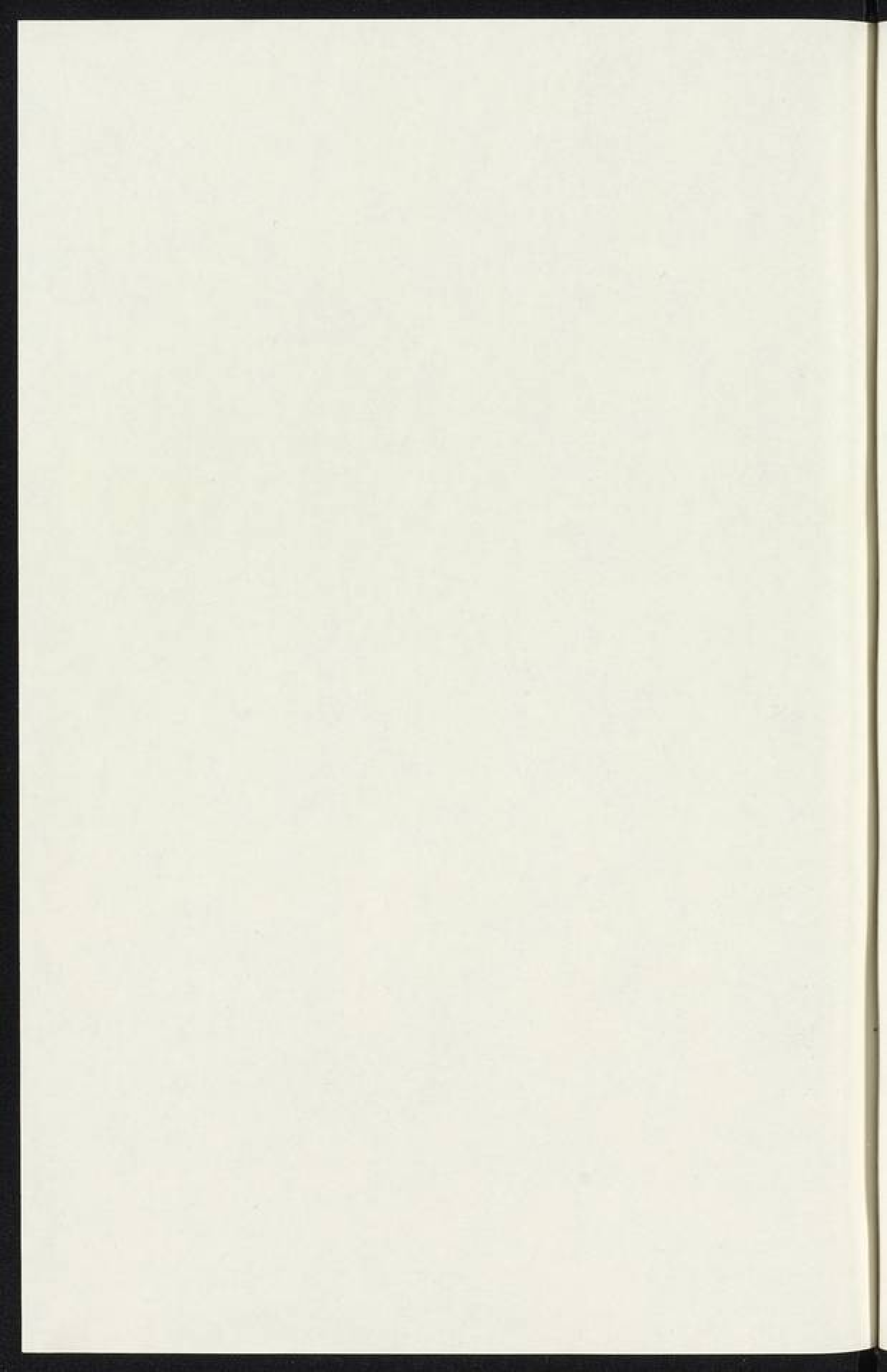
خطا	صواب	صفحه	سطر
ويطلبون	طالبين	١٦٥	٠٧
يبروهم	يبريهم	٠٠٠	٠٨
واخذوهم	واخذوهما	٠٠٠	١١
فلتطمان	فلتطمين	١٦٨	١٦
اغوات	قواد	١٧٠	٠٣
البولاد	الفولاذ	١٧٦	٢٢
الذى قتل	الذين قتلوا	١٧٨	٠٣
نفسه	نفوسهم	٠٠٠	٠٤
فخفته	فاخفته	٠٠٠	٢٢
ويطمنونه	ويطمْنونه	١٧٩	٢٠
وكانوا	وكان	١٨٢	٢١
والمراقية	والمراقيا	١٨٣	١٤
بورسه	بورصه	١٨٩	١٧
تحاريره	رسايله	١٩١	١٢
لجاج	الحاج	٢٠٢	١٠
كانوا	كان	٢٠٣	١٨
ارقابهم	رقابهم	٢٠٦	٠١
امرار	مرار	٢٠٧	١٠
المتاريس	الاتراس	٢١١	٠٦
ياخر	يوخر	٠٠٠	٢٢
وطرحوهم	وطرحوهما	٢١٦	٠٧
فتوجهت واستولت	فتوجهوا واستولوا	٢١٩	٠٥

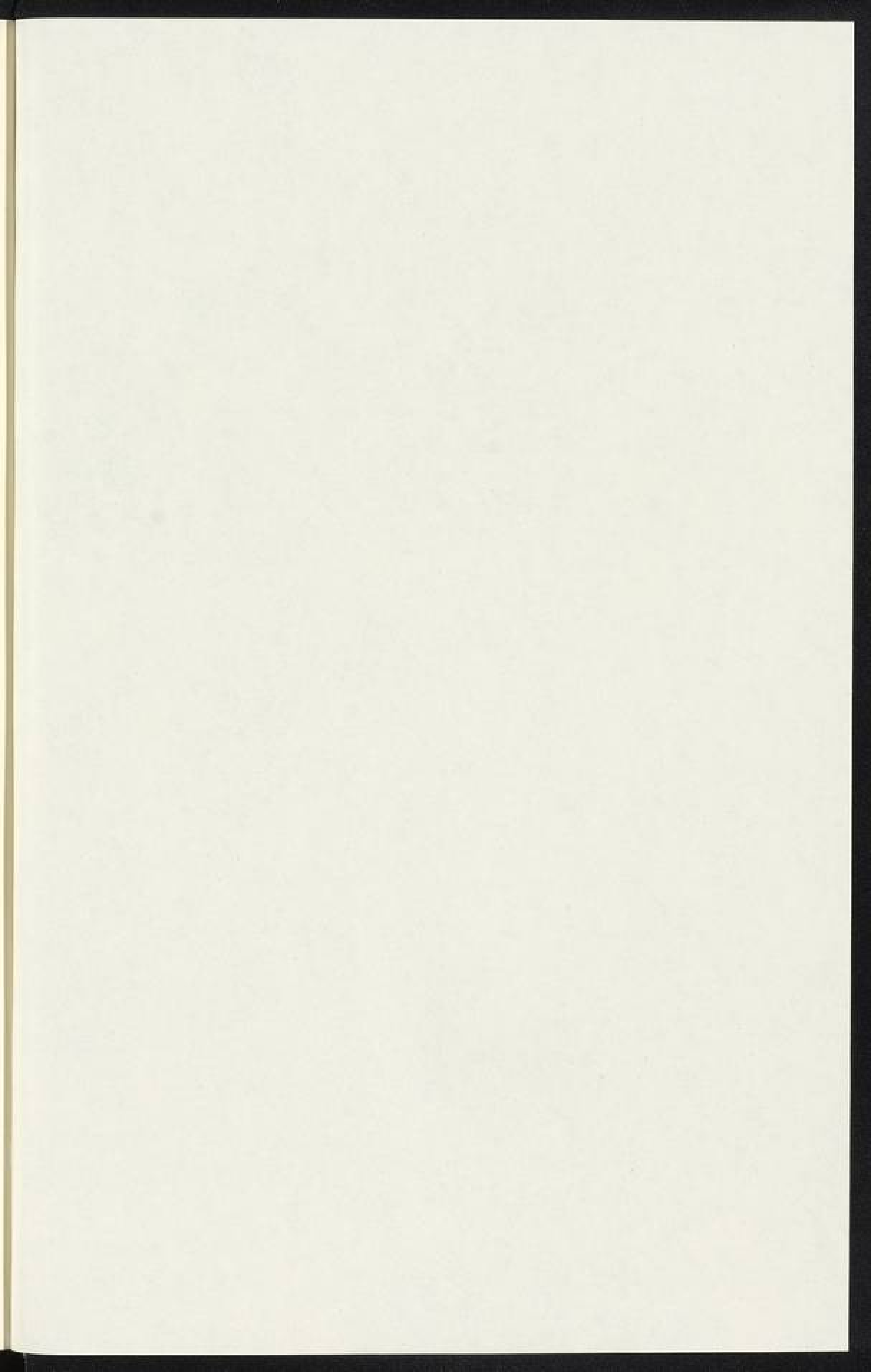
خطا	صواب	صفحه	سطر
تحريره	كتابه	٢٢٤	١٠
غراى	كراى	٢٢٨	١٣
لسعفتهم	لاسعافهم	٢٢٩	١٤
فيهم	بهم	٢٣٠	١٢
واكرمان	وكرمان	٠٠٠	١٧
وبورسيا	وبروسيا	٠٠٠	٢٢
سبعة عشر	سبع عشرة	٢٣١	١٠
وبنا	وبنى	٠٠٠	١٢
قينرجه	قينرجة	٢٣٢	٠٦
نهضت	نهض	٢٣٣	٠٣
ينهضا	ينهضان	٠٠٠	١٢
ستة عشر	ست عشرة	٢٣٤	٠٦
قوجك	كوجك	٠٠٠	٢٣
ينجو	ينج	٢٣٥	٢٢
سبعة وسبعون	سبعا وسبعين	٢٣٨	٠٢
لانى اردت	لانني لما اردت	٢٤٨	١٢
واخبروهم	واخبراهم	٢٤٩	١٢
الجوش	الجيوش	٢٦١	٢٠
عن ما	هما	٠٠٠	٢٢

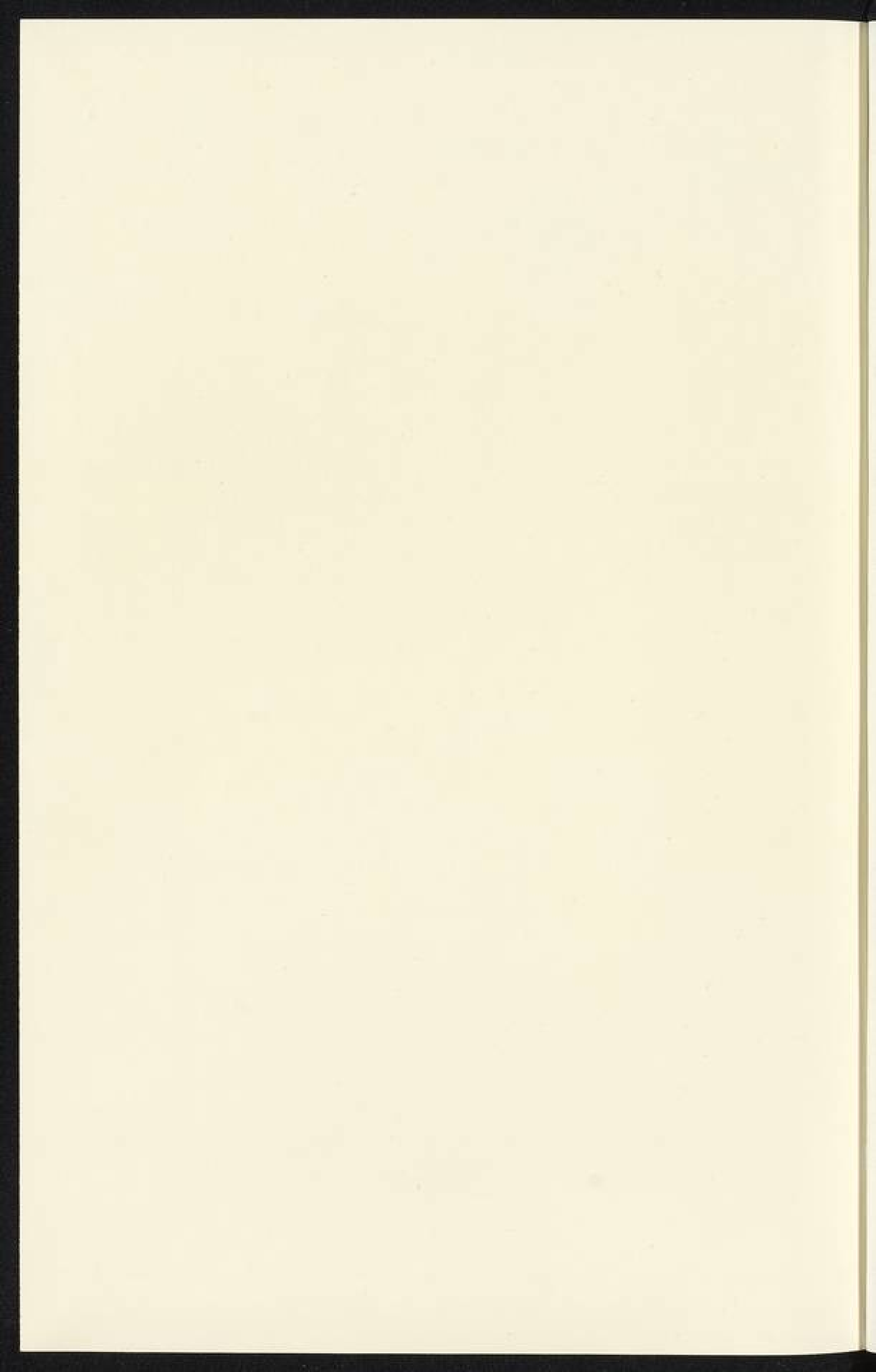




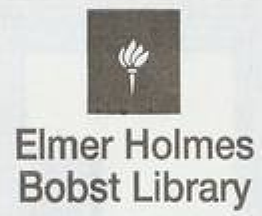













NYU - BOBST
31142 02921 8412
DT53 .N35 1855
Kitab Mi´¿ba´¿ al-s